

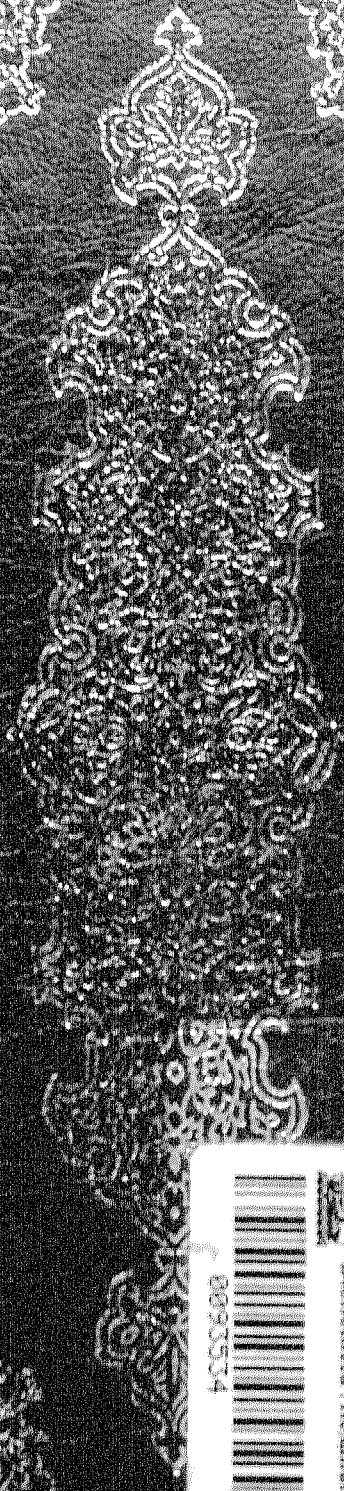


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَدِينَةُ الْحَرَامِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَدِينَةُ الْحَرَامِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَدِينَةُ الْحَرَامِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ
مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ



Bibliotheca Alexandrina



00955534

حياة
الإمام الحسين عليه السلام

باقر شرفیہ الفرشی

حیاء
الإمام الحسنین علیهما السلام

دراسة وتحليل

الجزء الثالث

الطبعة الثانية:
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

الطبعة الرابعة:
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الاولى:
١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

الطبعة الثالثة:
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام - ج ٢	الكتاب:
باقر شريف القرشي	المؤلف:
مدرسة العلمية الايرواني	الناشر:
باقري	المطبعة:
ليتوگرافي تيزهوش/قم	القلم والالواح الحساسة (الزنك):
٢٠٠٠ نسخة	الكمية:
مؤسسة الامام المجتبي	التوزيع:
	السعر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَانًا بَلْ
أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَجَزَاءُ نِعْمَتِنَا لَهُمْ
أَلَّا نُغْنِيَهُمْ مِنْ فَضْلِنَا ۖ وَسَيُبَشِّرُونَ بِالَّذِينَ لَا يُلْحِقُونَ
بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ۖ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ۝ وَسَيُبَشِّرُونَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ
وَفَضْلًا ۖ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۝
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

القرآن الكريم

وَاللَّهُ

المقدمة

— ١ —

وأثرت الأحداث الرهيبة التي عاصرها الامام الحسين (ع) تأثيراً هائلاً في تغيير مناهج الحياة الفكرية والاجتماعية في الاسلام ، كما لعبت دورها الخطير على مسرح الحياة السياسية على امتداد التاريخ ، وكان من أبرز نتائج تلك الأحداث التناحر على السلطة ، والتنافس على الحكم ، والصراع على الظفر بخيرات البلاد .

وكان من الطبيعي ان يحدث ذلك الصراع السياسي بأقسى صورته ، وأبشع ألوانه ، وان يحدث الجدل كأشد واعنف ما يكون الجدل فقد سحرت عيون الكثيرين من الصحابة والتابعين ما رؤوه من ألوان الترف ، وخفض العيش ورقته ، وما شاهدوه من جلال الملك الذي أزالوه من فارس ، وما احتلوه من بلاد الروم ، وهالتهم الفتوحات التي تقوم بها الجيوش الاسلامية ، وما يفتح الله على أيديهم ، وما يجلبونه من البلاد المحتلة من الرقيق ، وسائر الأموال التي لم يكونوا يحملون بالنظر اليها ، كل ذلك دفعهم إلى التهالك على السلطة ، وفتنهم عن دينهم .

واستشف الرسول الأعظم (ص) من وراء الغيب ما تبلغه أمته من المجد والسيادة على جميع شعوب الأرض ، وسقوط الدول الكبرى تحت

— ٧ —

وطأة الزحف الاسلامي المقدس ، فأذاع ذلك بين المسلمين وآمنوا به كجزء من عقيدتهم ، كما استشف النبي (ص) من وراء الغيب ما تمنى به أمته من الفتنة والفرقة فاحتاط لها كأشد ما يكون الاحتياط فوضع لها رصيذاً يحسم كل داء ، ويقضي على كل خلاف فدلل على امامة العترة الطاهرة من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، ولم يكن بذلك مدفوعاً بدافع العاطفة أو الحب فان شأن النبوة أسمى من أن يخضع لأي عامل من عوامل الحب أو غيره من الاعتبارات المادية .

وبلغت أحاديث الرسول (ص) في فضل عترته حد التواتر ، ولم يتطرق إليها الريب والشك عند أحد من المسلمين ، فقد قرنهم بمحكم التنزيل - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - وجعلهم سفن النجاة وأمن العباد ، وأما سيد العترة الامام أمير المؤمنين (ع) فإنه - حسب النصوص النبوية - أخو النبي ونفسه ، وباب مدينة علمه ، واقضى امته ، وانه منه بمنزلة هارون من موسى ، ومن كنت مولاه فهذا علي مولاه... ولكن القوم كرهوا اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد فتأولوا النصوص وزووا الخلافة عن أهل بيت النبوة ، ومعدن الحكمة ، ومهبط الوحي ، وحرموا الأمة من التمتع بظلال حكمهم المهادف إلى نشر عدالة السماء في الأرض .

وأدت عملية الفصل إلى التطاحن الفظيع على كراسي الحكم بين الأسر البارزة في الاسلام ، فمسيّت الأمة من جراء ذلك بالكوارث والخطوب التي أحالت الحياة في تلك العصور إلى جحيم لا يطاق ، فقد كان حكم النطع والسيف هو السائد بين الناس .

وظهر الصراع السياسي بأبشع ألوانه حينما استولى الامام أمير المؤمنين عليه السلام على زمام السلطة في البلاد ، فقد تحركت القوى الطامعة في الحكم وهي تعلن العصيان المسلح محاولة بذلك اسقاط حكومته التي احتضنت مصالح الشعوب الاسلامية ، وثبتت حقوق الانسان وراحت تؤسس معالم العدل والحق ، وتذكر حصون الظلم ، وتنسف قلاع الباطل ، وترفع منار الكرامة الانسانية ، وتقضي على جميع أسباب التخلف والفساد التي تركها الحكم المباد. لقد أوجد الامام انقلاباً جذرياً ، ونحولاً اجتماعياً في الميادين السياسية والفكرية والاقتصادية ، التي كان منها العدالة في التوزيع ، وإلغاء الامتيازات التي منحها حكومة عثمان لبي أمية وآل أبي معيط ، ومصادرة الأموال التي اختلسوها بغير حق وعزل الولاة وسائر الموظفين الذين اتخذوا الحكم وسيلة للثراء والاستعلاء على الناس بغير حق

وقد أدت التغييرات الاجتماعية التي أوجدتها حكومة الامام إلى زيادة الأزمات النفسية في نفوس القرشيين وغيرهم من الخاقدين على الإصلاح الاجتماعي ، فأيقنوا أن حكومة الامام ستدمر مصالحهم الاقتصادية وغيرها ، فهبوا متضامنين إلى اعلان المعارضة ، ومن المؤسف - حقاً - أن تضم المعارضة بعض اعلام الصحابة كطلحة والزبير ، وأن يكون العضو البارز فيها السيدة عائشة زوج النبي (ص) ومن المؤكد أنه لم تكن للمعارضين أية أهداف اجتماعية أو اصلاحية ، وإنما دفعتهم الأنازية والأطماع حسب التصريحات التي أدلوا بها في كثير من المناسبات ، وقد كان في طليعة القوى المتآمرة على الامام الحزب الاموي فقد سخر جميع أرصده المالية التي حصل

عليها أيام حكومة عثمان ، فجعلها تحت تصرف المعارضين فاشترى جميع أدوات الحرب ووهبوا الكثير من الأموال للمرتزقة وقد اندلعت بذلك نار الحرب التي اسماها بعض المؤرخين بحرب الجمل ، وقد أسرع الامام اليها فأخذ ناراها ، وقضى على معالمها ، إلا انها اسفرت عن أفدح الخسائر التي مُني بها المسلمون ، فقد فتحت باب الحرب بين المسلمين ، ومهدت الطريق إلى معاوية أن يعلن تمردَه على الامام ، ويناجزه أعنف الحروب ، وأشدها ضراوة .

وأخذت الأحداث الجسام يتصل بعضها ببعض ، ويتفرع بعضها على بعض حتى انتهت بمقتل الامام أمير المؤمنين ، وخذلان ولده الحسن وانتصار القوى الخاقدة على الاسلام ، ويعرض هذا الكتاب الى تفصيل ذلك بصورة موضوعية بما لا تحيز فيه .

— ٣ —

ونجحت الأموية بأساليبها الماكرة ، وبما استخدمته من وسائل دبلوماسيتها الغادرة في الاستيلاء على السلطة في البلاد ، وظهرت على الصعيد الاسلامي دولة الأمويين بقيادة زعيمهم معاوية بن أبي سفيان القائد الأول لجميع عمليات الحروب التي ناهضت الاسلام حينما فجر المعلم والقائد الرسول (ص) دعوته الخلافة الهادفة لتطوير الوعي الاجتماعي ، وتأسيس مجتمع يقوم على العدل والمساواة .

ووقعت الأمة فريسة تحت أنياب الأمويين ، واستسلمت لحكم إرهابي عنيف تتصاعد فيه الأحقاد والاضغان على قيم الأمة ومكوناتها الفكرية

- ١٠ -

والاجتماعية ، وإزالة ما حققه الاسلام من المكاسب على الصعيد الاقتصادي والسياسي والتروي .

وانجهدت السياسية الأموية تضع المخططات الرهيبة للقضاء على مقومات الأمة ، واستتصال أرسدهتها الروحية والفكرية ، وكان من أفجع وأقسى ما اتخذته من المقررات السيلسية ما يلي :

أ - الخط من قيمة أهل البيت الذين هم مركز الوعي الاجتماعي في الاسلام ، والعصب الحساس في جسم الأمة الذي يدها بالنهوض والارتقاء وقد سخرت السلطة جميع أجهزتها السياسية والاقتصادية ، وسائر امكانياتها الأخرى لتحويل قلوب المسلمين عن أهل البيت وفرض بغضهم على واقع الحياة الاسلامية ، وجعله جزءاً لا يتجزء من الاسلام ، وقد استخدمت في هذا السبيل أجهزة التربية والتعليم ، وأجهزة الوعظ والارشاد وغيرها ، واتخذت سب العترة على المنابر فرضاً واجباً تحاسب عليه وتنزل أقصى العقوبات على من يتهاون في أدائه .

ب - اباداة العناصر الواعية في الاسلام ، والتي تربت على هديه وواقعه فقد ساقته الى ساحات المجازر أعلام الاسلام كحجر بن عدي وميثم التمار ورشيد الهجري ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وأمثالهم من الذين يملكون القدرة على التوجيه الاجتماعي ، والقابلية على صيانة الأمة من الانحراف والسلوك في المنعطفات ، وتلدعت السلطة في سفك دمائهم من أنهم خلعوا يد الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، ولم يكن لذلك أي نصيب من الصحة ، وإنما رؤا الاتجاه السيامي يتصادم مع الدين ، ويتصادم مع مصالح الأمة فأمروا السلطة بالاستقامة والخلود الى التوازن ، ومجافاة الاضرار بمصالح المجتمع ، فاستباححت من أجل ذلك دمائهم .

ج - تغيير الواقع المشرق للاسلام ، وقلب جميع مفاهيمه ومقوماته،

وتدليسه بالخرافات والأوهام حتى تشل طاقاته ، ويصبح عاجزاً عن مسايرة الحياة ، والانطلاق مع الانسان لتنمية ملكاته ، وقدراته وتطوير وسائل حياته ووضع الحكمة لجان الوضع ، ورصدت لها الأموال الهائلة لتضع الأحاديث على لسان المنقذ العظيم الرسول (ص) لتكون من بنود التشريع وتلحق بقافلة السنة التي هي من مدارك الأحكام ، وقد راح واضعون يلقون الأكاذيب ، وينسبونها للنبي (ص) وكثير مما وضعوه يتنافى مع منطق العقل ، ويتجافى مع سنن الحياة ، ومن المؤسف أنها دونت في كتب السنة ، ودرجت في كتب الأخبار ، مما اضطر بعض الفيارى من علماء المسلمين أن يألّفوا بعض الكتب التي تدل على بعض تلك الموضوعات ، وفيما أحسب أن هذا المخطط الرهيب من أفجع ما رزء به المسلمون فإنه لم يكن الابتلاء به آنياً من الزمن ، وإنما ظل مستمراً مع امتداد التاريخ فقد تفاعلت تلك الموضوعات مع حياة الكثيرين من المسلمين ، وظلوا متمسكين بها على أنها جزء من دينهم ، وقد وضعت الحواجز في نمو المواهب وانطلاق الفكر ، كما بقيت حجرة عثرة في طريق التطور والابداع الذي يريده الاسلام لابنائيه .

— ٤ —

وعانى الانسان المسلم في عهد معاوية ضرباً شاقاً وعسيرة من المحن والبلوى ، فقد جهدت حكومة معاوية على نشر الظلم والجور في جميع أرجاء البلاد ، وعهدت بأمور المسلمين الى الجلادين والجزارين أمثال زياد بن أبيه ويسر بن أبي ارطاة ، وسمره بن جندب والمغيرة بن شعبة ، وأمثال هؤلاء من أرجاس البشرية ، وقد صبوا على الناس وابلاً من العذاب الأليم لم

تشهد له الانسانية مثيلاً في كثير من مراحل تاريخها .
لقد كانت المظالم الاجتماعية - في عهد معاوية - بمرأى من الامام الحسين عليه السلام ومسمع ، فروعته وانزعته إلى حد بعيد ، فقد كان بحكم قيادته الروحية لأمة جده يحس باحاسيسها ، ويتألم لآلامها ، ويحيا بحيانها ، وكان من أعظم ما عاناه من المحن والخطوب تتبع الجزارين والجلادين من ولاية معاوية لشعبة أهل البيت امعاناً في قتلهم ، وحرقاً لبيوتهم ، ومصادرة لأموالهم ، لا يألون جهداً في ظلمهم بكل طريق ، وقد قام الامام بدوره في شجب تلك السياسة الظالمة فبعث المذكرات الصارخة لطاغية دمشق يشجب فيها الاجراءات الظالمة التي اتخذها عماله وولائه لآبادة محبي أهل البيت والعارفين بفضلهم ، وقد جاء في بعض بنودها أنه نفى أن يكون معاوية من هذه الأمة ، وإنما هو عنصر غريب ، ومعاد لها ، والحق إنه كذلك فقد أثبتت تصرفاته السياسية أنه من ألد أعدائها ، وأنه كان يبغى لها الغوائل ويكيد لها في غلس الليل ، وفي وضح النهار ، قد جهد في اذلالها وارغامها على الجور

وكان من أفجع مآرزا به معاوية الأمة أنه فرض خليفه المهتوك يزيد القروذ والفهود - كما يسميه المؤرخون - خليفة عليها يعيث في دينها ودنياها ، ويجر لها الهيلات والخطوب .

- ٥ -

وفقدت الأمة في عهد معاوية وخليفه يزيد جميع عناصرها ومقوماتها ولم تعد خير أمة أخرجت للناس - حسب ما يريد الله لها - فقد عاث فيها معاوية فرباها على الوصولية والانتهازية ، ورباهسا على الدك والعبودية ،

- ١٣ -

وسلب عنها صفاتها ، وجرّد عنها أخلاقها القويمة ، فلم تعد تهتم بتحقيق أهدافها وآمالها ، ولا بما يضمن لها الحياة الكريمة ، قد استسلمت للحكم الأموي ، وقبعت ذليلة مهانة تحت وطأة سياطه ، وهو يسفك دماءها ، ويستنزف ثروتها ، ويشيع فيها الجور والفساد ، فقد تخدرت بشكل فظيع وأصبحت جثة هامدة لا وعي فيها ولا حراك ، فلم تهب للدفاع عن كرامتها وعزتها ، ولم تنطلق في ميادين الشرف والتضحية لتحمي نفسها من الظلم والاعتداء .

رأى الامام الحسين (ع) وهو سبط الرسول (ص) وأمله بالبسم الذي تجسدت فيه جميع طاقاته حالة المسلمين ، وما هم فيه من الذل والخوان وانهم لم يعودوا تلك الأمة العظيمة التي تبنت رسالة الاسلام ، وحملت مشعل الهداية والنور إلى جميع شعوب الأرض .

واستوعب الألم القاسي مشاعر الامام وعواطفه ، وراح يطيل التفسير وينفق الليل ساهراً في انقاذ دين جده العظيم ، وحمایته من الردة الجاهلية، فعقد المؤتمرات نارة في مكة وأخرى في يثرب ، وعرض على الصحابة وأبنائهم الحالة الراهنة التي مُني بها المسلمون ، وأخذ يدلي بمنكرات معاوية وموبقانه ، وقد استبان له أن هذه الطريقة لا تجدي بأي حال في ميادين الاصلاح الاجتماعي ، ولا يمكن أن ترد شوارد الأهواء وترجع للامة ما فقدته من معنوياتها ، فرأى أنه بين أمرين لا ثالث لهما وهما :

١ - أن يسالم الأمويين ، ويبايع ليزيد ، ويغض الطرف عما تقررته السلطة من الظلم والجور ، وما تعانيه الأمة من الأزمات في مجالاتها العقائدية والاجتماعية ، ويكون بذلك - على سبيل الاحتمال لا القطع - قد ضمن سلامته وحياته ، ولكن هذا مما يأباه الله له ، ويأباه ضميره الحي المترع بتقوى الله فهو بحسب مكانته من رسول الله (ص) مسؤول أمام الله عن صيانة الأمة

وحماية أهدافها ومبادئها ، ومسؤول أمام جده الرسول (ص) عن رعاية الإصلاح الاجتماعي ، وصيانة الاسلام من عبث العابثين ، وكيد الفاجرين وقد أعلن سلام الله عليه هذه المسؤولية الخطيرة وما يفرضه الواجب عليه في خطابه الذي ألقاه على الحر وأصحابه من شرطة ابن زياد قائلاً :

« أيها الناس إن رسول الله (ص) قال : من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده ، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . . . » .

لقد كان الواجب الشرعي حسبما أدلى به مما يحتم عليه القيام في مقارعة الظلم ومناهضة الجور ، والضرب على أيدي المعتدين والظالمين .

٢ - أن يعلن الثورة ، ويضحى بنفسه وأهل بيته وشيعته ، وهو على يقين بعدم نجاح الثورة ، فقد درس أوضاع المجتمع ، وعرف أن الدين لعق على السنة الناس ، إلا أنه أيقن أن نضحيته ستعود على المسلمين بالخير العميم فستحرر ارادتهم ، ويهبون الى ميادين الجهاد ، ويرفعون أعلام الحرية وينزلون الجبابرة الطغاة من بني أمية من عروشهم إلى قبورهم واختار هذا الطريق المشرق على ما فيه من مآسي وخطوب لا يطيقها أي كائن حي .

- ٦ -

ودرس الامام أبعاد التضحية بعمق وشمول ، فرأى أن يزوج بجميع ثقله في المعركة ، ويقدم أروع النضحيات التي تهز ضمير الانساني على امتداد التاريخ ، وتعيد للامة أصالتها ووعيتها عبر أجيالها الصاعدة . . .

لقد خطط الامام فصول مأساته ، وفصول نضحيته على أسس عميقة

- ١٥ -

من الوعي والادراك بحيث تؤدي إلى النتائج المشرقة التي منها انتصار القضية الاسلامية
وإعادة الحياة الدينية الى شرايين الأمة ، وازالة التخدير الذي بسطه الأمويون
على جميع أجزائها .

وقد أعلن سلام الله عليه ما صمم عليه ، وأذاع فصول مآساته
الخالدة في كثير من المناسبات ، وهذه بعضها .

١ - أدلى بمصرعه ، وهو بمكة في خطابه الذي أعلن فيه الثورة على
بني امية ، فقد جاء فيه « وخير لي مصرع أنا لاقبه كأني بأوصالي تقطعها
عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا ... » أليس في هذا الكلام دلالة
على روعة العزم والتصميم على التضحية ؟ ! أليس فيه اخبار جازم عن
مصرعه الكريم ، وأنه في كربلاء ، فهي التي تحضى بمواراة جثمانه الطاهر
كما أذاع ذلك جده وأبوه من قبل .

٢ - وأعلن الامام العظيم المآسي الأليمة ، والخطوب المفجعة التي تحمل
بأهل بيته من القتل والسبي والأسر ، وذلك حينما أشار عليه ابن عباس بأن
لا يحمل معه مخدرات النبوة وعقائل الوحي الى العراق ، ويتركهن في يثرب
حتى تستقيم له الأمور ، فأجابه الامام قائلاً :
« قد شاء الله أن يراهن سبانيا » .

لقد صحب معه عياله وهو يعلم ما سيجري عليها من الأسر والسبي
لان بها سوف تستكمل رسالته ، وتؤدي فعاليتها في القضاء على العرش الأموي
وإعادة الحياة الاسلامية الى واقعها المضنيء .

٣ - كان الامام يتحدث وهو في طريقه الى العراق من أن رأسه
الشريف سوف يرفع على الحراب فيطاف به في الأقطار والأمصار ، ويهدى
الى بغيا من بغايا بني أمية كما صنع برأس أخيه يحيى بن زكريا حيث أهدى
الى بغيا من بغايا بني اسرائيل .

لقد استهان بجميع ما يعانيه في سبيل احقاق الحق ، واعلاء كلمة الله
في الأرض .

— ٧ —

وفجر الامام ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلها
عبرة لأولي الألباب ، وهي بجميع مخططاتها جزء من رسالة الاسلام وامتداد
مشرق لثورة الرسول الأعظم ، وتجسيد حي لأهدافه وآماله ، ولولاها
لذهبت جهود النبي ، وضاعت آماله ، ولم يبق للاسلام أثر ولا عين .
لقد انتصر الامام الحسين (ع) وفتح الله له الفتح المبين ، فقد
أشرفت سماء الاسلام بثورته الخالدة ، وتفاعلت تضحيته مع مشاعر الناس
وعواطفهم ، وامتزجت بقلوبهم ، وأصبحت أعظم مدرسة للإيمان بالله ،
تبث روح العقيدة والفداء في سبيل الحق والعدل ، وتغذي الناس بالقيم
الكريمة والمثل العليا ، وتعمل على توجيههم نحو الخير وتهديهم إلى سواء
السبيل .

لقد أقبل الناس بلهفة على مأساة أبي الأحرار ، وهم يمعنون النظر
في فصولها ويقتبسون منها أروع الدروس عن الكرامة والتضحية ،
والبطولات الخارقة والعزة التي لا يلوئها الظلم والجور .
إن الانسانية لتنحني اجلالاً واكباراً للامام العظيم الذي رفع راية الحق
عالية خفاقة . وتبني حقوق المظلومين ، ودافع عن مصالح المضطهدين . . .
وانها لتمجد ذكره أكثر مما تمجد أي مصلح اجتماعي في الأرض ، وقد
أحرز الامام العظيم بذلك من النصر ما لم يحرزه غيره من المصلحين في العالم .

لقد كان من أوليات النصر الذي حققه الامام تحطيم الكيان الأموي فقد وضعت ثورته الخالدة العبوات الناسفة في قصور الأمويين ، وألغمت طريقهم ، فلم يمض قليل من الزمن حتى تفجرت فاطاحت برؤوس الأمويين واكتسحت نشوة نصرهم ، وجعلتهم أترأ بعد عين ، ويعرض هذا الكتاب بصورة موضوعية إلى بعض ما قدمته الثورة من المعطيات المشرقة على الصعيد الفكري والاجتماعي للعالم الاسلامي

— ٨ —

ولن يستطيع التاريخ الاسلامي أن يأخذ حظه من الحياة اذا كان مثقلاً بالقيود والاعلال ، ولم يخضع للدراسة والنقد ، فلا بد أن تتسلط مجاهر البحث العلمي النزيه على أحداثه ، وتدرس بدقة وتجرد ، شأن غيره من تاريخ الأمم الحية التي تتناول أحداثه أفلام المفكرين والباحثين بكثير من العمق والتحليل ، فان دراسة التاريخ عندهم تحتل الصدارة في دراساتهم الثقافية والعلمية .

إننا إذا أردنا للتاريخ الاسلامي أن يزدهر ، ويسير النهضة الفكرية ، والتطور العلمي في هذه العصور ، فلا بد من دراسته دراسة واعية تعتمد على المناهج العلمية ، وعلى التجرد من النزعات المذهبية والتقليدية ، فننظر بدقة إلى الأحداث الجسام التي دهمت المسلمين في عصورهم الأولى فانها — فيما نعتقد — مصدر الفتنة الكبرى التي اخلدت لهم المصاعب ، وجرت لهم الفتن والخطوب على امتداد التاريخ .

إن البحث عن التاريخ الاسلامي في تلك الحقبة الخاصة من الزمن إذا لم يعرض لتلك الأحداث بالبسط والتحليل ، ولم يلق الاضواء على

— ١٨ —

دوافعها ومجرياتها فانه يكون بحثاً تقليدياً لا روح فيه ، ولا ثمرة تعود فيه على القراء .

وقد ألمنا في الحلقة الأولى من هذا الكتاب إلى الكثير من الأحداث وعرضنا الأنظمة السياسية والاقتصادية التي وضع براجمها الخلفاء في العصر الأول ، وقد تأملنا في كثير منها بتحفظ ونجرد شأن الباحث الذي يهمله الوصول إلى الواقع مهما استطاع إليه سبيلاً ، وأنى - فيما اعتقد - ان من الأثم وتعمد الجهول ان نتكلف اخفاء أي ناحية من النواحي السياسية أو الاجتماعية في ذلك العصر فان اخفاء ذلك من ألوان التضليل والدجل على القراء .

وليس في دراسة التاريخ دراسة منهجية تغير له أو قلب لمفاهيمه ، أو خروج عن موازين البحث العلمي المجرد ، وإنما هي من صميمه كما هي من متطلبات الحياة الثقافية في هذا العصر .

وعلى أي حال فان هذه الدراسة ترتبط ارتباطاً ذاتياً وموضوعياً بحياة الامام الحسين ، فقد عاش تلك الحقبة الخاصة من الزمن المليئة بالاحداث ، وقد نظر إليها بعمق وشمول ، ووقف على أهدافها وهي - من دون شك - قد ساهمت مساهمة ايجابية في كثير من الاحداث التي فزع منها المسلمون والتي كان منها كارثة كربلاء ، فانها كانت احدى النتائج المباشرة لذلك التخدير الذي منيت به الامة من جراء الحكم الاموي الذي جهد على شل الحياة الفكرية والاجتماعية واشاعة الانتهازية بين المسلمين .

وأنا آمل أن أكون في هذه الدراسة قد واكبت الواقع ، وابتعدت عن العواطف التقليدية وآثرت الحق في جميع ما كتبت لا ابتغي بذلك إلا ابراز التاريخ الاسلامي على واقعه من دون تمييز وقبل أن أقفل هذا التقديم أرى من الواجب علي أن أذكر بالوفاء والعرفان ما قام به سيادة المحسن

الكبير الحاج محمد رشاد عجيبة من التشجيع البالغ على الخوض والاستمرار في خدمة أئمة أهل البيت (ع) ونشر ما أثرهم التي هي من أفضل الخدمات التي تقدم لهذه الامة ، وقد قام سيادته بالإتفاق على نشر هذا الكتاب وقد رغب أن تكون من المبرات التي أوصى بها المغفور له والده الحاج محمدجواد عجيبة المتوفي سنة (١٣٩١ هـ) ، أجزل الله له الثواب ، ووفقه لكل مسعى نبيل .

باقر شريف القرشي

النجف الاشرف

مَعَ الْقَاسِطِينَ وَالنَّٰكِثِينَ

وفزعت القبائل القرشية كأشد ما يكون الفزع هولاً من حكومة الامام وأيقنت أن جميع مخططاته السياسية والاقتصادية إنما هي امتداد ذاتي للاتجاهات الفكرية والاجتماعية عند الرسول الأعظم (ص) الذي أطاح بغلوائهم ، وكبريائهم ، وحطم حياتهم الاقتصادية القائمة على الربا والاحتكار والاستغلال ومما زاد في فزعهم القرارات الحاسمة التي أعلنها الامام فور انتخابه للحكم والتي كان منها اقصاء ولاية عثمان عن جميع مراكز الدولة ، ومصادرة جميع ما نهبوه من الخزينة المركزية ، كما اضطربوا من اعلان الامام (ع) للمساواة العادلة بين جميع الشعوب الاسلامية ، مساواة في الحقوق ، والواجبات ، ومساواة في كل شيء ، وقد هالهم ذلك فكانوا يرون أن لهم التفوق على بقية الشعوب ، ولهم امتيازات خاصة على بقية الناس .

لقد ورمت آناف القرشيين وسائر القوى المنحرفة عن الحق من حكومة الامام فأجمع رأيهم على اعلان العصيان المسلح ، واشعال نار الحرب في البلاد اللطاحة بحكومته التي اتخذت الحكم وسيلة للاصلاح الاجتماعي ، وتطوير حياة الانسان ، وأول الحروب التي اثيرت على الامام هي حرب الجمل ، وأعقبته حرب صفين ثم حرب النهروان ، وقد وضعت تلك الحروب الحواجز والسدود أمام حكمه الهادف الى رفع مستوى القيم الانسانية ، والقضاء على جميع ألوان التأخر في البلاد .

ويقول الرواة ان الرسول (ص) قد أحاط الامام علماً بما يُمنى به في عهد خلافته من تمرد بعض الفئات عليه ، وقد عهد اليه بقتالهم وقد أسماهم الناكثين والقاسطين والمارقين (١) ولا بد لنا أن نعرض - بإيجاز -

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٩ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، أسد الغابة

٤ / ٣٣ ، كنز العمال ٦ / ٨٢ ، مجمع الزوائد ٩ / ٢٣٥ .

لهذه الحروب التي تصور لنا الحياة السياسية والفكرية في ذلك العصر الذي اترعت فيه عواطف الكثيرين بحب الملك والسلطان كما تصور لنا الأحقاد التي تكنها القبائل القرشية على الامام ، ومن المقطوع به أن هذه الاحداث قد ساهمت مساهمة ايجابية في خلق كارثة كربلاء فقد نشرت الأوبئة الاجتماعية وخلقت جيلاً انتهازياً ، لا ينشد إلا مطامعه الخاصة ، وفيما يلي ذلك :

الناكثون :

وهم الذين نكثوا بيمينهم ، وخاسوا ما عاهدوا عليه الله في النصحية والطاعة للامام ، فانسابوا في ميادين الباطل وساحات الضلال ، وتمرسوا في الاثم ، وقد أجمع فقهاء المسلمين على تأييدهم إذ لم يكن لهم أي مبرر في الخروج على السلطة الشرعية التي تبنت المصالح العامة ، وأخذت على عاتقها أن تسير بين المسلمين بالحق المحض والعدل الخالص وتقضي على جميع أسباب التخلف في البلاد .

اما اعلام الناكثين فهم طلحة والزبير ، والسيدة عائشة بنت ابي بكر ، ومروان بن الحكم ، وسائر بني امية ، وغيرهم من الذين ضاقوا ذرعاً من عدل الامام ، ومساواته .

دوافع التمرد :

والشيء المحقق انه لم تكن للناكثين أية اهداف اجتماعية ، وانا دفعتهم مصالحهم الخاصة لنكث بيعة الامام ، فطلحة والزبير قد خفياً إليه بعد ان تقلد الخلافة بطلبان منحها ولاية البصرة والكوفة ، فلما خبا املها

أظهرا السخط ، وخفياً الى مكة لاعلان الثورة عليه، وتمزيق شمل المسلمين وقد أدلى الزبير بتصريح أعرب فيه عن أهدافه ، فقد أقبل إليه وإلى طلحة رجل فقال لها : « إن لكما صحبة وفضلاً فأخبراني عن مسيركما وقاتلكما أشياء أمركما به رسول الله (ص) ؟ وسكت طلحة ، وأما الزبير فقال : « حُذِّثْنَا أَنْ هَاهُنَا بَيْضَاءُ وَصَفْرَاءُ - بَعْضِي دِرَاهِمٌ وَدَنَانِيرٌ - فَجِئْنَا لِنَأْخُذَ مِنْهَا . . . (١) .

من أجل الظفر بالمنافم المادية أعلن الشيخان تمردهما على حكومة الامام . وأما السيدة عائشة فانها كانت تزوم ارجاع الخلافة الى اسرتها ، فهي أول من قدح زناد الثورة على عثمان ، وأخذت تلهب المشاعر والعواطف ضده وكانت تقول : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » وقد جهدت على ترشيح طلحة للخلافة وكانت تشيد به في كل مناسبة إلا أنها أخيراً استجابت لعواطفها الخاصة المترعة بالود والحنان لابن أختها عبد الله بن الزبير فرشحته لامارة الصلاة وقدمته على طلحة .

وأما بنو أمية فقد طلبوا من الامام ان يضع عنهم ما أصابوه من المال في أيام عثمان ، فرفض الامام أن يضع عنهم ما اختلسوه من أموال الأمة فآظهروا له العداة ، وعملوا على اثاره الفتنة والخلاف . وعلى أي حال فانه لم تكن للناكثين نزعة اصلاحية أو دعوة إلى الحق وإنما كانت بواعثهم الأنانية والاطماع ، والأحقاد على الامام الذي هو نفس رسول الله (ص) وباب مدينة علمه .

(١) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ .

خديعة معاوية للزبير :

وأيقن معاوية بأهداف الزبير وطلحة ، فقام بدوره في خديعتهما واغرائهما ليتخذهما مسلماً يعبر عليها لتحقيق أهدافه ومآربه ، فقد كتب الى الزبير رسالة جاء فيها : « لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك ، أما بعد : فاني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب ، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليها ابن أبي طالب فانه لا شيء بعد هذين المصيرين ، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك ، فاطهرا الطلب بدم عثمان ، وادعوا الناس إلى ذلك ، وليكن منكما الجدد والتشمير أظفر كما الله وخلد مناوئكما . . . » .

ولما وصلت هذه الرسالة إلى الزبير لم يملك اياه من الفرح والسرور وخف الى طلحة فأخبره بذلك فلم يشك في صدق نيته واخلاصه لها ، وتحفزا إلى اعلان الثورة على الامام ، واتخذا دم عثمان شعاراً لها (١) .

مؤتمر مكة :

وخف المتآمرون الى مكة فاتخذوها وكرراً لدسائسهم التخريبية الهادفة لتقويض حكم الامام وقد وجدوا في هذا البلد الحرام تجاوباً فكرياً مع الكثيرين من أبناء القبائل القرشية التي كانت تكن في أعماق نفسها الكراهية والحقد على الامام لأنه قد وتر الكثيرين منهم في سبيل الاسلام . وعلى أي حال فقد تداول زعماء الفتنة الآراء في الشعار الذي يتبنونه والبلد التي يغزونها ، وسائر الشؤون الأخرى التي تضمن ثورتهم النجاح .

(١) شرح النهج ١ / ٢٣١ .

قرارات المؤتمر :

واتخذ أعضاء المؤتمر بالإجماع القرارات التالية ، وهي :

- ١ - أن يكون شعار المعركة دم عثمان ، والمطالبة بثاره لأنه قُتل مظلوماً ، واستباح الثوار دمه بعد توبته بغير حق ، لقد رفعوا قميص عثمان شعاراً لهم فكان شعاراً للتمرد وشعاراً للرأسمالية القرشية التي طغت في البلاد .
- ٢ - تحميل الامام علي (ع) المسؤولية في اراقة دم عثمان لأنه آوى قتلته ، ولم يقتص منهم .
- ٣ - الزحف الى البصرة واحتلالها ، واتخاذها المركز الرئيسي للثورة لأن لهم بها حزباً وأنصاراً ، وقد عرضوا عن الزحف الى يثرب لأن فيها الخليفة الشرعي ، وهو يتمتع بالقوى العسكرية التي لا قابلية لهم عليها ، كما عرضوا عن النزوح الى الشام لأن الامويين لم يستجيبوا لهم ، لأنها كانت تحت قبضتهم ، فخافوا عليها من التصدع والاحتلال .

تجهيز الجيش بالأموال المنهوبة :

وجهاز يعلي بن امية جيش عائشة بالاموال التي نهبا من بيت المال حينما كان والياً على اليمن أيام عثمان ، ويقول المؤرخون إنه أمد الجيش بستائة بعير ، وبستائة ألف درهم (١) وأمدهم عبد الله بن عامر والي عثمان على البصرة بمال كثير (٢) كان قد اختلسه من بيت المال ، ولم يتحرج أعضاء القيادة العسكرية العامة في جيش عائشة من هذه الأموال المحرمة .

(١) و (٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٠٦ .

الخطاب السياسي لعائشة :

وخطبت عائشة في مكة خطاباً سياسياً حملت فيه المسؤولية في اراقة دم عثمان على الغوغاء فهم الذين سفكوا الدم الحرام في الشهر الحرام ، وقد قتلوا عثمان بعد ما اقلع عن ذنوبه وأخلص في توبته ، ولا حجة لهم فيما اقترفوه من سفك دمه (١) ، وقد كان خطابها فيما يقول المحققون حافلاً بالمغالطات السياسية ، فان الغوغاء لم يسفكوا دمه ، وإنما سفك دمه الذين رفعوا علم الثورة عليه ، وفي طليعتهم كبار الصحابة كعمار بن ياسر وأبي ذر وعبد الله بن مسعود وطلحة والزبير ، وكانت هي بالذات من أشد الناقمين عليه فقد اشتدت في معارضته ، وأفتت في فتله وكفره فقالت : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، فأى علاقة للغوغاء بإراقة دمه ؟

وأما توبته فان عثمان أعلن غير مرة عن تراجعه عن أحداثه إلا أن بني أمية كانوا يزجونهم في مخططاتهم السياسية فيعود الى سياسته الأولى ، ولم يقلع عنها حتى قتل .

وعلى أي حال فقد كان خطابها أول بادرة لاعلان العصيان المسلح على حكومة الامام ، وكان الأولى بعائشة بحسب مكانتها الاجتماعية أن تدعو إلى وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين ، وان تقوم بالدعم الكامل للحكومة الامام التي تمثل أهداف النبي (ص) وما تصبو إليه الأمة من العزة والكرامة .

(١) نص خطابها في تاريخ الطبري ٣ / ٤٦٨ .

عائشة مع أم سلمة :

ومن الغريب حقاً أن تخف عائشة إلى أم سلمة تطلب منها القيام
بمناجزة الامام مع علمها بما تكنه من الولاء والتقدير له الأمر الذي دل على
عدم خبرتها بالاتجاهات الفكرية لضراتها من أزواج النبي (ص) ولما قابلتها
خاطبتها بناعم القول قائلة :

« يا بنت أبي امية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله (ص)
وأنت كبيرة أمهات المؤمنين ، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك ، وكان
جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك .. » .

ورمقتها أم سلمة بطرفها ، وقالت لها بريية :

« لامر ما قلت هذه المقالة ؟ » .

فأجابتها عائشة مخادعة :

« ان القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في الشهر الحرام ،
وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ، ومعي الزبير وطلحة فاخرجني معنا
لعل الله يصلح هذا الأمر على أيدينا . » .

وأسدت لها أم سلمة النصيحة وذكرتها بمواقفها مع عثمان ونقمنا عليه

وحذرتها من الخروج على ابن عم رسول الله (ص) قائلة :

« يا بنت أبي بكر بدم عثمان تطلبين !!؟ والله لقد كنت من أشد
الناس عليه ، وما كنت تسميه الا نعثلاً ، فمالكِ ودم عثمان ؟ وعثمان
رجل من بني عبدمناف وأنت امرأة من بني تميم بن مرة ، ويحك يا عائشة !!
أعلى علي وابن عم رسول الله (ص) تخرجين وقد بايعه المهاجرون والأنصار؟ ..»
وجعلت أم سلمة تذكر عائشة فضائل علي ومآثره وقرب منزلته من

رسول الله وكان عبد الله بن الزبير يسمع حديثها فغاظه ذلك ، وخاف أن
تصرف عائشة عن عزمها فصاح بها :

« يا بنت أبي أمية ، إننا قد عرفنا عداوتك لآل الزبير » .

فنهرت أم سلمة وصاحت به :

« والله لتوردننا ثم لا تصدننا أنت ولا أبوك !! أتطمع أن يرضى
المهاجرون والأنصار بأبيك الزبير وصاحبه طلحة ، وعلي بن أبي طالب حي
وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة » .

فقال لها ابن الزبير :

« ما سمعنا هذا من رسول الله (ص) ساعة قط » .

فقالت أم سلمة :

« إن لم تكن أنت سمعته فقد سمعته خالتك عائشة ، وما هي فاسألها
قد سمعته (ص) يقول . « علي خليفتي عليكم في حياتي ومماتي من عصاه
فقد عصاني » أتشهدين يا عائشة بهذا أم لا ؟ . . » .

فلم يسمع عائشة الإنكار وراحت تقول :

« اللهم نعم . . » .

ومضت أم سلمة في نصيحتها لعائشة قائلة :

« اتق الله يا عائشة في نفسك ، واحذر ما حذرك الله ورسوله ، ولا
تكون صاحبة كلاب الحوآب ، ولا يغررك الزبير وطلحة فإنها لا يغنيان
عنك من الله شيئاً . . » (١) .

ولم تمع عائشة نصيحة أم سلمة ، واستجابت لعواطفها ، وأصررت على
مناجزة الامام .

(١) الفتوح ٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .

وكتبت أم سلمة بجميع الأحداث التي جرت في مكة الى الامام (ع) واحاطته علماً بأعضاء الفتنة (١) .

الزحف الى البصرة :

وتحركت كتائب عائشة صوب البصرة ، ودق طبل الحرب ، وفادى المتمردون بالجهاد ، وقد نهافت ذور الأطماع والحاقدون على الامام الى الالتحاق بجيش عائشة ، قد رفعوا أصواتهم بالطلب بدم عثمان الذي سفكه طلحة والزبير وعائشة ، واتجهت تلك الجيوش لتشق كلمة المسلمين ، وتفرق البلاد بالثكل والحزن والحداد .

عسكر :

وسار موكب عائشة في البيداء يجلد السير ، فصادتهم العربي صاحب عسكر فعرض له راكب فقال له :

- يا صاحب الجمل أتبيع جملك ؟ .

- نعم .

- بكم .

- بألف درهم .

- ويحك !! . أجمنون أنت جمل يباع بألف درهم ؟

- نعم جملي هذا . فما طلبت عليه أحداً قط إلا أدركته ، ولا طابيني وأنا عليه أحد قط الا فته ...

(١) شرح النهج ٢ / ٧٩ .

« لو تعلم لمن زريده لأحسنت بيعنا »
 « لمن زريده ؟ » .
 « لأملك » .
 « لقد تركت أمي في بيتها قاعدة ما تريد براحا » .
 « إنما أريده لام المؤمنين عائشة » .
 « هو لك خلد بغير ثمن »
 « ارجع معنا الى الرجل فلنعطك ناقة مهربة ، وزيدك دراهم » .
 فقبل معهم فاعطوه الناقة واربعمائة درهم أو ستائة درهم ، وقدم
 عسكر إلى عائشة فاعتلت عليه (١) ، وقد أصبح كعجل بني اسرائيل فقطعت
 الأيدي ، وأزهقت الأنفوس واريقت الدماء من حوله .

الحوأب :

وسارت قافلة عائشة فاجتازت على مكان يقال له (الحوأب) فتلقت
 الركب كلاب الحي بهرير وعواء فلدعرت عائشة ، فالتفتت إلى محمد بن
 طلحة فقالت له :

- أي ماء هذا يا محمد ؟
 - ماء الحوأب يا أم المؤمنين .
 - فهضت وهي تلهث :
 - ما أراني إلا راجعة .
 - لمَ يا أم المؤمنين ؟
 - سمعت رسول الله يقول لنسائه : كأني باحداكن قد نبحتها
-
- (١) ابن الأثير ٣ / ١٠٧ ، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٥ ، تذكرة الخواص .

كلاب الحوآب وإياك أن تكوئي أنت يا حميراء (١) .

- تقدمي رحمك الله ودع هذا القول .

فلم تبرح من مكانها ، وطاقف بها الهموم والآلام ، وأيقنت بضلالة
قصدها ، وذعرت القيادة العسكرية من توقف عائشة التي اتخذوها قبلة لهم
يفرون بها السلج والبسطاء فخفوا اليها في دهشة قائلين :
« يا أمه » .

فقطعت عليهم الكلام وراحت تقول بنبرات ملؤها الاسى والحزن .

« أنا والله صاحبة كلاب الحوآب . . ردوني ، ردوني » .

وأسرع إليها ابن اختها عبد الله بن الزبير كأنه ذئب فانهارت امامه ،
واستجابت لمواطنها ، ولولاه لارتدت على عقبيها الى مكة فجاء لها بشهود
اشترى ضمائرهم فشهدوا عندها أنه ليس بماء الحوآب وهي أول شهادة زور
تقام في الاسلام (٢) فاقلعت عن فكرتها واخذت تقود الجيوش لحرب
وصي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه .

في ربوع البصرة :

ودهمت جيوش عائشة اهل البصرة فملئت قلوبهم ذعراً وفزعاً ،

(١) روى ابن عباس عن رسول الله (ص) أنه قال يوماً لنسائه

وهن جميعاً عنده : ايتكن صاحبة الجمل الأدب تنبأها كلاب الحوآب ،

يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة كلهم في النار ، وتنجو بعدما كادت ،

شرح النهج ٢ / ٢٩٧ ، ابن كثير ٦ / ٢١٢ ، الخصائص للسيوطي ٢ / ١٣٧

الاستيعاب وجاء فيه : « وهذا الحديث من اعلام نبوته (ص) » .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٤٧ ، تاريخ يعقوبي .

وخوفاً ، فقد احاطت ببلدهم القوات العسكرية التي تنذر باحتلال بلدهم وجعلها منطقة حرب ، وعصيان على الخليفة الشرعي ، وانبرى حاكم البصرة عثمان بن حنيف وهو من ذوي الادارة والحزم والحريجة في الدين ، فبعث أبا الأسود الدؤلي الى عائشة يسألها عن سبب قدومها الى مصرهم ، ولما مثل عندها قال لها .

- ما أقدمك يا أم المؤمنين ؟

- اطلب بدم عثمان .

- ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد .

- صدقت ، ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة ، وجئت أستنهض

أهل البصرة لقتاله ، انغضب لكم من سوط عثمان ، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم . .

ورد عليها أبو الأسود قائلاً :

« ما أنتِ من السوط والسيف ، انما أنتِ حبيسة رسول الله (ص) »

أمرك أن تقرري في بيتك وتبلي كتاب ربك ، وليس على النساء قتال ، ولا لهن الطلب بالدماء ، وان هلياً لأولى منك ، وأمس رحماً ، فانهما ابنا عبد مناف .

ولم تدعن لقوله ، وراحت مصرة على رأيها قائلةً :

« لست بمنصرفه حتى أهضي لما قدمت إليه ، أفتظن أبا الأسود أن

أحداً يقدم على قتالي ؟ » .

وحسبت أنها تتمتع بحصانة لعلاقتها الزوجية من النبي (ص) فلا

يقدم أحد على قتلها ، ولم تعلم أنها أهدرت هذه الحرمة ولم ترع لها جانباً

فأجابها أبو الأسود بالواقع قائلاً :

« أما والله لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد . »

ثم انعطف أبو الأسود صوب الزبير فذكره بماضي ولاته للامام وقر به منه قائلًا .

« يا أبا عبد الله عهد الناس بك ، وأنت يوم بويح أبو بكر آخذًا بقائم سيفك تقول : لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب ، وأين هذا المقام من ذلك ؟ » .

فأجابه الزبير بما لم يؤمن به قائلًا :

« نطلب بدم عثمان » .

« أنت وصاحبك وليتماه فيما بعد » .

ولأنَّ الزبير واستجاب لنصيحة أبي الأسود الا انه طلب منه مواجهة طلحة وعرض الأمر عليه ، فأسرع أبو الأسود تجاه طلحة وعرض عليه النصيحة فأبى من الاستجابة وأصر على الغي والعدوان (١) ورجع أبو الأسود من وفادته التي اخفق فيها فاحاط ابن حنيف علماً بالأمر فجمع أصحابه وخطب فيهم وقال :

« أيها الناس ، انما بايعتم الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا والله لو علم علي أحدًا أحق بهذا الأمر منه ما قبله ، ولو بايع الناس غيره لبايع ، وأطاع وما به الى أحد من صحابة رسول الله (ص) حاجة وما بأحد عنه غنى ، ولقد شاركهم في محاسنهم ، وما شاركوه في محاسنه ، ولقد بايع هذان الرجلان ، وما يريدان الله ، فاستحلا القمام قبيل الرضاع ، والرضاع قبل الولادة ، والولادة قبل الحمل ، وطلبنا ثواب الله من العباد ، وقد زعما أنهما بايعا مستكرهين ، فان كانا استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما أن يقولوا ولا يأمرنا ، إلا وان الهدى ما كانت عليه

(١) شرح النهج ٢ / ٨١ .

العامّة ، والعامّة على بيعة علي فما ترون أيها الناس ؟ .
فقام إليه الفذّ النبيل حكيم بن جبلة فخاطبه بمنطق الايمان والحق والاصرار
على الحرب (١) .

وجرت مناظرات بين الفريقين إلا انها لم تنته الى خير ، وخطب
طلحة والزبير ، وكان خطابهما الطلب بدم عثمان ، فرد عليهما أهل البصرة
من كانت تأييدهم . سل طلحة بالتحريض على قتل عثمان وحملوه المسؤولية
في اراقة دمه وخطبت عائشة خطابها الذي كانت تكرره في كل وقت وهو
التحريض على المطالبة بدم عثمان لأنه قد خلاص من ذنوبه ، واعلن توبته
ولكنها لم تنه خطابها حتى ارتفعت الأصوات فقوم يصدقونها وقوم يكذبونها
وتسابوا فيما بينهم وتضاربوا بالنعال ، واقتتل الفريقان أشد القتال وأعنفه
وأسفرت الحرب عن عقد هدنة بينهما حتى يقدم الامام علي ، وكتبوا بينهم
كتاباً وقعه عثمان بن حنيف ، وطلحة والزبير وقد جاء فيه باقرار عثمان
ابن حنيف على الامرة ، وترك المسلحة وبيت المال له ، وان يباح للزبير
وطلحة وعائشة ومن أنضم اليهم أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة .

ومضى ابن حنيف يقيم بالناس الصلاة ، ويقسم المال بينهم ، ويعمل
على نشر الأمن واعادة الاستقرار في مصر ، إلا أن القوم قد خاسوا بعهدهم
ومواثيقهم ، فأجمعوا على الفتك بابن حنيف ، ويقول المؤرخون : ان حزب
عائشة انتهزوا ليلة مظلمة شديدة الريح فعدوا على ابن حنيف وهو يصلي
بالناس صلاة العشاء فأخذوه ثم عدوا الى بيت المال فقتلوا من حرسه أربعين
رجلاً ، واستولوا عليه ، وزجوا بابن حنيف في السجن وأسرفوا في تعذيبه
بعد أن نتفوا لحيته وشاربيه (٢) .

(١) الامامة والسياسة ١ / ٦٤ .

(٢) شرح النهج ٢ / ٥٠ .

وغضب قوم من اهل البصرة ، ولقموا على ما اقترفه القوم من نقض الهدنة ، والنكاية بحاكمهم ، واحتلال بيت المال فخرجوا يريدون الحرب ، وكانت هذه الفئة من ربيعة رأسها البطل العظيم حكيم بن جبلة فقد خرج في ثلثائة رجل من بني عبد القيس (١) وخرج اصحاب عائشة ، وحلوا معهم على جبل ، وسمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر (٢) والتحم الفريقان في معركة رهيبية ، وقد ابلى ابن جبلة بلاءاً حسناً ، ويقول المؤرخون ان رجلاً من اصحاب طلحة ضربه ضربة قطعت رجله ، فجثا حكيم واخذ رجله المقطوعة فضرب بها الذي قطعها فقتله ، ولم يزل يقاتل حتى قتل (٣) لقد اضاف القوم الى نقض بيعتهم للامام نكثهم للهدنة التي وقعوا عليها مع ابن حنيف ، واراقتهم للدماء بغير حق ونهبهم ما في بيت المال وتكيلهم بابن حنيف ويقول المؤرخون انهم قد هموا بقتله لولا انه هددهم بأخيه سهل بن حنيف الذي يحكم المدينة من قبل علي وانه سيضع السيف في بني ابيهم إن اصابوه بمكروه ، فخافوا من ذلك ، واطلقوا سراحه فانطلقت حتى التحق بالامام في بعض طريقه الى البصرة فلما دخل عليه قال للامام مداعباً :

« ارسلني الى البصرة شيخاً فجتتلك امرد ،

واغررت هذه الاحداث الصدور ، وزادت الفرقة بين اهل البصرة فقد انقسموا على انفسهم فطائفة منهم تسلموا حتى التحقوا بالامام ، وقوم انضموا الى جيش عائشة ، وطائفة ثالثة اعتزلت الفتنة ، ولم يطب لها الانضمام الى احد الفريقين.

(١) شرح النهج ٢ / ٥٠ .

(٢) حياة الامام الحسن ١ / ٤٣٠ .

(٣) أسد الغابة ٢ / ٤٠ .

النزاع على الصلاة :

وليس من الغريب في شيء أن يتنازع كل من طلحة والزبير على امامة الصلاة فإنها إنما تكنا بيعة الامام (ع) طمعاً بالحكم وسعيّاً وراء المصالح المادية ، ويقول المؤرخون إن كل واحد منهما كان يروم التقدم على صاحبه لامامة الناس ، والآخر بمنعه حتى فات وقت الصلاة ، فخافت عائشة من تطور الاحداث فأمرت أن يصلي بالناس يوماً محمد بن طلحة ، ويوماً عبدالله ابن الزبير (١) فذهب ابن الزبير ليصلي فجلده محمد ، وتقدم للصلاة فمنعه عبد الله ، ورأى الناس أن خير وسيلة لقطع حبل النزاع القرعة فاقترعا فخرج محمد بن طلحة ، فتقدم وصلى بالناس وقرأ في صلاته « سأل سائل بعذاب واقع » وأثارت هذه الصور الهزيلة السخرية عليهم بين الناس ، واندفعوا الى تقدمهم ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تبارى الغلامان إذ صلبا وشح على الملك شيخاهما
ومالي وطلحة وابن الزبير وهذا بلدي الجدع مولاها
فأمهما اليوم غرتهما ويعلي بن منية ولاهما (٢)

ان هذه البادرة تصور مدى تهالك القوم على الامرة والسلطان ، وهم بعد في بداية الطريق فلو كتب لهم النجاح في القضاء على حكم الامام لفتح بعضهم على بعض باب الحرب للاستيلاء على زمام الحكم

رسل الامام الى الكوفة :

وأوفد الامام رسله الى أهل الكوفة يستنجد بهم ، ويدعوهم الى

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٧ (٢) الأغاني ١١ / ١٢٠

نصرته ، والقيام معه لاختداد نار الفتنة التي أشعلها المتمردون ، وأقبلت الرسل الى الكوفة فوجدوا عاملها أبا موسى الأشعري يدعو الى الفتنة ، ويخذل الناس عن نصره امامهم ويدعوهم الى التمرد ، وبجيب لهم العافية ، ولم تكن لأبي موسى حجة في ذلك ، وانما كان يعبر عن حقه ، واضغانه على الامام وكان فيما أجمع عليه المؤرخون عثماني الهوى ، وأقبلت رسل الامام على أبي موسى يعنفونه ، ويلومونه ، الا انه لم يعن بهم ، فبعثوا الى الامام رسالة ذكروا فيها تمرده وعدم استجابته لنداء الحق ، وأرسل اليه الامام هاشم المرقال وهو من خيرة أصحاب الامام ، وزوده برسالة يطلب فيها مجيء أبي موسى اليه ، ولما انتهى اليه هاشم وعرض عليه رسالة الامام لم يستجب له وبقي مصمماً على عناده وعصيانه ، فأرسل هاشم الى الامام رسالة يخبره فيها بموقف أبي موسى ، وتمرده فبعث الامام واسده الحسن وعمار بن ياسر ومعها رسالة بعزله ، وتعيين قرظبة بن كعب الأنصاري في مكانه ، ولما وصل الامام الحسن الى الكوفة التأم الناس حوله زمراً ، وهم يظهرون له الطاعة والولاء ، واعلن لهم عزل الوالي المتمرد وتعيين قرظبة في منصبه الا ان ابا موسى بقي مصمماً على غيه يثبسط عزائم الناس ويدعوهم الى التخاذل والخروج عن الطاعة ولم يستجب للامام الحسن ، ورأى الزعيم الكبير مالك الاشر ان الامر لا يتم إلا باخراج ابي موسى مهان الجانب فجمع نفراً من قومه اولى بأس شديد فاغار بهم على قصر الامارة ، واخذ الناس ينهبون أمتعته وأمواله ، فاضطر الجبان الى الاعتزال عن عمله ، ومكث ليلته في الكوفة ثم خرج هارباً حتى أتى مكة فاقام مع المعتزلين .

ودعا الامام الحسن (ع) الناس الى الخروج لنصرة أبيه ، وقد نفر معه آلاف كثيرة فريق منها ركب السفن ، وفريق آخر ركب المطي ، وهم مسرورون كأشد ما يكون السرور بنصرتهم للامام .

وطوت الجيوش البيداء تحت قيادة الامام الحسن فانتهوا الى ذي قار حيث كان الامام (ع) مقيماً هناك ، وقد سر (ع) بنجاح ولده وشكر له مساعيه وجهوده ، وانضمت جيوش الكوفة الى الجيش الذي كان مع الامام ، والبالغ عدده أربعة آلاف ، وكان فيهم أربع مائة ممن شهد بيعة الرضوان مع النبي (ص) وقد اسند الامام قيادة ميمنة جيشه الى الحسن ، وقيادة ميسرته الى الحسين (ع) (١) كما كانت جيوشه مزودة باحسن السلاح ، ويقول المؤرخون ان الحسين كان قد ركب فرس جسده (ص) المسمى بالمرتجز (٢) .

التقاء الجيشين :

وتحركت قوات الامام من ذي قار ، وهي على بينة من أمرها فلم تكن مترددة ولا شاكة في أنها على الهدى والحق ، وقد انتهت الى مكان يسمى بالزاوية يقع قريباً من البصرة فأقام فيه الامام ، وقد بادر الى الصلاة وبعدها فرغ منها أخذ يبكي ودموعه تسيل على صحنات وجهه الشريف وهو يتضرع الى الله في أن يحقن دماء المسلمين ، ويجنبه ويلات الحرب ، ويجمع كلمة المسلمين على الهدى والحق .

رسل السلام :

وأوفد الامام (ع) رسل السلام للقاء عائشة وهم زيد بن صوحان

-
- (١) جواهر المطالب في مناقب الامام أبي الحسن (ص ٤٣) لشمس الدين أبي البركات من مصورات مكتبة الامام أمير المؤمنين .
(٢) وقعة الجمل (ص ٣٥) تأليف محمد بن زكريا بن دينار .

وعبيد الله بن العباس ، ولما مثلاً عندهما : ذكرهما بما أمرهما الله أن تقر في بيتها وان لا تسفك دماء المسلمين وبالغاني نصيحتها ولو أنها وعت نصيحتها لعادت على الناس بالحير العميم وجنبتهم كثيراً من المشاكل والفتن إلا انها جعلت كلامهما دبر اذنيها وراحت تقول لهما :

« اني لا أرد على ابن أبي طالب بالكلام لأنني لا ابلغه في الحجاج . » (١) .
وبذل الامام قصارى جهوده في الدعوة الى السلم ، وعدم اراقة الدماء الا أن هناك بعض العناصر لم ترق لها هذه الدعوى وراحت تسعى لاشعال نار الحرب وتقويض دعائم السلم

الدعوة الى القرآن :

ولما باءت بالفشل جميع الجهود التي بلدتها الامام من أجل حقن الدماء ندد الامام أصحابه ، لرفع كتاب الله العظيم ودعوة القوم الى العمل بما فيه ، وأخبرهم أن من يقوم بهذه المهمة فهو مقتول فلم يستجب له أحد سوى فتي نبيل من أهل الكوفة فانبرى الى الامام ، وقال :

« أنا له يا أمير المؤمنين » .

فأشاح الامام بوجهه عنه ، وطاف في أصحابه ينتدبهم لهذه المهمة فلم يستجب له أحد سوى ذلك الفتي فناوله الامام المصحف ، فانطلق الفتي مزهواً لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب ، وهو يلوح بالكتاب أمام عسكر عائشة ، قد رفع صوته بالدعوة الى العمل بما فيه ولكن القوم قد دفعتهم الأتانية الى الفتك به فقطعوا يمينه ، فأخذ المصحف يبساره ، وهو يناديهم بالدعوة الى العمل بما فيه ، فاعتدوا عليه وقطعوا يساره ، فأخذ المصحف

(١) الفتوح ٢ / ٣٠٦ .

باسنانه وقد نزف دمه ، وراح يدعوهم الى السلم وحقن الدماء قائلاً :
« الله في دمائنا ودمائكم » .

وانثالوا عليه يرشقونه بنياهم فوقع على الأرض جثة هامدة ، فانطلقت
إليه أمه تبكيه وترثيه بلذوب روحها قائلةً :

يا رب ان مسلماً أقاتهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم
فخضبوا من دمه لحامهم وأمه قائمة تراهم
ورأى الامام بعد هذا الاعدر ان لا وسيلة له سوى الحرب فقال
لأصحابه :

« الآن حل قتالهم ، وطاب لكم الضراب » (١) ودعا الامام حسين
ابن المنذر وكان شاباً فقال له :

« يا حسين دونك هذه الراية فوالله ما خفقت قط فيما مضى ، ولا
تخفق فيما بقي راية أهدي منها إلا راية خفقت على رسول الله (ص) . » .
وفي ذلك بقول الشاعر :

لمن راية سوداء يخفق ظلها اذا قيل قدمها حسين تقدمها
يقدمها للموت حتى يزيرها حياض المنايا يقطر الموت والدم (٢)

الحرب العامة :

ولما استيأس الامام من السلم عبأ جيشه تعبئة عامة ، وكذلك فعل
أصحاب عائشة ، وقد حملوها على جملها (عسكر) وأدخلت هودجها المصنوع
بالدروع ، والتحم الجيشان التحاماً رهيباً ، ويقول بعض المؤرخين : ان

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٤٦ .

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ ص ١٨٠ .

الامام الحسين قد تولى قيادة فرقة من فرق الجيش وأنه كان على الميسرة ،
وخاض المعركة ببسالة وصمود (١) وكان جمل عائشة فيما يقول بعض من
شهد المعركة هو راية أهل البصرة بلوذن به كما يلوذ المقاتلون براياتهم ،
وقد حمل الامام عليهم وقد رفع العلم بيسراه ، وشهر في يمينه ذا الفقار
الذي طالما ذب به عن دين الله وحارب به المشركين على عهد رسول الله (ص) .
واقتل الفريقان كأشد ما يكون القتال ضراوة يريد أصحاب عائشة
أن يحرزوا النصر ويحموا أمهم ويريد أصحاب علي أن يحموا امامهم
 ويموتوا دونه .

مصرع الزبير :

وكان الزبير رقيق القلب شديد الحرص على مكانته من النبي (ص)
الا أن حب الملك هو الذي اغراه ودفعه الى الخروج على الامام يضاف
الى ذلك ولده عبد الله فهو الذي زج به في هذه المهالك ، وباعد ما بينه
وبين دينه ، وقد عرف الامام (ع) رقة طبع الزبير فخرج الى ميسدان
القتال ورفع صوته :

- ابن الزبير ؟

فخرج الزبير وهو شاك في سلاحه فلما رآه الامام بادر اليه واحتنقه
وقال له بناعم القول :

- يا أبا عبد الله ما جاء بك ما هنا ؟

- جئت أطلب دم عثمان .

فرمقه الامام بطرفه وقال له :

(١) سير اعلام النبلاء ٣ / ١٩٣ .

- تطلب دم عثمان ، ١١

- نعم .

- قتل الله من قتل عثمان .

وأقبل عليه بجدته برفق ، قائلاً :

« أنشدك الله يا زبير ، هل تعلم أنك مررت بي وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو منكبي، على يدك ، فسلم علي رسول الله ، وضحك إلي ، ثم التفت إليك فقال لك : يا زبير إنك تقاتل علياً وأنت له ظالم . . » .
وتذكر الزبير ذلك وقد ذهبت نفسه أسى وحسرات ، وندم أشد ما يكون الندم على موقفه هذا والتفت الى الامام وهو يصدق مقاله :

- اللهم نعم .

- فعلام تقاتلني ؟

- نسبتها والله . ولو ذكرتها ، ما خرجت إليك ولا قاتلتك (١) .

- ارجم .

- كيف ارجم ، وقد التقت حلقتا البطان هذا والله العار الذي

لا يغسل ؟

- ارجع قبل أن تجمع العار والنار .

وأولى عنان فرسه ، وقد ملكت الخيرة والقلق أهابه ، وراح يقول :

اخترت عاراً على نار . ووجبة ما إن يقوم لها خلق من الطين

نادى علي بأمر لست أجهله . عار لعمرك في الدنيا وفي الدين

وقلت حسبك من عدل أبا حسن . فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني (٢)

وقفل الامام راجعاً الى أصحابه فقالوا له : تبرز الى الزبير حاسراً ،

(١) الامامة والسياسة ١ / ٧٣ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٤٧ .

وهو شاك السلاح ، وأنت تعرف شجاعته ۱۱ فقال (ع) :

« انه ليس بقاتلي ، انما يقتلني رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة في غير مأقط (۱) حرب ولا معركة رجال ، وبل امه أشقى البشر ليود أن امه هببت به ، أما أنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن . . . » (۲) .

واستجاب الزبير لنداء الامام فأنجه صوب عائشة فقال لها :

« يا أم المؤمنين إني والله ما وقفت موقفاً قط الا عرفت اين أضمر قدمي فيه الا هذا الموقف ۱۱؟ فاني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر . ۱۲ ، وعرفت عائشة تغيير فكرته وعزمه على الانسحاب من حومة الحرب فقالت له باستهزاء وسخرية مثيرة عواطفه .

« يا أبا عبد الله خفت سيوف بني عبد المطلب ۱۱؟ » .

وعاثت هذه السخرية في نفسه فالتفت اليه ولده عبد الله فعيره بالخبين قائلاً :

« انك خرجت على بصيرة ، ولمكنك رأيت رايات ابن أبي طالب ، وعرفت ان تحتها الموت فجبننت ۱۱؟ » .

انه لم يخرج على بصيرة ولا بدينة من أمره ، وانما خرج من أجل الملك والسلطان ، والتاع الزبير من حديث ولده فقال له :

- ويحك اني قد حلفت له أن لا اقاتله .

- كفر عن يمينك بعنق غلامك سرجس .

فاعتق غلامه وراح يجول في ميدان الحرب ليرى ولده شجاعته ويوضح له أنه انما فرّ بدينه لاجبناً ولا خوراً ، ومضى منصرفاً على وجهه حتى أتى وادي السباع ، وكان الأحنف بن قيس مع قومه مقيمين هناك ،

(۱) المأقط : ساحة القتال .

(۲) شرح النهج ۱ / ۱۳۵ .

فتبعه ابن جرموز فاجهز عليه وقتله غيلة ، وحمل نباله مقتله الى الامام فحزن عليه كأشد ما يكون الحزن ، ويقول الرواة : انه أخذ سيفه وهو يقول : سيف طالما جلا الكروب عن وجه رسول الله (ص) وعلى أي حال لقد كانت النهاية الأخيرة للزبير تدعو الى الأسف والأسى ، فقد تمرد على الحق واعلن الحرب على وصي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه .

مصرع طلحة :

وخاض طلحة المعركة ، وهو يحرض جيشه على الحرب فبصر به مروان بن الحكم فرماه بسهم طلباً بثأر عثمان ، فوقع على الأرض يتخبط بدمه ، وكان مروان يقول لبعض ولد عثمان لقد كفيتك ثأر أبيك من طلحة وأمر طلحة مولاه أن يأوي به الى مكان ينزل فيه فأوى به بعد مشقة الى دار خربة من دور البصرة فهلك فيها بعد ساعة .

قيادة عائشة للجيش :

وتولت عائشة قيادة الجيش بعد هلاك الزبير وطلحة ، وقد تفانت بنو ضبة والأزد ، وبنو ناجية في حمايتها ، ويقول المؤرخون انهم هاموا بحبها فكانوا يأخذون بهر جملها ويشمون به ، ويقولون : بهر جمل أمنا ريجه ريح المسك . وكانوا محذقين به لا يريدون فوزاً ولا انتصاراً سوى حمايتها وان راجزهم يرتجز :

يا معشر الأزد عليكم امكم فانها صلاتكم وصومكم

(١) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٩٧ .

والحرمة العظمى التي تميمكم فاحضروها جسدكم وحزمكم
لا يغلبن سم العدو سمكم إن العدو ان علاكم زمكم
وخصمكم بجوره وعمكم لاتفضحوا اليوم فداكم قومكم (١)
وكانت تعرض على الحرب كل من كان على يمينها ومن كان على
شمالها ، ومن كان أمامها ، قائلة : انما يصبر الأحرار ، وكان أصحاب
الامام يلحون على أصحاب عائشة بالتخلي عنها وراجزهم يرتجز :
يا أمنا أعتق أم نعلم والام تغدو ولدها وترحم
أما ترين كم شجاع يكلم وتختلي منه يد وممصم
وكان أصحاب عائشة يردون عليهم ويقولون :
نحن بني ضبة أصحاب الجمل ننازل القرن اذا القرن نزل
والقتل أشهى عندنا من العسل نبغي ابن عفان باطراف الأسل
ردوا علينا شيخنا ثم بجمل
واشدت القتال كأشد وأعنف ما يكون القتال ، وكثرت الجرحى وملئت
أشلاء القتلى وجه الأرض .

عقر الجمل :

ورأى الامام ان الحرب لا تنتهي ما دام الجمل موجوداً ، فصاح (ع)
باصحابه اعزوا الجمل فان في بقائه فناء العرب ، وانعطف عليه الحسن
فقطع يده اليمنى وشد عليه الحسين فقطع يده اليسرى (٢) فهوى الى جنبه
وله عجيبي منكر لم يسمع مثله ، وفرّ حماة الجمل في البيداء فقد تحطم صنمهم

(١) شرح النهج ٢ / ٨١ .

(٢) وقعة الجمل (ص ٤٤) لمحمد بن زكريا .

الذي قدموا له هذه القرابين ، وأمر الامام بحرقه وتذرية رماده في الهواء
اثلا تبقى منه بقية يفتتن بها السذج والبسطاء ، وبعد الفراغ من ذلك قال :

« لعنة الله من دابة فما أشبهه بعجل بني اسرائيل !! » .

ومد بصره نحو الرماد الذي تناهبه الهواء فتلا قوله تعالى : « وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسنفنه في اليم نسفاً » .

وبذلك فقد وضعت الحرب أوزارها ، وكتب النصر للامام وأصحابه

وباءت القوى الغادرة بالخزي والخسران .

وأوفد الامام للقباء عائشة الحسن والحسين ومحمد بن أبي بكر (١)

فانطلقوا اليها فمد محمد يده في هودجها فجفلت منه ، وصاحت به .

— من أنت ؟

— ابغض أهلك اليك

— ابن الخثعمية ؟

— نعم أخوك البر .

— عقوق

— هل اصابك مكروه ؟

— سهم لم يضرنني .

فانتزعه منها ، وأخذ بحطام هودجها ، وأدخلها في الهزيع الأخير من

الليل الى دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحارث فأقامت

فيه أياماً .

العدو العام :

وسار علي في أهل البصرة سيرة رسول الله (ص) في أهل مكة

(١) وقعة الجمل (ص ٤٥)

- كما قال (ع) - فأمن الأسود والأحمر - على حد تعبير اليعقوبي - (١) ولم ينكل بأي أحد من خصومه ، وجلس للناس فبايعه الصحيح منهم والجريح ثم عمد الى بيت المال فقسم ما وجد فيه على الناس بالسواء ، وسار (ع) الى عائشة فبلغ دار عبد الله بن خلف الخزاعي الذي أقامت فيه عائشة ، فاستقبلته صفية بنت الحارث شر لقاء فقالت له : يا علي يا قاتل الأحبة ايتم الله بنيك كما أيتمت بني عبد الله ، وكان قد قتلوا في المعركة مع عائشة فلم يجبها الامام ومضى حتى دخل على عائشة ، فأمرها أن تغادر البصرة وتمضي الى يثرب لتقر في بيتها كما أمرها الله ، ولما انصرف اعادت عليه صفية القول الذي استقبلته به فقال لها : لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذا البيت ، وهو يشير الى أبواب الحجرات المقفلة ، وكان فيها كثير من الجرحى ، وغيرهم من أعضاء المؤامرة ، قد آوتهم عائشة ، فسكنت صفية ، وأراد من كان مع الامام أن يبطشوا بهم فزجرهم زجراً عنيفاً ، وبذلك فقد منح العفو لأعدائه وخصومه .

وسرح الامام عائشة تسريحاً جميلاً ، وأرسل معها جماعة من النساء بزي الرجال لتقر في بيتها حسب ما أمرها الله ، وقد رحلت عائشة من البصرة وأشاعت في بيوتها الشكل والحزن والحداد ، يقول عمير بن الأهلب الضبي وهو من أنصارها :

لقد أورتنا حومة الموت أمنا فلم تنصرف الا ونحن رواء
اطعنا بني تيم لشقوة جسدنا وما تسم الا أعبد واماء (٢)
لقد أوردت أم المؤمنين ابناها حومة الموت ، فقد كان عدد الضحايا
من المسلمين فيما يقول بعض المؤرخين عشرة آلاف نصفهم من أصحابها ،

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٩ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ٢٥٦ .

والنصف الآخر من اصحاب الامام (١) وكان من اعظم الناس حسرة
الامام لعلمه بما تجر هذه الحرب من المصاعب والمشاكل .

متارك الحرب :

واعقبت حرب الجمل افدح الخسائر ، واعظم الكوارث التي ابتهل
بها المسلمون ومن بينها ما يلي .

١ - انها مهدت السبيل لمعاوية لمناجزة الامام ، والتصميم على قتاله ،
فقد نبى شعار معركة الجمل وهو المطالبة بدم عثمان ولولا حرب الجمل
لما استطاع معاوية أن يعلن العصيان والتمرد على حكم الامام .

٢ - انها اشاعت الفرقة والاختلاف بين المسلمين ، فقد كانت روح
المودة والالفة سائدة فيهم قبل حرب الجمل ، وبعدها انتشرت البغضاء
بين افراد الاسر العربية لقبائل ربيعة واليمن في البصرة اصبحت تكن اعرق
البغض والكراهية لاخوانهم من ربيعة لقبائل اليمن في الكوفة وتطالبها بما
اريق من دماء ابنائها بل اصبحت الفرقة ظاهرة شائعة حتى في البيت الواحد
فبعض ابنائه كانوا شيعة لعلي والبعض الآخر كانوا شيعة لعائشة ، ويقول المؤرخون :
ان البصرة بقيت محتفظة بولائها لعثمان حفنة من السنين ، وان الامام الحسين (ع)
انما لم ينزح إليها لما عرفت به من الولاء لعثمان .

٣ - انها اسقطت هيبة الحكم ، وجرأت على الخروج عليه ، فقد
تشكلت الاحزاب النفعية ، التي لاهم لها الا الاستيلاء على السلطة والظفر
بمخيرات البلاد ، حتى كان التطاحن على الحكم من ابرز سمات ذلك العصر .

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٢٢٤ وفي رواية ابى الصلاء في انساب

الاشراف ج ١ ق ١ ص ١٨٠ ان عدد الضحايا عشرون الفاً .

٤ - انها فتحت باب الحرب بين المسلمين ، وقبلها كان المسلمون يتحرجون أشد ما يكون التحرج في سفك دماء بعضهم بعضاً .

٥ - انها عملت على تأخير الاسلام ، وشل حركته ، وايقاف نموه ، فقد انصرف الامام بعد حرب الجمل الى مقاومة التمرد والعصيان الذي اعلنه معاوية وغيره من الطامعين في الحكم مما ادى الى افدح الخسائر التي مني بها الاسلام ، يقول الفيلسوف (واز) : ان الاسلام كاد ان يفتح العالم اجمع لو بقي سائراً سيرته الاولى ، لو لم تنشب في وسطه من اول الامر الحرب الداخلية ، فقد كان هُماً عائشة ان تقهر علياً قبل كل شيء . ، (١)

٦ - واستباححت هذه الحرب حرمة العترة الطاهرة التي قرنها النبي (ص) بمحکم التنزيل ، وجعلها سفن النجاة ، وامن العباد ، فمنذ ذلك اليوم شهرت السيوف في وجه عترة النبي (ص) واستحل الاوغاد اراقة دمائهم ، وسبي ذراريهم فلم يرع بنو أمية في وقعة كربلا اي حرمة للنبي (ص) في ابنائه ، وانتهكوا معهم جميع الحرمات .

هذه بعض متارك حرب الجمل التي جرت للمسلمين افدح الخسائر في جميع فترات التاريخ .

القاسطون :

ولم يكذب يفرغ الامام (ع) من حرب الناكثين كما اسماهم رسول الله (ص) حتى جعل يتأهب لحرب القاسطين الذين اسماهم النبي (ص) بذلك ، ورأى الامام ان يغادر البصرة الى الكوفة ليستعد لحرب عدو عنيف هو معاوية بن ابي سفيان الذي حارب رسول الله (ص) وابلى في حربه أشد

(١) شيخ المضيرة (ص ١٧٣)

البلاء وأقواه ، ولم يكن معاوية بأقل تنكراً للإسلام وبغضاً لأهله من أبيه ، وكان المسلمون الاولون ينظرون إليها نظرة ريبة وشك في اسلامها ، وقد استطاع بمكره ودهائه أن يغزو قلب الخليفة الثاني ، ويحتل المكانة المرموقة في نفسه فجعله والياً على الشام ، وظل يببالغ في تسديده وتأييده ، وبعد وفاته أقره عثمان وزاد في رقعة سلطانه ، وظل معاوية في الشام يعمل عمل من يريد الملك والسلطان فأحاط نفسه بالقوة واشترى الضمائر ، وسخر اقتصاد بلاده في تدعيم سلطانه ، وبعد الاحداث التي ارتكبها عثمان علم معاوية أنه مقتول لا محالة ، فاستغاث به عثمان حينما حوصر فابطأ في نصره ، وظل متربصاً حتى قتل ليتخذ من قميصه وذمه وسيلة للتشبث بالملك ، وقد دفعه الى ذلك حرب الجمل التي كان شعارها المطالبة بدم عثمان ، فاتخذه خير وسيلة للتدرع لنيل الملك ويقول المؤرخون انه استعظم قتل عثمان وهول أمره ، وراح يبني ملكه على المطالبة بدمه .

وكان الامام (ع) محتاطاً في دينه كأشد ما يكون الاحتياط فلم يصانع ، ولم يحاب ، وانما سار على الطريق الواضح ، فامتنع أن يستعمل معاوية على الشام لحظة واحدة لأن في اقراره على منصبه تدعياً للظلم وتركيزاً للجور . وعلى اي حال فان الامام بعد حرب الجمل قد غادر البصرة مع قواته المسلحة ، واتجه الى الكوفة ليتخذها عاصمة ومقرأ له ، واتجه فور قدومه إليها يعمل على تهيئة وسائل الحرب لمناهضة عدوه العنيف الذي يتمتع بقوى عسكرية هائلة اجتمعت على حبه ونصرته ، وكان الشني يحرص الامام ويحفزه على حرب اهل الشام ، بعد ما أحرزه من النصر في وقعة الجمل وقد قال له :

قل لهذا الامام قد خبت الحر ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب من نكت العهد وبالشام حية صماء

تنفث السم ما لمن نهشته -فارمها قبل ان تعض- شفاء (١)

ايقاد جرير :

وقبل أن يعلن الامام الحرب على غول الشام أوفد للقياه جرير بن عبد الله البجلي يدعو الى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون من مبايعته وقد زوده برسالة (٢) دعاه فيها الى الحق من اقصر سبيله ، وباوضح اساليبه ، وفيها الحكمة الهادية لمن اراد الهداية ، وشرح الله صدره ، وفجر في فؤاده ينبوع النور ، وانتهى جرير الى معاوية فسلمه رسالة الامام ، والحل عليه في الوعظ والنصيحة ، وكان معاوية يسمع منه ولايقول له شيئاً ، وانما اخذ يطاوله ويسرف في مطاولته ، لايجد لنفسه مهرباً سوى الامهال والتسويق .

معاوية مع ابن العاص :

ورأى معاوية انه لن يستطيع التغلب على الاحداث الا اذا انضم إليه داهية العرب عمرو بن العاص فيستعين به على تدبير الخيل ، ووضع المخططات التي تؤدي الى نجاحه في سياسته فراسله طالباً منه الحضور الى دمشق ، وكان ابن العاص فيما يقول المؤرخون : قد وجد على عثمان حينما عزله عن مصر ، فكان يؤلب الناس عليه ، ويحرضهم على الواقعة به ، وهو ممن مهد للفتنة والثورة عليه ، ولما ايقن بحدوث الانقلاب عليه خرج الى ارض

(١) الاخبار الطوال (ص١٤٥)

(٢) الرسالة في وقعة صفين (ص٣٤)

كان يملكها بفلسطين فأقام فيها ، وجعل يتطلع الاخبار عن قتله .
ولما انتهت رسالة معاوية الى ابن العاص تحير في أمره فأستشار ولديه
عبد الله ومجداً أما عبد الله فكان رجل صدق وصلاح فأشار عليه ان
يعتزل الناس ولا يجيب معاوية الى شيء حتى تجتمع الكلمة ويدخل فيما
دخل فيه المسلمون واما ابنه مجد فقد طمع فيما يطمع فيه فتيان قريش من
السعة والتقدم ، وذبوع الأسم ، فقد اشار عليه بان يلحق بمعاوية لينال
من دنياه . فقال عمرو لولده عبد الله ! أما انت فأمرتني بما هو خير لي في
ديني ، وقال لولده محمد : أما انت فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ،
وانفق ليله ساهراً يفكر في الأمر هل يلتحق بعلي فيكون رجلاً كسائر المسلمين له
مالهم وعليه ما عليهم من دون ان ينال شيئاً من دنياه ، ولكنه يضمن
امر آخرته او يكون مع معاوية فيظفر بتحقيق ما يصبو إليه في الدنيا من
الثراء العريض ، وهو لم ينس ولاية مصر فكان يحن إليها حنيناً متصلاً ، وقد أثر
عنه تلك الليلة من الشعر ما يدل على الصراع النفسي الذي خامره تلك الليلة .
ولم يسفر الصبح حتى آثر الدنيا على الآخرة فاستقر رأيه على الالتحاق
بمعاوية ، فارتحل الى دمشق ومع ابنه فلما بلغها جعل يبكي امام اهل الشام
كما تبكي المرأة وهو يقول :

و اعثماناه انعي الحياء والدين ، (١) .

قاتلك الله يا بن العاص أنت تبكي على عثمان وانت الذي اوغرت عليه
الصدور واثرت عليه الاحقاد ، وكنت تلفي الراعي فتحرضه عليه حتى سفك دمه
لقد بلغ التهالك على السلطة في ذلك العصر مبلغاً انسى الناس دينهم
فاقتروا في سبيل ذلك كل ما حرمه الله .

ولما التقى ابن العاص بمعاوية فتح معه الحديث في حربه مع الامام فقال ابن العاص :

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٢٩ .

« أما علي فوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء
وان له في الحرب لحظاً ما هو لأحد من قريش إلا ان تظلمه » .
واندفع معاوية بين دوافعه في حربه للامام قائلاً :
« صدقت ولكننا نقاتله على ما في أيدينا ، ونلزمه قتلة عثمان » .
واندفع ابن العاص ساخراً منه قائلاً :
- واسوأته ان أحق الناس أن لا يذكر عثمان انت !!
- ولم يحك !!
- أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام حتى استغاث بيزيد بن أسد البجلي
فسار اليه وأما أنا فتركته عياناً وهربت الى فلسطين . . . (١) .
واستيقن معاوية ان ابن العاص لا يخلص له ، ورأى ان من الحكمة أن
يستخلصه ويعطيه جزاءه من الدنيا ، فصارحه قائلاً :
- أتحنبي يا عمرو ؟
- لماذا ؟ للأخرة فوالله ما معك آخرة ، أم للدنيا . فوالله لا كان
حتى أكون شريكك فيها .
- أنت شريكي فيها ؟
- اكتب لي مصر وكورها .
- لك ما تريد .
فسجل له ولاية مصر ، وجعلها ثمناً لانضمامه إليه (٢) في مناهضته
لوصي رسول الله (ص) وقد ظفر بداهية من دواهي العرب وبشيخ من
شيوخ قريش قد درس أحوال الناس ، وعرف كيف يتغلب على الأحداث .

(١) تاريخ البعقوبي ٢ / ١٦٢ .

(٢) العقد الفريد ٣ / ١١٣ .

رد جرير :

ولما اجتمع معاوية امره واحكم وضعه رد جرير ، وارسل معه الى الامام رسالة حمله فيها المسؤولية في اراقة دم عثمان ، وعرفه باجماع أهل الشام على حربه إن لم يدفع له قتلة عثمان ، ويجعل الأمر شورى بين المسلمين .
وارتحل جرير الى الكوفة فأنبأ علياً بامتناع معاوية عليه ، وعظم له أمر أهل الشام ، ورأى الامام ان يقيم عليه الحجة مرة أخرى فبعث له سفراء آخرين يدعونه الى الطاعة والدخول فيما دخل فيه المسلمون إلا أن ذلك لم يجد شيئاً فقد أصر معاوية على غيه وعناده حينما أيقن ان له القدرة على مناجزة الامام ومناقضته .

قميص عثمان :

والهب معاوية بمكره وخداعه قلوب السذج والبسطاء من أهل الشام حزناً واسى على عثمان فكان ينشر قميصه الملطخ بدمائه على المنبر فيضجون بالبكاء والعيول ، واستخدم الوعاظ فجعلوا يهولون أمره ، ويدعون الناس الى الأخذ بثأره ، وكان كلما فتر حزنهم عليه يقول له ابن العاص بسخرية واستهزاء :

« حرك لها حوارها نحن . »

فيخرج إليهم قميص عثمان فيعود لهم حزنهم ، وقد أقسموا أن لا يسهم الماء إلا من الاحتلام ، ولا يأتون النساء ، ولا يتامون على الفراش

حتى يقتلوا قتلة عثمان (١) وكانت قلوبهم تتحرق شوقاً الى الحرب للأخذ بثأره ، وقد شحن معاوية أذهابهم بأن علياً هو المسؤول عن اراقة دمه ، وانه قد آوى قتلته ، وكانوا يستنهضون معاوية للحرب ، ويستعجلونه أكثر منه .

زحف معاوية لصفين :

وعلم معاوية أنه لا بد من الحرب لأن الامام لا يجاب ولا يدهن في دينه ، فلا يقره على ولاية الشام ، ولا يستند له أي منصب من مناصب الدولة ، وانما يقصيه عن جميع أجهزة الحكم لما يعرفه عنه من الالتواء في دينه. وسار معاوية في جموع أهل الشام ، وقدم بين يديه الطلائع ، وقد أنزل أصحابه أحسن منزل ، وأقربه إلى شريعة الفرات ، وقد احتل الفرات وعد هذا أول الفتح لأنه حبس الماء على عدوه ، وبقيت جيوشه رابضة هناك تصلح أمرها ، وتنضم قواها استعداداً للحرب .

زحف الامام للحرب :

وتهيأ الامام للحرب وقام الخطباء في الكوفة يحفزون الناس للجهاد ويحثونهم على مناجزة معاوية بعدما احرزوه من النصر الكبير في معركة الجمل ، وقد خطب فيهم الامام الحسين (ع) خطاباً رائعاً ومثيراً ، قال فيه بعد حمد الله والثناء عليه :

« يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء ، والشعار دون الدثار جدوا في

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٤١ .

اطفاء ما دثر بينكم ، وتسهيل ما توعد عليكم إلا أن الحرب شرها ذريع ،
وطعمها فظيع فمن أخذها اهبتها واستعد لها عدتها ، ولم يألم كلومها قبل
حلولها فذاك صاحبها ، ومن عاجلها قبل أو ان فرصتها واستبصار سعيه فيها
فذاك قمن ألا ينفع قومه ، وان يهلك نفسه نسأل الله بقوته ان يدعمكم
بالقيضة . ، (١)

وحفل هذا الخطاب بالدعوة الى استعجال الحرب والاستعداد الشامل
لها ، والامعان في وسائلها فان ذلك من موجبات النصر ، ومن وسائل
التغلب على الأعداء ، وان اهمال ذلك ، وعدم الاعتناء به مما يوجب الهزيمة
والاندحار ، ودل هذا الخطاب على خبرة الامام الواسعة في الشؤون العسكرية
والحربية .

وتنهياً الناس بعدد خطاب سبط النبي (ص) الى الحرب وأخذوا
يجدون في تنظيم قواهم ، ولما تمت عدتهم زحف بهم الامام أمير المؤمنين
لحرب ابن أبي سفيان ، وقد قدم طلائمه ، وأمرهم ان لا يبدأوا أهل الشام
بقتال حتى يدركهم .

وزحفت كتائب الجيش العراقي كأنها السيل ، وهي على يقين أنها
انما تحارب القوى الباغية على الاسلام ، والمعادية لأهدافه ، وقد جرت
في أثناء مسيرة الامام أحداث كثيرة لا حاجة الى اطالة الكلام بذكرها فاننا
لا نقصد بهذه البحوث ان نلم بها ، وانما نشير اليها بايجاز .

احتلال الفرات :

ولم يجد أصحاب الامام شريعة على الفرات يستقون منها الماء الا وهي

(١) شرح النهج ٣ / ١٨٦ .

محاطة بالقوى المكثفة من جيش معاوية بمنعونهم أشد المنع من الاستسقاء من الماء ولما رأى الامام ذلك أوفد رسله الى معاوية يطلبون منه أن يخلى بينهم وبين الماء ليشربوا منه ، فلم تسفر مباحثتهم معه أى شيء ، وانما وجدوا منه اصراراً على المنع يريد أن يحرمهم منه كما حرموا عثمان من الماء ، وأضر الظمأ باصحاب الامام ، وأنبرى الأشعث بن قيس يطلب الأذن من الامام أن يفتح باب الحرب ، ويقهر القوى المعادية على التخلى عن الفرات فلم يجد الامامُ بدأً من ذلك فاذن له ، فاقتتل الفريقان كأشد ما يكون القتال وكتب النصر لقوات الامام فاحتلت الفرات ، وأراد أصحاب الامام أن يقابلوهم بالمثل فيحرمونهم منه ، كما صنعوا ذلك معهم ، ولكن الامام لم يسمح لهم بذلك ، وعمل معهم عمل المحسن الكريم فخلى بينهم وبين الماء .

لقد كان اللؤم والخبث من عناصر الامويين وذاتياتهم فقد أعادوا على صعيد كربلاء ما اقترفوه من الجريمة في صفين فحالوا بين الامام الحسين وبين الماء وتركوا عقائل الوحي ومخدرات الرسالة ، وصيبة أهل البيت قد صرعهم العطش ، ومزق الظمأ قلوبهم ، فلم يستجيبوا لأية نزعة انسانية ، ولم ترق قلوبهم فيعطفوا عليهم بقليل من الماء .

رسل السلام :

وكان الامام متحرجاً كأشد ما يكون التحرج في سفك دماء المسلمين فقد جهد على نشر السلام والوثام فأوفد إلى معاوية عدي بن حاتم ، وشبث ابن ربعي ، ويزيد بن قيس ، وزباد بن حفصة يدعونه الى حقن دماء المسلمين ، ويلذكرونه الدار الآخرة ، ويحذرونه أن ينزل به ما نزل باصحاب الجمل ، ولكن ابن هند لم يستجب لذلك وأصر على الفبي والتمرد ، وقد

حمل الامام المسؤولية في قتل عثمان بن عفان ، وقد دفعه الى العصيان ما يتمتع به من القوى العسكرية واتفاق كلمتها واصرارها على الطلب بدم عثمان .
ورجعت رسل السلام وقد اخفقت في سفارتها ، واستبان لها أن معاوية مصمم على الحرب ، ولا رغبة له في الصلح ، وأحاطوا الامام (ع) علماً بذلك فجعل ينتهياً للحرب ، ويدعو الناس إلى القتال .

الحرب :

وعبأ الامام أصحابه على راياتهم ، واستعد للقتال ، وقد أمر أصحابه أن لا يبدأوهم بقتال كما عهد لهم في حرب الجمل ، وان لا يقتلوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ، ولا يمثلوا بقتيل ، ولا يهبجوا امرأة الى غير ذلك من الوصايا التي تمثل شرف القيادة العسكرية في الاسلام .
وجعلت فرق من جيش الامام تخرج الى فرق من جيش معاوية فيقتل الفريقان نهاراً كاملاً أو طرفاً منه ، ثم يتحاجزان من دون أن تقع حرب عامة بينهما وقد رجا الامام بذلك أن يثوب معاوية الى الصلح وحقن الدماء ، ودام الأمر على هذا حفة من الايام من شهر ذي الحجة فلما أطل شهر المحرم ، وهو من الأشهر التي يحرم فيها القتال في الجاهلية والاسلام ، توادعوا شهرهم كله ، واتيح للفريقين أن يلتقوا آمنين ، وقد آمن بعضهم بعضاً ولم تقع بينهم أي حرب ، وقد سعت بينهم سفراء السلم إلا أنها أخفقت في سعيها ، وقد احتدم الجدل بين الفريقين فأهل العراق يدعون أهل الشام الى جمع الكلمة وحقن الدماء ، ومبايعة وصي رسول الله (ص) والدخول فيما دخل فيه المسلمون ، وأهل الشام يدعون العراقيين الى الطلب بدم عثمان ورفض بيعة الامام ، واعادة الأمر شورى بين المسلمين .

ولما انقضى شهر محرم مضى القوم على الحرب ، ولكنها لم تكن عامة
وانما كانت متقطعة تخرج الكتيبة للكتيبة ، والفرقة للفرقة
وسم الفريقان هذه الحرب المتقطعة ، وتعجلوا الحرب العامة فبعاً
الامام جيوشه تعباً عامة ، وكذلك فعل معاوية ، واتحم الجيشان التحاماً
رهيباً ، واقتتلوا أبرح قتال وأعنفه ، وانكشفت ميمنة جيش الامام انكشافاً
بلغ الهزيمة فقاتل الامام ومعه الحسن والحسين (١) وانجاز الامام الى ميسرة
جيشه من ربيعة ، فاستأنت ربيعة دون الامام ، وكان قائلهم يقول : لا
عذر لكم بعد اليوم عند العرب إن اصيب أمير المؤمنين وهو فيكم ، وتحالفت
ربيعة على الموت ، وصمدت في الحرب ، ورجعت ميمنة الامام الى حالها
بفضل الزعيم مالك الأشتر ، واستمرت الحرب باعنف ما يتصور وقد ظهر
الضعف وبان الانكسار في جيش معاوية ، وهم " معاوية بالفرار لو لا أنه
تذكر قول ابن الاطنابة :

أبت لي همتي وأبي بلائي	وأقدمي على البطل المشيح
واعطائي على المكروه مالي	واخذني الحمد بالثمن الربيح
وقولي كلما جشأت وجاشت	مكازك تحمدي أو تستريحي

وقد رده هذا الشعر الى الصبر والثبات ، كما كان يتحدث بذلك أيام
الملك والسلطان .

منع الحسين من الحرب :

ومنع الامام أمير المؤمنين سبطي رسول الله (ص) من الاشتراك في
عمليات الحروب ، فقال (ع) : « املكوا عني هذين الغلامين - يعني

(١) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ .

الحسن والحسين - لثلا يتقطع بهما نسل رسول الله (ص) ، (١) .
لقد حرص الامام (ع) على ريجانتي رسول الله (ص) لأن بهما
امتداداً لنسله وابقاءً لدريته .

مصرع عمار :

وعمار بن ياسر من ألمع أصحاب النبي (ص) وأكثرهم جهاداً وبلاءً
في الاسلام ، وقد شايح علياً ولازمه بعد وفاة النبي (ص) فقد أيقن أنه
مع الحق والحق معه كما قال فيه النبي (ص) وكان في أيام صفين شيخاً
قد نيف على التسعين عاماً ، ولكن قلبه وبصيرته كانت بمأمن من الشيخوخة
فقد كان في تلك المعركة كأنه في ريعان الشباب ، وكان يحارب راية ابن
العاص ، وهو يشير اليها قائلاً : « والله إن هذه الراية قاتلتها ثلاث عركات
وما هذه بأرشدهن » وكان يقول لأصحابه لما رأى انكشافهم في المعركة :
والله لو ضربونا حتى يبلقونا سعات هجر لعلمنا أنا على الحق ، وانهم
على الباطل .

ويقول الرواة : إنه جلس ميكراً في يوم من أيام صفين ، وقد ازداد
قلبه شوقاً الى ملاقات رسول الله (ص) وملاقاته أبويه ، فحذف الى الامام
مسرعاً يطلب منه الاذن في أن يلج الحرب لعله يرزق الشهادة فلم يسمح
له الامام بذلك ، وظل يعاود الامام مستأذناً ، فلم تطب نفس الامام بذلك
وراح يلح عليه فاذن له ، وأجهش الامام بالبكاء حزناً وموجدة عليه .
وانطلق عمار الى ساحات الحرب وهو موفور القوى ، قد استرد نشاطه
وهو جلدان فرح بما يصبر اليه من الشهادة ، وقد رفع صوته عالياً :

(١) نهج البلاغة .

« اليوم القى الأحية محمداً وحزبه . . . » .

وكان صاحب الراية في السكتية التي يقاتل فيها عمار هو هاشم بن عتبة المرقال وكان من فرسان المسلمين وخيارهم وأحبهم للامام وأخلصهم له وكان أعور ، فاتجه نحوه عمار فجعل تارة يدفعه بعنف الى الحرب ويقول له : تقدم يا أعور ، وأخرى يرفق به أشد الرفق ويقول له : احمل فذاك أبي وأمي ، وهاشم يقول له : رحمك الله يا أبا اليقظان انك رجل تستخف الحرب ، واني انما ازحف زحفاً لعلي أبلغ ما اريد ، وضجر هاشم فحمل وهو يرتجز :

قد اكثروا لومي وما أقلا لاني شريت النفس لن اهتلا

أعور يبغي نفسه محلا لا بسد أن يفل أو يفلا

قد عالج الحياة حتى ملا أشلهم بسذي الكهوب شلا

وقد دل هذا الرجز على تصميمه على الموت ، وسثمه من الحياة ، وجال في ميدان القتال ، وعمار معه يقائل ويرتجز :

نحن ضربناكم على تنزيله واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزبل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليسه

أو يرجع الحق الى سبيله

لقد قاتل عمار بإيمان واخلاص المشركين مع رسول الله (ص) وناضل كأشد ما يكون النضال دفاعاً عن كلمة التوحيد ، وقاتل أعنف القتال مع أخي رسول الله (ص) دفاعاً عن تأويل القرآن ودفاعاً عن امام المسلمين فما أعظم عائدة عمار وألطفاه على الاسلام .

والتحم عمار مع القوى الغادرة النحاماً رهيباً ، وحمل عليه رجس من أرجاس البشرية بسمى أبو الغادية فطعنه برمح طعنة قاتلثة ، فهوى الى الأرض ذلك الصرح الشامخ من العقيدة والايان يتخبط بدمائه الزكية ،

وقد أضر به العطش فبادرت اليه امرأة بلبن ، فلما رآه تبسم ، وأيقن بدنو أجله ، وراح يقول بنبرات هادئة مطمئنة :

قال لي رسول الله (ص) : آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن وتمتلك الفئة الباغية .

ولم يلبث قليلاً حتى لفظ انفاسه الأخيرة ، وانطوت بموته أروع صفحة مشرقة من الايمان والجهاد ، وارتفع ذلك العملاق الذي أضاء الحياة الفكرية باخلاصه واندفاعه نحو الحق .

وكان الامام أمير المؤمنين (ع) برحاً لم يقر له قرار حينما برز عمار الى ساحة الجهاد ، فكان يقول : فتشوا لي عن ابن سمية ، وانطلقت فصيلة من الجنود تبحث عنه ، فوجدوه قتيلاً مضمخاً بدم الشهادة فانبروا مسرعين الى الامام فاخبروه بشهادته ، فانهد ركنه ، وانهارت قواه ، وسرت موجات من الألم القاسي في محياه ، فقد غاب عنه الناصر والأخ ، ومشى الامام لمصرعه كئيباً حزيناً ، وعيناه تفيضان دموعاً ، وسار معه قادة الجيش وقد أخذتهم المائدة حزناً على البطل العظيم ، ولما انتهى اليه القي بنفسه عليه وجعل يوسعه تقبيلاً ، وقد انفجر بالبكاء ، وجعل يؤبنه بحرارة قائلاً :
« إن امراً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر وتدخل عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد .

رحم الله عماراً يوم أسلم .

رحم الله عماراً يوم قُتل .

رحم الله عماراً يوم يُبعث حياً

لقد رأيت عماراً وما يذكر من أصحاب رسول الله أربعة إلا كان رابعاً ، ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ، ولا اثنين

فهنيئاً لعمار بالجنة . . .

وأخذ الامام رأسه فجعله في حجره ودموعه تتلور على خديه .
وانبرى الامام الحسن وغيره فابنوا الشهيد العظيم بقلوب مذابة من
الحزن ، ثم قام الامام فواراه في مقره الأنخير ، ويقول المؤرخون : ان الفتنة
وقعت في جيش معاوية حينما اذيع مقتل عمار فقد سمعوا ان رسول الله (ص)
قال في فضل عمار ان الفتنة الباغية تقتله ، وقد اتضح لهم انهم الفتنة الباغية التي
عناها رسول الله (ص) ولكن ابن العاص استطاع أن يزيل الخلاف فقال
لهم : ان الذي أخرج عماراً هو الذي قتله ، واذعن بسطاء أهل الشام لما
قاله ابن العاص .

واشدد القتال باعنفه بعد مقتل عمار ، وقد تفلت جميع قوى معاوية
وبان الضعف في جيشه .

مكيدة ابن العاص :

لعل أبشع مهازل التاريخ البشري في جميع فترات التاريخ هي مكيدة
ابن العاص في رفع المصاحف ، وقد وصفها (راو حوست ميلر) بانها
من أشنع المهازل وأسوأها في التاريخ البشري (١) وأكاد أعتقد أن هذه
المكيدة لم تكن وليدة المصادفة أو المفاجئة ، فقد حيكّت اصولها ووضعت
مخططاتها قبل هذا الوقت فقد كان ابن العاص على اتصال دائم احيط
بكنبر من السكتان مع جماعة من قادة الجيش العراقي في طليعتهم الأشعث بن
قيس ، فهما اللذان دبرا هذا الأمر وقد ذهب الى هذا الرأي الدكتور طه
حسين قال : « فما استبعد أن يكون الأشعث بن قيس وهو ماكر أهل

(١) العقيدة والشريعة في الاسلام (ص ١٩٠) .

العراق وداهيتهم قد اتصل بعمر بن العاص ماكر أهل الشام وداهيتهم ، ودبروا هذا الأمر بينهم تدبيراً ، ودبروا أن يقتتل القوم فان ظهر أهل الشام فذاك ، وان خافوا الهزيمة أو أشرفوا عليها رفعوا المصاحف فوقعوا الفرقة بين أصحاب علي وجعلوا بأسهم بينهم شديداً ، (١) .

وعلى أي حال فان الهزيمة لما بدت بأهل الشام ، وتفطنت جميع قواعدهم فزع معاوية الى ابن العاص يطلب منه الرأي فأشار عليه برفع المصاحف فامر بالوقت برفعها فرفعت زهاء خمسمائة مصحف على أطراف الرماح وتعلت الأصوات من أهل الشام بلهجة واحدة .

« هذا كتاب الله بيننا وبينكم من فاتمته الى خاتمته ، من لثغور أهل الشام بعد أهل الشام ؟ ومن لثغور أهل العراق بعد أهل العراق ؟ ومن لجهاد الروم ؟ ومن للترك ؟ ومن للكفار ؟ . . . »

وكانت هذه الدعوى كالصاعقة على رؤوس الجيش العراقي فقلد انقلب رأساً على عقب ، فتدافعوا كالموج نحو الامام وهم ينادون :

« لقد أعطاك معاوية الحق ، دعاك الى كتاب الله فاقبل منه . . . » .
ودلهم الامام على زيف هذه الحيلة ، وانها جاءت نتيجة فشلهم في العمليات العسكرية ، وانها لم يقصد بها إلا خداعهم وانهم انما رفعوا المصاحف لا إيماناً بها وانما هو من الخداع والمكر ومما يؤسف له انهم لم يقرروا حق مصيرهم ، ومصير الامة في تلك الفترات الحاسمة من تاريخهم التي اشرفوا فيها على الفتح والنصر ، ولم يبق من ذلك حصون الظلم ونسف قواعد الجور إلا لحظات .

يا للمصيبة والأسف لقد أصروا على التمرد ، والعناد ، فانحاز منهم اثنا عشر ألفاً وهم أهل الجباه السود ، فخطبوا الامام باسمه الصريح قائلين :

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ٨٩ .

« يا علي : اجب القوم الى كتاب الله إذ دعيت له ، وإلا قتلناك
كما قتلنا ابن عفان ، فوالله لنفعلنها إن لم نجيبهم . . . » .

فكلمهم الامام برقة ولطف ليقلم روح التمرد منهم الا ان كلام الامام
ذهب هباءً وراح القوم في غيهم يعمهون ، وهم يصرون على ارغام الامام
على ايقاف القتال ، وكان الأشعث بن قيس هو الذي يدفعهم الى ذلك
وينادي بأعلى صوته بالرضاء والقبول لدعوة أهل الشام .

ولم ير الامامُ بدأً من اجابتهم ، فاصدر أوامره بايقاف عمليات
الحروب ، وقلبه الشريف يتقطع ألماً وحرزناً ، فقد أيقن أن الباطل قد
انتصر على الحق ، وان جميع متاعه ودماء جيشه قد ذهبت سدى .

وأصر المتمردون على الامام بسحب مالك الأشر من ساحة الحرب
وكان قد أشرف على الانتصار ، ولم يبق بينه وبين الفتح إلا حلبة شاة ،
فارسل إليه الامام بالقدوم إليه فلم يعن بما امر به ، وقال لرسول الامام :
« قل لسبدي : ليست هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقعي
اني قد رجوت الله أن يفتح لي فلا تعجاني . . . » .

ورجم الرسول فاحبر الامام بمقالة القائد العظيم فارتفعت أصوات اولئك
الوحوش بالانكار على الامام قائلين :

« والله ما نراك إلا أمرته ان يقاتل . »

وامتحن الامام في أمرهم كأشد ما تكون المحنة فقال لهم :

« أرأيتموني ساررت رسولي (إليه) ؟ أليس انما كلمته على رؤوسكم
علانية وانتم تسمعون ؟ » .

وأصروا على الغي قائلين :

« فابعث إليه فليأتيك ، والا فوالله اعتزلناك . . . » .

وأجمعوا على الشر ، وأوشكوا أن يفتكوا بالامام فاصدر أوامره المشددة

بانسحاب مالك من ساحة الحرب ، واستجاب الأشتر لأمر الامام فقتل
راجعاً وقد تحطمت قواه ، وقال ليزيد الذي كان رسول الامام :
« أرفع هذه المصاحف - يعني حدثت هذه الفتنة - ؟
» نعم . » .

وعرف الأشتر مكيدة ابن العاص فقال :
« أما والله لقد ظننت انها حين رقت ستوقع اختلافاً وفرقة انها مشورة
ابن العاصرة . » .

ألا ترى الى الفتح ، ألا ترى الى ما يلقون ؟ ألا ترى الى الذي
يصنع الله لنا ، أينيغي أن ندع هذا ونصرف عنه ؟ ١١ . » .
وأحاطه يزيد علماً بحراجة الموقف والاختطار المائلة التي تحف بالامام
قائلًا :

« انجب انك ان ظفرت هاهنا ، وان أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به
يفرج عنه ويسلم الى عدوه ؟ . . . » .
فقال الأشتر مقالة المؤمن :

« سبحان الله : لا والله ما أحب ذلك !! » .
« فانهم قالوا : لترسلن الى الأشتر فليأتينك أو لنقتلكنك باسيافنا كما
قتلنا ابن عفان ، أو لنسلمنك الى عدوك . . . » .

وقتل الأشتر راجعاً قد استولى الحزن على اياه ، فقد ذهبت اماله
ادراج الرياح فتوجه نحوهم يلومهم ويعنفهم ، ويطلب منهم أن يخلوا بينه
وبين عدوهم فقد أشرف على النصر والفتح .
ولم يدعن أولئك المسوخون لمقالة الأشتر فقد اصرروا على الذل والوهن
قائلين له :

« لا لا . » .

« امهلوني عدوة فرس فاني قد طمعت في النصر . »
« اذن ندخل معك في خطيتك . . »
وانبرى الأشتر بحاججهم وينقد ما ذهبوا اليه قائلاً :

« حدثوني عنكم - وقد قتل امائلكم وبقي ارذالكم - متى كنتم محقين احين كنتم تقتلون أهل الشام ، فانتم الآن حين امسكنم عن القتال مبطلون ، أم أنتم الآن في امساكنم عن القتال محقون ؟ فقتلكم اذن الدين لا تنكرون فضلهم ، وكانوا خيراً منكم في النار . »
ولم يجد معهم هذا الكلام المشرق فقالوا له :

« دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله ، إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا . »
ورد عليهم الأشتر بعنف حينما يئس من اصلاحهم وأخذ يجلدهم من مغية هذه الفتنة وأنهم لا يرون بعدها عزاً أبداً .
وحقاً انهم لم يروا عزاً ، فقد أفلت من افقهم دولة الحق ، وآل أمرهم الى معاوية فأخذ يسومهم سوء العذاب .
وطلب مالك من الامام أن يناجزهم الحرب فأبى لأن المعارضين كانوا يمثلون الأكرية الساحقة في جيشه وفتح باب الحرب يؤدي الى أضعف النتائج فان الامة تقع فريسة سائغة بأيدي الامويين .

واطرق الامام برأسه ، وقد طافت به موجات من الآلام ، وأخذ يطيل التفكير في العاقبة المرة التي جرها هؤلاء العصاة للامة ويقول المؤرخون انهم قد اتخذوا سكوته رضياً منه بالتحكيم فهتفوا .

« ان علياً أمير المؤمنين قد رضي الحكومة ، ورضي بحكم القرآن . »
والامام غارق في الهموم ، فقد أفلت منه الأمر ، وتمرد عليه جيشه وليس باستطاعته ان يعمل شيئاً ، وقد أدلى (ع) بما مني به ، بقوله :

و لقد كنت أمس أميراً ، فأصبحت اليوم مأموراً ، وكنت أمس
ناهماً فأصبحت اليوم منهياً . . . » .

التحكيم :

ولم تقف محنة الامام وبلاؤه في جيشه المتمرد الى هذا الحد من العصيان
والخللان وانما تجاوز الأمر الى أكثر من هذا ، فقد أصر المتمردون بقيادة
الأشعث بن قيس على انتخاب أبي موسى الأشعري الذي هو من ألد اعداء
الامام وأكثرهم حقداً عليه ، وانما ألحوا على انتخابه لعلمهم بأنه سيعزل
الامام عن الحكم وينتخب غيره ممن يحقق أطماعهم ، وقد احتف هؤلاء
العصاة بالامام ، وهم يهتفون :

« إنا رضينا بأبي موسى الأشعري » .

وزجرهم الامام ، ونهاهم عن انتخابه قائلاً :

« انكم قد عصيتموني في أول الأمر ، فلا تعصوني الآن ، إني لا
أرى أن أولي أبا موسى » .

وأصروا على غيهم وعنادهم قائلين :

« لا نرضى الا به ، فما كان يحذرنا وقمنا فيه » .

وأخذ الامام يدلي عليهم واقع أبي موسى وانحرافه عنه قائلاً :

« إنه ليس لي بثقة ، قد فارقتي وخذل الناس عني ، ثم هرب عني

حتى آمنتته بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نوليه . . . » .

وامتنعوا من ترشيح ابن عباس ، فأرشدهم ثانياً الى انتخاب مالك

الأشتر فرفضوه وأصروا على انتخاب الأشعري ، ولم يجد الامام بعد هذا

بدأ من الرضا والأذعان .

وثيقة التحكيم :

واتفق الفريقان على أن يحكموا ابن العاص من قبل أهل الشام ،
وأبا موسى الأشعري من قبل العراقيين ، وقد كتبوا صحيفة سجلوا فيها
ما اتفقوا عليه من الأخذ بما يتفق عليه الحكمان ، وهذا نصها كما رواها
الطبري :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تفاضى عليه علي بن أبي طالب ،
ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضي علي على أهل الكوفة ، ومن معهم من شيعتهم
من المؤمنين والمسلمين ، وقاضي معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من
المؤمنين والمسلمين إنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ، ولا يجمع بيننا
غيره ، وإن كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته نجي ما أحبا ، ونميت
ما ألمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله عز وجل ، وهما أبو موسى
الأشعري عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص القرشي عملا به ، وما لم
يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة ، وأخذ الحكمان
من علي ومعاوية ومن الجندين من اليهود والميثاق والثقة من الناس انهما
آمنان على أنفسهما وأهلها ، والأمة لهما انصار على الذي يتقاضيان عليه ،
وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كليهما عهد الله وميثاقه ، العمل على
ما في هذه الصحيفة ، وإن قد وجبت قضيتهما على المؤمنين ، فإن الامن
والاستقامة ووضع السلاح بينهم أبنا ساروا على أنفسهم وأهلهم وأمواهم
وشاهدتهم ، وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس ، وعمرو بن العاص عهد
الله وميثاقه ان يحكما بين هذه الامة ، ولا يرداها في حرب ولا فرقة حتى
بعصيا ، وأجل القضاء الى رمضان ، وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخره على

تراض منها ، وإن توفي أحد الحكيم فإن أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألوا من أهل المعدلة والقسط ، وإن كان قضيتها الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام ، وإن رضيا وأحبا فلا يحضرهما فيه إلا من أَراد ، ويأخذ الحكمان من أَراد من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة ، وهم أنصار على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيه إلحاداً وظلماً اللهم انا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة ، (١) .
ووقع عليها طائفة من الفريقين ، وأصبحت نافذة المفعول ، وقد حققت آمال معاوية وأنقذته من الأخطار التي كادت أن تطوي حياته ، وتقضي على أتباعه .

والشيء المهم في هذه الوثيقة أنها أهملت المطالبة بدم عثمان فلم تعرض لا بقليل ولا بكثير وإنما كانت تنشده إيقاف الحرب ، ونشر السلم والعافية بين الفريقين ، وفيما اعتقد أنها كتبت ولم يكن للامام فيها أي رأي ، فقد خلى بين جيشه وبين ما يريدون

رجوع الامام للكوفة :

وغادر الامام صفين متجهاً الى الكوفة ، ولا اعتقد أن يلم كاتب بتصوير المحنة الكبرى التي المت بالامام ، فقد رجع مثقلاً بالهموم يرى باطل معاوية قد استحکم وأمره قد تم ، وينظر الى جيشه اصبح متمرداً يدعوه فلا يستجيب ، ويأمره فلا يطيع قد مزقت الفتنة جميع كتابه ، فقد كانوا فيما يقول المؤرخون يتشائمون ، ويتضاربون بالسياسات ، ويبغي بعضهم على بعض ، وخطر ما حدث فيه انبثاق الفكرة الحزورية التي سنتحدث

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٣٠ .

عنها فانها كانت سوسة تنخر في المعسكر العراقي واهم من اي خطر داهم عليه ،
فقد اخذت تعمل على تفلل وحدة جيش الامام وتديس الفتنة والخوف
بين صفوفه .

ودخل الامام الكوفة فرأى لوعة وبكاءاً قد سادت في جميع ارجائها
حزناً على من قتل منها في صفين فأقضى صفين بالقياس الى قتل الجمل
كانوا اضعافاً اضعافاً .

مع المارقين :

ويقول الرواة إن النبي (ص) سمى أهل النهروان بالمارقين ، وانه قد
عهد الى الامام امير المؤمنين (ع) بقتالهم كما عهد إليه بقتال الناكثين والقاسطين
من بعده .

والظاهرة البارزة في اتجاهات الخوارج هي الالتواء في السلوك ، والاصرار
على الجهل والعناد ، فقد بنوا واقمهم على التعصب وعدم التدبر والامعان
في حقائق الامور ، وقد كان شعارهم الذي تفتانوا في سبيله وقدموا له
المزيد من الضحايا ، لاحكم الله ، ولكنهم لم يلبثوا أن جعلوا الحكم
للسيف فنشروا الارهاب والخوف والفساد في الارض كما سنذكر ذلك
وعلى اي حال فان الامام لما نزع من صفين الى الكوفة لم يدخلوا إليها ،
وانما انحازوا الى (حروراء) فانسبوا إليها ، وكان عددهم فيما يقول المؤرخون
اثني عشر ألفاً ، وقد جعلوا اميرهم على القتال شيبث بن ربعي وعلى
الصلاة عبد الله الكواء اليشكري ، وخلعوا الامام عن الخلافة ، وجعلوا
الامر شورى بين المسلمين .

والتاع الامام من تمردهم فاوفد للقيامهم عبد الله بن عباس ، وأمره

ان لا يخوض معهم في ميدان الخصومة والنزاع حتى يأتيه الا انه لم يجدُ بدأً
من الحوار معهم وبيننا هو يحاورهم إذ اطل عليهم الامام فنهى ابن عباس
عن مناظرتهم ، واقبل عليهم فقال لهم :
اللهم إن هذا مقام من أفلج فيه كان اولى بالفلج يوم القيامة ،
ومن نطق وأوعث فيه فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا ، ثم قال لهم :

- من زعيمكم ؟

- ابن الكواء !

- ما اخرجكم علينا ؟

- حكومتكم يوم صفين

- أنشدكم بالله ، اتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف ، فقلتم نجيبهم
الى كتاب الله ، قلت لكم : إني اعلم بالقوم منكم ، انهم ليسوا باصحاب
دين ، ولا قرآن ، اني صحبتهم وعرفتهم اطفالاً ورجالا ، فكانوا شر اطفال ،
وشر رجال ، امضوا على حقم ، وصدقكم ، فانما رفع القوم هذه المصاحف
خدعة ، ودهنا ومكيدة ، فرددتم عليّ رأبي ، وقلتم لا : بل نقبل منهم ،
فقلت لكم : اذكروا قولي لكم ، ومعصيتكم اباي ، فلما أبيتم الا الكتساب
اشترطت على الحكيم ان يجيب ما احيا القرآن ، وأن يمينا ما امات القرآن ،
فان حكما بحكم القرآن فليس لنا ان نخالف حكماً بحكم بما في القرآن ، وأن
ابيا فنحن من حكمها برآء ،

وابطلت هذه الحجة النيرة جميع اوامهم ، فهم المسؤولون عن التحكيم ،
كما هم مسؤولون عن كل ما حدث من الفتنة والفساد وليس للامام ظلم في
ذلك ، وابتقوا ان اللنب ذنبهم وليس على الامام أي تبعة في ذلك
فقالوا له .

- اتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء ؟

- لسنا حكما الرجال إنما حكما القرآن ، وهذا القرآن انما هو خط
مسطور بين دفتين لا ينطق وانما يتكلم به الرجال .
- خبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟
- ليعلم الجاهل ، ويثبت العالم ، ولعل الله يصلح في هذه الهدنة
هذه الأمة .

وسد عليهم الامام كل نافذة ينفلون منها ، ووجد منهم تقارباً
واذعانا لمقالته ، فخطبهم بناعم القول :
« ادخلوا مصركم رحمكم الله . »
فأجابوه الى ذلك ، ورحلوا عن آخرهم معه الى الكوفة ، الا انهم
بقوا مصرين على فكرتهم يذيعونها بين البسطاء ، حتى شاع أمرهم ، وقويت
شوكتهم وانحدوا بنشرون الخوف والارهاب ، ويدعون الى البقي ، وعزل
الامام وحمل الأمر شورى بين المسلمين (١)

اجتماع الحكامين :

وانتهت المدة التي عينها الفريقان للتحكيم ، وقد استرد معاوية قواه
التي فقدتها ايام صفين ، واستحكم أمره ، وقد ارسل الى الامام يطلب منه
الوفاء بالتحكيم ، وانما سارع الى ذلك لعلمه بما مني به جيش الامام من
الفرقة والمخلاف ، ثم هو على علم بأن النتيجة ستكون من صالحه لأن
المنتخب للتحكيم هو ابو موسى الأشعري ، وهو على علم بانحرافه عن الامام
واشخص الامام ابا موسى الأشعري الى التحكيم ، وارسل اربعمائة من اصحابه
جعل عليهم شريح بن هاني ، وعبد الله بن عباس يصلي بهم ، والتقى

(١) حياة الامام الحسن ٤٦٩/١ - ٤٧٢

الحكمان الضالان على حد تعبير النبي (ص) (١) في دومة الجندل او في اذرح ، ويقول المؤرخون إن ابن العاص لم يفتح الحديث مع الاشعري ثلاثة ايام ، فقد افرد له مكاناً خاصاً ، وجعل يقدم له اطائب الطعام والشراب حتى استبطنه وارشاه ، ولما ايقن انه صار العوبة بيده اخذ بضمي عليه الثعوت الحسنة والالقاب الكريمة حتى ملك مشاعره وعواطفه فقد قال له :

« يا ابا موسى انك شيخ اصحاب محمد (ص) وذو فضلها ، وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الامة من الفتنة العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك ان تكون ميمون هذه الامة فيحقن الله بك دماءها فانه يقول : في نفس واحدة ومن احيها فكأنما احيا الناس جميعاً ، فكيف بمن احيا هذا الخلق كله . »

ومتى كان الاشعري شيخ صحابة النبي (ص) ومن ذوي الفضائل والسوابق في الاسلام ؟ وانخدع الاشعري بهذه الكلمات المسولة فطفق يسأل ابن العاص عن سبل الاصلاح وحقق الدماء ، فأجابه ابن العاص :

« تخلع انت علي بن ابي طالب ، وأخلع أنا معاوية بن ابي سفيان ونختار لهذه الامة رجلاً لم يحضر في شيء من الفتنة ، ولم يغمس يده فيها . »

فبادر ابو موسى يسأل عن الرجل الذي لم يغمس في الفتنة قائلاً :

(١) روى سويد بن غفلة قال : كنت مع ابي موسى الاشعري على شاطيء الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبراً عن رسول الله (ص) قال : سمعته يقول : ان بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضلالاً واضلا من اتبعهما ، ولا تنفك امر أمتي حتى يبعثوا حكيمين يضلان ، ويضلان من اتبعهما ، فقلت له : احسدر يا ابا موسى أن تكون أحدهما ، قال : فخلع قميصه وقال : ابرأ الى الله من ذلك كما برأ قميصي من هذا . . . جاء ذلك في شرح النهج ١٣ / ٣١٥

« من يكون ذلك ؟ »

وكان ابن العاص قد عرف ميول الأشعري واتجاهاته نحو عبد الله
ابن عمر فقال له :

« انه عبد الله بن عمر »

وسرّ الأشعري بذلك واندفع يطلب منه المهود على الالتزام بما قاله

« كيف لي بالوثيقة منك ؟ »

« ياأبا موسى الا بذكر الله تطمئن القلوب ، خذ من المهود والمواثيق

حتى ترضى . . . »

ولم يبق بميماً الا اقسم على الالتزام بما قاله ، وابقن الأشعري
بمقالة ابن العاص فأجابه بالرضا والقبول وعينا وقتاً خاصاً يديعان فيه
ما اتفقا عليه .

واقبلت الساعة الرهيبه التي كانت تنتظرها الجماهير بفارغ الصبر ،
واقبل الماكر ابن العاص مع زميله الأشعري الى منصة الخطابة ليعلنا للناس
مااتفقا عليه ، واتجه ابن العاص نحو الأشعري فقال له :

- قم فاخطب الناس ياأبا موسى .

- قم انت فاخطبهم .

وراح ابن العاص بخادع الأشعري قائلاً له :

« سبحان الله أنا أتقدمك !! وانت شيخ اصحاب رسول الله ، والله

لا فعلت ذلك أبداً . . . »

وداخل الأشعري العجب بنفسه من هذه الالتاب الفخمة التي اضفاها
عليه ابن النابغة ، وطلب الخامل المخدوع من ابن العاص الايمان أن يفني
له بما قال ، فاقسم له على الوفاء بما اتفقا عليه ، (١) ولم تحف هذه

(١) العقد الفريد ٣/٣١٥

الخديفة على حبر الامة عبد الله بن عباس فالتفت الى الاشعري بحسره
من مكيدة ابن العاص قائلاً له :

« ويحك والله انى لأظنه قد خدعك ، إن اتفقتما على أمر فقدمه
فليتكلم بذلك الامر قبلك ، ثم تكلم انت بعده ، فان عمرو رجل غادر
لا آمن من أن يكون قد اعطاك الرضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمت في
الناس خالفك . . . »

ولم يعن الغبي باين عباس ، وانما راح يشتد نحو منصة الخطابة ،
فلما استوى عليها حمد الله واثني عليه ، وصلى على النبي (ص) ثم قال :
« ايها الناس إنا قد نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الامن
والصلاح ولم الشعث ، وحقن الدماء ، وجمع الالفة ، خلعتنا علياً ومعاوية
وقد خلعت علياً كما خلعت عمامتي هذه » واهوى الى عمامته فخلعها ،
واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله (ص) بنفسه ، وصحب ابوه النبي (ص)
فبرز في سابقته ، وهو عبد الله بن عمر . . . » (١)

اف للزمان وتعباً للدهر أن يتحكم في المسلمين أمثال هؤلاء الصعاليك
الذين ران الجهل على قلوبهم
لقد عزل الاشعري الامام امير المؤمنين حكيم هذه الامة ، ورائد العدالة
الكبرى في الارض ، الذي طوق الدين بعقرياته ومواهبه ، لقد جعل
الاشعري قيادة الأمة بيد عبد الله بن عمر وهو لا يحسن طلاق زوجته —
على حد تعبير أبيه — انها من مهازل الزمن التي تمثلت على مسرح الحياة
العامة في ذلك العصر الذي اخمدت فيه اضواء العقل ، وراح الانسان يسير
خلف رغباته وميوله .

وعلى أي حال فقد انبرى الخاتل الماكر ابن العاص الى منصة الخطابة

(١) الطبري ٣٩/٦

فحمد الله واثني عليه ثم قال :

« أبها الناس ان أبا موسى عبد الله بن قيس خلع علياً ، وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب ، وهو اعلم به ، الا واني خلعت علياً معه ، وإثبت معاوية علي وعليكم ، وان أبا موسى ، قد كتب في الصحيفة (١) ان عثمان قد قتل مظلوماً شهيداً وان لوليه أن يطلب بدمه حيث كان ، وقد صحب معاوية رسول الله بنفسه ، وصحب ابوه النبي (ص) ثم اخذ يثني على معاوية ، ويصفه بما هو ليس اهلاً له ثم قال : هو الخليفة علينا وله طاعتنا وبيعتنا على الطلب بدم عثمان . . . (٢) »
واشتد الأشعري نحو ابن العاص بعدما خدر به ونكث عهده فصاح به .

« مالك عليك لعنة الله ! ما انت إلا كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث »

فزجره ابن العاص :

« لكنك مثل الحمار يحمل أسفراً » .

وصدق كل منهما في وصف صاحبه ، لقد جز هذا التحكيم الى الأمة كثيراً من المصاعب والفتن ، وأخلد لها الخطوب والويلات .
وماج العراقيون في الفتنة ، وأيقنوا بضلال ما أقدموا عليه ، وأنهزم الأشعري نحو مكة بصحب معه العار والحزي له ولدريته (٣) ، فقد غدر في

(١) وهي غير الصحيفة التي تم عليها ايقاف القتال .

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ الامامة والسياسة ١ / ١٤٣ .

(٣) لقد كان الناس يحقرون ذرية ابي موسى ، ويسخرون منهم فقد سمع الفرزدق أبا بردة بن ابي موسى يقول : كيف لا انبخر ، وأنا ابن أحد الحكمين ، فرد عليه الفرزدق قائلاً : اما احدهما فائق وأما الآخر -

المسلمين غدره منكرة ، وأكثر شعراء ذلك العصر في هجاء الكوفيين وهجاء الأشعري يقول أيمن بن خريم الأسدي :

لو كان للقوم رأى يعصمون به من الضلال رموكم بآبن عباس
لله در أبيه أيما رجل ما مثله لفصال الخطب في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس
ان يخل عمرو به يقدفه في لجج يهوي به النجم تيساً بين أنياس
أبلغ لديك علياً غير عاتبه قول امرئ لا يرى بالحق من بأس
ما الأشعري بمأمون أبا حسن فاعلم هديت وليس العجز كالرأس
فاصدم بصاحبك الأذنى زعيمهم ان ابن عمك عباس هو الآسي (١)

وظفر معاوية بالنصر ، فقد عاد إليه أهل الشام يسلمون عليه بامرة المؤمنين ، وأما الامام أمير المؤمنين (ع) فقد أغرق جيشه في الفتنة والفرقة والخلاف ، فجعل بعضهم يتبرأ من بعض ، وقد شاع فيهم الخلاف ، وعرفوا وبالك ما جنت أيديهم ، فخطب الامام الحسن خطاباً مسهباً دعاهم فيه الى الألفة والمودة ، وكذلك خطب فيهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن جعفر ، وقد شجبا في خطابهما التحكيم ودعا الناس الى الطاعة وتبذ الخلاف (٢) وقد استجاب لهم بعض الناس ، وأصر آخرون على التمرد والعصيان . ولما انتهى خبر التحكيم الى الامام بلغ به الحزن أقصاه فجمع الناس وخطبهم خطاباً مؤثراً صعد فيه آلامه وأحزانه على مخالفة أوامره في إيقاف

= ففاسق فكان ابن ايها شئت ، جاء ذلك في شرح النهج ٣٥٣/١٩ ، ونظر رجل الى بعض ولد أبي موسى يخطال في مشيته فقال الا تزون مشيته ؟ ! كأن أباه خدع عمرو بن العاص

(١) حياة الامام الحسن ١ / ٥٢٩

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ق ١ .

القتال ، والاستجابة لنداء عدوه الذي قضى فيه على ما احرزوه من الفتح والنصر ، يقول (ع) :

والحمد لله وإن أتى الدهر بالخظب الفادح ، والحديث الجليل ،
وأشهد أن لا إله إلا الله ، وإن محمداً عبده ورسوله . أما بعد . فإن مخالفة
الناصح الشفيق المجرب نورث الحسرة ، وتعقب الندم ، وقد كنت أمرتكم
في هذين الرجلين ، وهذه الحكومة بأمرى ، ونخلت لكم رأيي لو يطاع
لقصير رأي . ولكنكم أبيتم إلا ما أردتم : فكنت وأياكم كما قال أخوه موزن .
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشداً إلا ضحى الغد
إلا أن الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين قد نبذا حكم الكتاب وراء
ظهورهما وارتأيا الرأي من قبل أنفسهما فأما ما أحيا القرآن وأحييا ما مات القرآن .
ثم اختارنا في حكمهما فكلامهما لا يرشد ولا يسدد فبرى الله منها ورسوله وصالح المؤمنين
فاستعدوا للجهاد ، وتأهبوا للمسير ، واصبحوا في معسكركم يوم الاثنين
إن شاء الله . . . (١)

وتهيأت قواته المسلحة الى السفر في الموعد الذي ضربه لها ، وكتب
الى أهل البصرة يدعوهم الى نصرته فالتحقت به كتائب من الجيش .

تمرد المارقين :

وسافر الامام بأصحابه يريد الشام ، ولكنه لم يلبث حتى وافاته الانبياء
بتمرد الخوارج وفسادهم ، وانهم عادوا الى فكرتهم ، ويقول المؤرخون ان
جماعة منهم خرجوا من الكوفة والتحق بهم اخوانهم من أهل البصرة ،
وساروا جميعاً الى النهروان فاقاموا فيه وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً ،

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١

فأستحلوا دماء المسلمين ، وقالوا بكفرهم ، واجتاز عليهم الصحابي عبد الله بن خباب بن الأرت ، فتصدوا له فسألوه عن اسمه فأخبرهم به ، ثم سألوه عن انطباعاته الخاصة عن الامام امير المؤمنين فاثني عليه فاستشاطوا غضباً فانبروا إليه فاوثقوه كتافاً ، واقبلوا به وبامراته وكانت حبلى قد اشرفت على الولادة فجاءوا بهما تحت نخل ، فسقطت رطبة منها فبادر بعضهم لإيها فوضعهما في فيه فانكروا عليه فألقاها من فمه ، واختلط بعضهم سيفاً فضرب به خنزيراً لاهل الدمة فقتله فصاح به بعضهم ان هذا من الفساد في الأرض ، فبادر الرجل الى الدمي فارضاه فلما نظر عبد الله الى احتياطهم في الأموال قال لهم :

« لئن كنتم صادقين فيما ارى ما علي منكم بأس ، والله ما أحدثت حدثاً في الاسلام واني لمؤمن ، وقد آمنتموني وقلتم لا روع عليك .
 فلم يعنوا به ، وعمدوا إليه فاقبلوا به الى الخنزير الذي قتلوه فوضعهوه عليه ، وذبحوه ، واقبلوا على امراته ، وهي ترتعد من الخوف فقالت لهم مسترحمة :
 « إنما انا امرأة اما تتقون الله ؟ »

ولم تلتن قلوبهم التي طبع عليها الزيغ ، فذبحوها وبقروا بطنها ، وعمدوا الى ثلاثة نسوة فقتلوهن ، (١) وفيهن أم سنان الصيداوية وكانت قد صحبت النبي (ص) ، وجعلوا يذيعون الدعر ، وينشرون الفساد في الارض .
 وأوفد لهم الامام الحرث بن مرة العبدي يسألهم عن هذا الفساد الذي احدثوه ويطلب منهم ان يسلموا إليه الدين استحلوا قتل الأنفس التي حرم الله ازهاقها بغير الحق ، ولم يكذ الرسول يدنو منهم حتى قتلوه ولم يدعوه يدلي بما جاء به .

(١) انساب الاشراف

قتال المارقين :

وكره اصحاب الامام أن يسيروا الى الشام ، ويتركوا من ورائهم الخوارج يستبيحون أموالهم واعراضهم من بعدهم فطلبوا من الامام أن ينهض بهم لماجزتهم فاذا فرغوا منهم تحلوا الى حرب معاوية ، فاجابهم الامام الى ذلك وسار بهم حتى أتى النهروان فلما صار بازاء الخوارج ، ارسل إليهم يطلب منهم قتلة عبد الله بن خباب ومن كان معه من النسوة ، كما طلب منهم قتلة رسوله الحرث بن مرة ، ليكف عنهم ويمضي الى حرب معاوية ، ثم ينظر في امورهم فاجابوه .

« ليس بيننا وبينك الا السيف الا ان تفر بالكفر وتنوب كما تبنا ا »

فالتاع الامام منهم وانطلق يقول :

« ابعدي جهادي مع رسول الله ، وايماني أشهد على نفسي بالكفر ؟ »

لقد ضللت إذا وما انا من المهتدين . . . (١)

وجعل الامام يعظهم تارة ويراسلهم أخرى فجعل كثير منهم يتسللون ، ويعودون الى الكوفة ، وقسم منهم التحق بالامام ، وفريق ثالث اعتزل الحرب ، ولم يبق الا ذو الثفتان عبد الله بن وهب الراسبي زعيم الخوارج ، ومعه ثلاثة آلاف .

ولما يش الامام من ارشادهم عبأ جيشه ، وأمر بأن لا يبدوهم بقتال حتى يقاتلوهم ، ولما نظر الخوارج الى تهيئة الامام تهيأوا للحرب ، وكانت قلوبهم تتحرق شوقاً الى القتال تحرق الظمآن الى الماء وهتف بعضهم « هل من رائح الى الجنة » فتصايحوا جميعاً « الرواح الى الجنة » ثم حملوا حملة منكرة على جيش الامام ، وهم يهتفون بشعارهم « لاحكم الا لله » فانفجرت

(١) انساب الاشراف

لم خيل الامام فرقين ، فرق يمضي الى الميمنة ، وفرق يمضي الى اليسرة ،
والخوارج يندفعون بين الفرقين ، ولم تمض الا ساعة حتى قتلوا عن آخرهم ،
ولم يفلت منهم الا تسعة (١)

ولما وضعت الحرب أوزارها طلب الامام من اصحابه أن يلتمسوا
له ذا الثدية في القتلى ففتشوا عنه فلم يظفروا به ، فعادوا إليه يخبرونه بعدم
ظفرهم به فأمرهم ثانياً أن يبحثوا عنه قائلاً : « والله ما كذبت ولا كذبت
ويحكم التمسوا الرجل فانه في القتلى » فانطلقوا يبحثون عنه ، فظفر به رجل
من اصحابه ، وكان قد سقط قتيلاً في ساقية فمضى يهروا فأخبر الامام
به فلما سمع النبا خسر ساجداً هو ومن معه من اصحابه ثم رفع رأسه
وهو يقول :

« ما كذبت ، ولا كذبت ولقد قتلتم شر الناس . . »

واخذ الامام يحدث اصحابه بما سمعه من النبي (ص) فيه انه قال :
« سيخرج قوم يتكلمون بكلام الحق لا يجاوز حلوقهم يخرجون من الحق
خروج السهم - أو مروق السهم - ان فيهم رجلاً مخدج اليد ، في يده
شعرات سود ، فان كان فيهم فقد قتلتم شر الناس . . . وأمر الامام
بأحضار جثته فأحضرت له فكشف عن يده ، فاذا على منكبه ثدي كثندي
المرأة ، وعليها شعرات سود تمتد حتى تحاذي بطن يده الأخرى ، فاذا
تركت عادت الى منكبه ، فلما رأى ذلك خسر لله ساجداً ، ثم عمد الامام
الى القتلى من الفريقين فدفنهم وقسم بين اصحابه سلاح الخوارج ، ودواهم
ورد الامتعة والعبيد الى اهليهم ، كما فعل ذلك باصحاب الجمل .
وانتهت بذلك حرب النهروان التي تفرعت من واقعة صفين ، وقد

(١) الملل والنحل ١/١٥٩

اسفرت عن تشكيل حزب ثوري عنيف ظهر في الاسلام ، وهو حزب
الحرورية الذي أخذ على نفسه التمرد على الحكومات القائمة في البلاد الاسلامية
ومحاربتها بشكل مسافر مما ادى الى اراقة الدماء ، واشاعة الفتنة والخلاف في كثير
من تلك العصور .

لقد كان البارز في الانظمة الدينية للخوارج هو الحكم بكفر كل من لا يدين
بفكرتهم من المسلمين ، واستباحة دمائهم واموالهم ، وفيما أحسب ان اكثر الجرائم
الريعة التي صدرت في معركة كربلاء تستند الى هؤلاء المسوخين الذين
سلبت عنهم كل نزعة انسانية ، فقد تأثر الكثيرون من ذلك الجيش باخلاقهم
فاندفعوا الى الجريمة بابشع صورها والوانها .

مخلفات الحرب :

واعقبت تلك الحروب اعظم المحن واشدها هولاً ، ولم يمتحن الامام
بها وحده ، وانما امتحن بها العالم الاسلامي ، فقد اخلدت له الفتن ،
وجرت له الكثير من الويلات والخطوب ، ولعل اعظم ماعاناه منها مايلي :

انتصار معاوية :

واتاحت الفرص لمعاوية بعد تلك الأحداث أن يعلن لنفسه لأول مرة
بأنه المرشح للخلافة بعد أن كان حاكماً على اقليم الشام ، وراح يعلن انتصاره
على الامام وتغلبه عليه بقوله : «لقد حاربت علياً بعد صفتين بغير جيش
ولا عناء أو لا عتاداً (١) واما الامام فقد اصبح بمعزل عن السلطات السياسية

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١ ص ٢٠٠

والعسكرية ، فكان يدعو فلا يسمع لدعوته ، ويقول فلا يلتفت الى قوله
لقد ادت تلك الحروب الى تحول الخلافة الاسلامية الى حكم قيصري
لاظلال فيه لحكم الاسلام ، ومنطق القرآن ، فقد آل الأمر الى معاوية ،
فانخذ مال الله دولا ، وعباد الله خوفا ، وارغم المسلمين على ما يكرهون .

تفلىل جيش الامام :

وتفلىلت جميع القوات العسكرية في جيش الامام ، وشاعت الفرقة
والاختلاف فيما بينها ، خصوصا بعد واقعة النهروان ، فقد انحطت معنويات
الجيش يقول البلاذري ان معاوية ارسل عمارة بن عقبة الى الكوفة ليتجسس له
عن حالة جيش الامام ، فكتب له خرج على علي اصحابه ، ونسأكهم
فسار إليهم فقتلهم ، فقد فسد عليه جنده وأهل مصره ، ووقعت بينهم
العداوة ، وتفرقوا أشد الفرقة ، فقال معاوية للوليد بن عقبة : انرضى
أخوك بأن يكون لنا عينا - وهو يضحك - فضحك الوليد وقال : إن
لك في ذلك حظا ونفعاً ، وقال الوليد لأخيه عمارة :

إن بك ظني يا بن أمي صادقا عمارة لا يطلب بد حل ولا وتر
مقيم واقبال ابن عفان حوله يمشي بها بين الخورنق والجسر
وتمشي رخي البال منتشر القوى كأنك لم تشعر بقتل ابن عمرو (١)
لقد مئني جيش الامام بالفتنة والخلاف ، ولم يكن باستطاعة الامام
بما يملك من طاقات خطابية هائلة أن يرجع إليهم حوازب احلامهم ،
ويقضي على عناصر الشغب والتمرد التي اصبحت من ابرز ذاتياتهم .
وبما زاد في تمرد الجيش ان معاوية راسل جماعة من زعماء العراق

(١) انساب الاشراف

البارزين كالاشعث بن قيس فمناهم بالاموال ، ووعدهم بالهبات والمناصب اذا قاموا بعمليات التخريب في جيش الامام وشعبه فاستجابوا اليه فقاموا بدورهم في اشاعة الارجيف ، وتضليل الرأي العام ، وبث روح التفرقة والخلاف بين الناس (١) وقد اثرت دعائهم تأثيراً هائلاً في اوساط ذلك الجيش ، فقد خلعوا طاعة الامام ، وعمدوا الى عصيانه .

لقد كانت الاكثرية الساحقة في معسكر الامام لهم رغباتهم الخاصة التي تتنافى مع مصلحة الدولة ، وغايات رئيسها في حين أن شعب الشام كان على العكس من ذلك يقول الحجاج بن خزيمة معاوية : « انك تقوى بدون ما يقوى به علي لأن معك قوماً لا يقولون اذا سكت ، وبسكتون اذا نطقت ، ولا يسألون اذا امرت ومع علي قوم يقولون اذا قال : ويسألون اذا سكت » (٢)

احتلال مصر :

ولم تقف محنة الامام وبلاؤه عند حد ، وإنما اخذت تتابع عليه المحن ، وهي كأشد ما تكون هولاً ، فإنه لم يكده ينتهي من مناجزة المارقين حتى ابتلى في امر دولته فقد أخذ معاوية يحتل اطرافها ، ويغير على بعضها ، ويشيع فيها الخوف والارهاب فقد ايقن بتخاذل جيش الامام ، وما سني به من الفرقة والاختلاف ، وقد اجتم رأيه على احتلال مصر التي هي قلب البلاد العربية ، وقد جعلها طعمة الى وزيره وباني دولته عمرو بن العاص ليتمتع وحده بخيراتها .

وكان الامام قد ولي على مصر الزعيم الكبير قيس بن سعد الانصاري

(١) انساب الاشراف

(٢) الاخبار الطوال (ص ١٥٦)

الذي كان من المع الشخصيات الاسلامية في حسن سياسته وعمق تفكيره
وبعد نظره، وقد ساس المصريين أيام المحنة سياسة عدل وحق ، وقضى
على الاضطرابات الداخلية ، ونشر المحبة والالفة فيها ، وقد عزله الامام
عنها وولى مكانه الطيب مجد بن أبي بكر ، فاضطرب أمر مصر ، وظهرت
الدعوة العثمانية فيها فعزل الامام محمداً عنها وولى مكانه مالك الأشتر النخعي
الذي هو من انصح الناس للامام واكثرهم اخلاصاً له الا انه لم يكذب بتبهي
الى (القلزم) حتى مات واجمع المؤرخون على ان معاوية قد اغوى صاحب
الخراج في (القلزم) فهدس إليه سماً في شربة من عسل فمات بها ، وكان
معاوية وصاحبه ابن العاص يتحدثان بعد ذلك ، ويقولان : إن لله
جنوداً من عسل .

وجهاز معاوية جيشاً لاحتلال مصر ، وأمر^ه عليه ابن العاص ، ولما علم الامام
ذلك أقر محمداً على مصر ، ووعدته بأن يمدّه بالجيش والمال ، واخذ يدعو
أهل الكوفة لنجدة اخوانهم في مصر ، فلم يستجيبوا له ، وجعل الامام
يلح عليهم ويطلب منهم النجدة فاستجاب له جند ضئيل كانوا يساقون الى
الموت فارسلهم الى مصر ، ولكنه لم يلبث ان وافته الانباء بان ابن العاص
قد احتل مصر ، وان عامله محمداً قد قتل وأحرقت جثته في النار ، فرد
جنده ، وخطب أهل الكوفة خطاباً مثيراً ندد بهم ، ونعى عليهم تخاذلهم
وخور عزائمهم .

وعلى اي حال فان احتلال مصر قد قوى شوكة معاوية ، ودفعه
الى ان يغزو اهل العراق في عقر دارهم

الغارات :

ولم يقنع معاوية بما احرزه من النصر في احتلاله لمصر ، وانما راح يشيع الذعر والهلح في البلاد الخاضعة لحكم الامام ليشعر اهلها بأن علياً قد ضعف سلطانه ، وانه لايمكن على حمايتهم ورد الاعتداء عنهم ، وقد شكل قطعاً من جيوشه ، وعهد إليها ان تتوغل في البلاد ، وتشيع فيها الفساد والقتل ، وقد ولى عليها جماعة من السفاكين الذين ترمسوا في الجرائم ، وتجردوا من كل نزعة انسانية ، وعهد لكل واحد منهم ان يقتل كل من كان شيعة للامام ، ويغير على جهة خاصة بسرعة خاطفة ، ونعرض - بايجاز - الى بعض تلك الغارات .

الغارة على العراق :

وشكل معاوية اربع قطع للغارة على اطراف العراق ودخله ليملاً قلوب العراقيين فزعاً وخوفاً حتى لايستجيبوا للجهاد اذا دعاهم الامام إليه ، وهذه بعض المناطق العراقية التي غار عليها .

١ - عين التمر :

وارسل معاوية النعمان بن بشير الانصاري في الف رجل الى عين التمر ، وكان فيها مالك بن كعب ، ومعه كتيبة من الجيش تبلغ الف رجل الا انه لم يعلم بغزو اهل الشام له ، فاذن لجنده باتيان اهلهم في الكوفة وبقي في مائة رجل ، ولما دهمه جيش معاوية قاومه مقاومة باسلة ، وتوجهت

له نجدة تبلغ خمسين رجلاً فلما رأهم النعمان فزع وولى هارباً فقد ظن ان لهم مدداً ولما بلغت الامام انباء هذه الغارة قام خطيباً في جيشه يدعوهم الى نجدة عاملة فقال (ع) :

و يا اهل الكوفة كلما اطلت عليكم سرية وأنا كم منسر من مناسر اهل الشام اغلق كل امرء منكم بابه قد انحجر في بيته انحجار الضب في جحره والضبغ في وجارها ، الدليل والله من نصرتموه ، ومن رضي بكم رمى بافوق ناصل ، فقبحا لكم وترحا ، وقد ناديتكم ، وناجيتكم ، فلا احرار عند اللقاء ، ولا اخوان (١) عند النجا ، قد منيت منكم بصم لا يسمعون ، وبكم لا يعلون ، وكمه لا يبصرون ، (٢)

٢ - هيت :

ووجه معاوية للغارة على هيت سفيان بن عوف وضم إليه ستة الاف ، وأمره ان يأتي بعد الغارة عليها الى الانبار والمدائن فيوقع بأهلها ، وسار بجيشه الى هيت فلم يجد بها أحداً فانهطف نحو الانبار ، فوجد بها مسلحة للامام تتكون من مائتي رجل فقاتلهم وقتل اشرس بن حسان البكري مع ثلاثين رجلاً من اصحابه ، ثم نهبوا ما في الانبار من اموال ، وتوجهوا الى معاوية ، وهم مسرورون بما احرزوه من النصر ، وبما نهبوه من الاموال (٣) وبلغت انباء الانبار علماً فأثارته الى حد بعيد ، وبلغ به الغيظ اقصاه ، وكان عليلاً لا يمكنه الخطاب فكتب كتاباً قرأ على الناس ، وقد ادنى من السدرة ليعلم القراءة (٤) وهذا نصه :

(١) في الطبري « ولا اخوان ثقة »

(٢) انساب الاشراف

(٣) تاريخ ابن الاثير ١٨٩/٣

(٤) انساب الاشراف

و اما بعد : فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه
البس ثوب الدلة ، وشمله البلاء ، ودبت بالصغار ، وسيم الخسف ،
ومنع النصف ، وقد دعوتكم الى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وعلانية وسراً ،
وأمرتكم أن تغزوهم قبل ان يغزوكم فانه ماغزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا ،
فتوا كلمتم وتخاذلتهم ، وثقل بعليكم قولي ، وعصيتم أمري واتخذتموه وراءكم
ظهرياً ، حتى شنت عليكم الغارات من كل ناحية ، هذا أخو غامد قد
وردت خيله الانبار فقتل ابن حسان البكري ، وأزال مسالحكم عن مواضعها
وقتل منكم رجالاً صالحين ، ولقد بلغني أن الرجل من أهل الشام كان
يدخل بيت المسلمة والأخرى المعاهدة فيأخذ حجلاً وقلبها وقلادتها ،
فيا هجبا يميت القلب ، ويجلب الهم ، ويسمر الأحران من جد هؤلاء القوم
في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم لقبحاً وترحاً حيث صرتم غرضاً يرمى ،
يغار عليكم فلا تغبرون ، ويعصى الله فترضون ، اذا قلت لكم : اغزوا
عدوكم في الحر قلم هذه حمارة القيظ من يغزوا فيها ؟ امهلنا ينسلخ عنا
الحر ، واذا قلت : اغزوهم في انف الشتاء قلم الحر والقر ، فكل هذا
منكم فرار من الحر والقر ؟ فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ،
حلوم الاطفال وعقول ربات الحجال ، لوددت أني لم اركم ، وان الله
اخرجني من بين اظهركم ، فلقد ملثتم صدري غيظاً وجرعتموني نغب
التهام انفاساً ، وافسدتم عليّ رأبي بالعصيان ، حتى قالت قريش : إن
ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، لله ابوهم وهـل
منهم أحد اشد لها مراساً وقعاساً مني لقد نهضت فيها وقد بلغت العشرين (١)
فهاذا قد ذرفت على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع . ، (٢)

(١) في رواية « وما بلغت العشرين »

(٢) انساب الاشراف

وقد صور هذا الخطاب ما في نفس الامام من غيظ ممض ، وبأس شديد من اصحابه الذين امتلأت قلوبهم خوفاً وذلاً من أهل الشام فتحاذلوا وقبموا في بيوتهم يطاردتهم الفرع ، حتى فسد على الامام أمره ،
٣ - واقصة :

ووجه معاوية الضحاك بن قيس الفهري الى واقصة ليغير على كل من كان فيها من شيعة الامام وضم إليه ثلاثة آلاف رجل ، فسار الضحاك فنهب أموال الناس ، وقتل كل من ظن أنه على طاعة الامام ، وسار حتى انتهى الى القطقانة ، وهو يشيع القتل والارهاب ثم سار الى السماوة ، وبعدها ولى الى الشام ، ولما وافقت الانباء الامام (ع) قام خطيباً في جيشه وقد دعاهم الى صد هذا الاعتداء فلم يستجب له أحد ، فقال (ع) :
« وددت والله ان لي بكل عشرة منكم رجلاً من أهل الشام ، واني صرفتكم كما يصرف الذهب واوددت اني لقيتكم على بصيرتي فأراحتني الله من مقاساتكم ومداراتكم . »

وسار الامام وحده نحو الغريين لصد هذا الاعتداء فلحقه عبد الله بن جعفر بدابة فركبها ، ولما رأى الناس ذلك خف إليه بعضهم ، فسرح (ع) لطلب الضحاك حجر بن عدي في اربعة آلاف ، وسار في طلبه فلم يدركه فرجع (١)

لقد اخذت غارات معاوية تتوالى على العراق ، من دون ان تتعرض لأي مقاومة تذكر ، وقد ايقن معاوية بالنصر ، والظفر لما مني به اصحاب الامام من التخاذل .

(١) انساب الاشراف

الغارة على الحجاز واليمن :

وبعث معاوية بسر بن أبي ارطاة في ثلاثة آلاف للغارة على الحجاز واليمن فاتجه نحو يثرب فلم يجد من أهلها أبة مقاومة ، فصعد المنبر ورفع عقيرته يندب عثمان وينشر الرعب والارهاب بين الناس .
وأخذ البيعة من أهلها لمعاوية ، ثم سار الى اليمن ، وكان عليها عبيدالله ابن عباس عاملاً للامام ، فهرب منه حتى أتى الكوفة ، فاستخلف الامام عليها عبد الله الحارثي فقتله بسر ، وقتل ابنه ، وعمد الى طفلين لعبيدالله فقتلها ولما انتهى خبرهما الى امها فقتت وعيها ، وراحت ترضيها بدوب روحها بأبياتها المشهورة (١) .

لقد قام سلطان معاوية على قتل الأبرياء ، وذبح الأطفال ، واشاعة الرعب والفرع في البلاد .

ولما انتهت الأنباء الأليمة الى الامام خارت قواه ، ومزق الأسى قلبه وراح يخطب في جيشه يذكر ما عاناه من الخطوب والكوارث منهم قائلاً :
« انبثت بسراً قد اطلع اليمن (٢) واتي والله لأظن ان هؤلاء القوم سيدالون (٣) منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقتكم عن حقتكم ، وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل ، وبأدائهم الأمانة الى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم في بلادهم ، وفسادكم ، فلو أتمنت أحدكم على

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٣ .

(٢) اطلع اليمن : بلغها واحتلتها قواته .

(٣) سيدالون : أي ستكون لهم الدولة بسبب اجتماع كلمتهم ، واختلاف

رأي المراقبين .

قعب (١) لحشيت أن يذهب بعلاقته (٢) اللهم اني قد مللتهم وملوني ،
وسمئتهم وسموني فابداني بهم خيراً منهم ، وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم
مث في قلوبهم كما يمث الملح في الماء أما والله لوددت ان لي الف فارس
من بني فرس ابن غنم (٣) :

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم
ثم نرك عن المنبر (٤) وهو غارق بالهموم والأحزان قد استولى اليأس
على نفسه من أصحابه الذين أصبحوا أعصاباً رخوة خالية من الشعور والاحساس
هذه بعض الغارات التي شنها معاوية على العراق وخارجه من الأقاليم
الاسلامية الخاضعة لحكم الامام ، وكان المقصود منها زعزعة هذه المناطق
من ايمانها بمقدرة الامام على حمايتها من الاعتداء ، واذاعة مقدره معاوية
وقوته العسكرية ، وتقوية الروح المعنوية في جيشه ، وحزبه المنتشر في
تلك البلاد .

وعلى أي حال فقد صورت هذه الغارات جانباً كبيراً من الضعف
والتمرد في جيش الامام ، حتى طمع معاوية في شن هجوم عام على العراق
لاحتلاله ، والقضاء على حكومة الامام ، ومن المؤكد أنه لو فعل ذلك
لوجد الطريق سهلاً ، ولم يجد أية صعوبة أو مقاومة تذكر ، فقد خلد القوم
الى الراحة ، وسثموا من الجهاد .

(١) القعب : بالضم القدح الكبير .

(٢) علاقته : بكسر العين ما يعلق به القعب من ليف ونحوه .

(٣) بنو فرس : قبيلة عربية مشهورة بالشجاعة والاقدام .

(٤) نهج البلاغة محمد عبده ١ / ٦٠ .

عبث الخوارج :

وتواكبت المحن الشاقة على الامام يقفو بعضها بعضا ، فغارات معارضة متصلة على العراق وخارجه ، وهي تنشر الرعب والهلع في قلوب المواطنين والامام لا يتمكن على حماية الأمن ، وصيانة الناس من الاعتداء قد خلع جيشه يد الطاعة وأعلن العصيان والتمرد ، ولم يعد له أي نفوذ أو سلطان عليه ومن تلك المحن الشاقة التي ابتلي بها الامام هي فتنة الخوارج فانه لم يقض عليهم في النهروان ، وانما قضى على جماعة منهم ، وبقي أكثرهم يعيشون معه ، وهم يكيدون له ، ويتربصون به الدوائر ، ويجولون قلوب الناس عنه ، قد امنوا من بطشه واستيقنوا انه لن يبسط عليهم يداً ، ولا ينزل بهم عقوبة ، وقد أطمعهم عدله ، وأغراهم لبينه فراحوا يجاهدون بالرد والانكار عليه ، فقد قطع بعضهم عليه خطبته تالياً قوله تعالى : « لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين » فاجابه الامام بآية اخرى « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » وجاءه الخريت ابن راشد السامي في ثلاثين من أصحابه فقال له : يا علي والله لا أطيع أمرك ، ولا اصلي خلفك ، واني قدأ مفارق لك ، فلطف به الامام وحاججه وخلي بينه وبين حريته ، فلم يسجنه ، وانما ترك له الطريق مفتوحاً وولى الرجل الى قومه من بني ناجية فأخبرهم بما كان بينه وبين الامام ، ثم خرج في الليل يريد الحرب وجرت أحداث كثيرة في خروج الخريت وتمرده ذكرها المؤرخون بالتفصيل .

وعلى أي حال فان المسؤولية الكبرى في كثير من الأحداث المفزعة التي مني بها العالم الاسلامي تقع على الخوارج فهم الذين قضوا على مصير

الأمة في أهم الفترات الحاسمة من تاريخها حينما كتب النصر للإمام ، وباء معاوية بالهزيمة والفشل ، بحيث لم يبق من حياته إلا فترة يسيرة من الزمن قدرها قائد القوات العسكرية في جيش الامام مالك الأشتر ، بحلبة شاة أو بعدوة فارس ، فأضاعوا ذلك النصر الكبير وأرغموا الامام على قبول التحكيم

دعاء الامام على نفسه :

وطافت بالامام موجات رهيبية ومذهلة من الأحداث والأزمات فهو يرى باطل معاوية قد استحکم ، وأمره قد تم ، ويرى نفسه في ارباض الكوفة قد احتوشته ذئاب العرب الذين كرهوا عدله ، ونقموا عليه مساواته وعملوا جاهدين على الحيلولة بينه وبين تحقيق آماله من القضاء على الاثرة والاستعلاء والطغيان .

والشيء الوحيد الذي أفض مضجع الامام هو تمزق جيشه ، وتفلال جميع وحداته ، فقد أصبح بمعزل عن جميع السلطات ، وقد نظر (ع) الى المصير المؤلم الذي سيلاقونه من بعده فقال :
و أما انكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة ، فيفرق جماعتكم ، ويبكي عيونكم ، ويدخل الفقر بيوتكم وتتمنون عن قليل انكم رأيتموني فنصرتموني ، فستعلمون حق ما أقول لكم ، ولا يبعد الله إلا من ظلم وأثم . . . (١) .
ولم يجد نصيح الامام معهم شيئاً فقد تمادوا في الغي ، وعادت لهم جاهليتهم الرعناء .

وقد سئم الامام منهم وراح يتمنى مفارقة حياته فكان كثيراً ما يقول

(١) أنساب الاشراف ج ١ ق ١ ص ٢٠٠ .

في خطبه : « متى يبعث أشقاسها ، واخذ بلح بالدعاء ، ويتوسل الى الله بقلب منيب أن يريجه منهم فقد روى البلاذري عن أبي صالح قال شهدت علياً ، وقد وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تققع الورق وهو يقول : اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ذلك ، اللهم إني قد مللتهم وملوني ، وابغضتهم وابغضوني ، وحملوني على غير خلقي ، وعلى اخلاق لم تكن تعرف لي ، فأبدلني خيراً لي منهم ، وابدلهم بي شراً ، ومث قلوبهم ميث الملح . . » (١) واستجاب الله دعاء وليه العظيم فنقله بعد قليل الى حضيرة القدس مع النبيين والصديقين وراحه من ذلك المجتمع الذي كره الحق ، ونقم على العدل ، وقد سلط الله عليهم ارجاس البشرية فأخذوا ويمعنون في ظلمهم واذلالهم ، فيأخذون البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، ويقتلون على الظنة والتهمة ، فاستيقظوا عند ذلك ، واخذوا يندمون أشد الندم على ما اقترفوه من الاثم تجاه الامام وما فرطوا به من عصيانه وخذلانه .

هذه بعض مخلفات تلك الحروب التي امتحن بها الامام كأشد ما يكون الامتحان قسوة وازهاقا ولم يمتحن بها وحده ، وانما امتحن بها العالم الاسلامي بأسره ، فقد اخذت للمسلمين المشاكل والخطوب والقنم في شر عظيم . لقد واكب الامام الحسين (ع) هذه الاحداث المفزعة التي جرت على أبيه ، ووقف على واقعتها ، وقد استبان له كراهية القوم لأبيه لأنه لم يداهن في دينه ، واراد أن يحمل الناس على الحق المحض والعدل الخالص ، ولا يدع محروماً ، ولا مظلوماً في البلاد .

وعلى اي حال فان هذه الحروب قد ساهمت مساهمة ايجابية في خلق كارثة كربلاء التي لم تأت الا بعد انهيار الاخلاق ، وأمانة الوعي الديني ، والاجتماعي ، واشاعة الانتهازية والتحلل بين افراد المجتمع ، فقد سيطرت

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١ .

الرأسمالية القرشية على الشؤون الاجتماعية فأخذت تعيثُ فساداً في الارض
وتنقض جميع ما اقامه الاسلام من صروح للفضيلة والاخلاق ، وكان من
اسوء ما قامت به انها عملت جاهدة على اشاعة العداوة والكراهية لأهل
البيت (ع) الذين هم مصدر الوعي والاحساس في هذه الأمة .
فقد عمدت بشكل سافر الى تقطيع اوصالهم على صعيد كربلاء ، وابدانهم
ابادة جماعية بصورة رهيبة لم يحدث لها نظير في تأريخ الانسانية .

أفول دَوْلَة الْحَقِّ

وليس في تاريخ هذا الشرق ولا في غيره حاكم كالامام امير المؤمنين (ع) في عدله ونزاهته ، وابشاره للحق على كل شيء ، فقد كان - فيما اجمع عليه المؤرخون - لم يخضع لاية نزعة عاطفية ، ولم يستجب لأي هوى مطاع ، وانما سار على الطريق الواضح ، والمنهج السليم الذي سلكه رسول الله (ص) فلم يحاب ، ولم يداهن في دينه ، وتبى النصيح الخالص لجميع المسلمين ، وقد حاول جاهداً ايام حكمته ان يرفع راية الاسلام ، ويحقق مبادئه التي كان منها رفع الحيف والظلم ، ومنع الاستغلال ، وازالة الفوارق بين ابناء المسلمين وكان من اعظم ماعنى به وضع اموال الدولة في مواضعها فلم يتفق اي شيء منها الا على مرافقتها التي عينها الاسلام ، وما تاجر بها ، ولو اشترى بها العواطف والفضائل - كما كان يفعل معاوية - لما تنكر عليه التفتيون في جيشه كالاشعث بن قيس وغيره من اقطاب الخيانة والعمالة .

لقد احتاط في اموال الدولة كاشد ما يكون الاحتياط ، واجهد نفسه وحملها من امره رهقا من اجل ان يبسط العدل الاقتصادي بين الناس ، يقول عبدالله بن رزين : دخلت على علي يوم الاضحى فقرب ، إلينا حريرة ، فقلت له : اصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط فان الله قد اكثر الخير ، فقال : يا بن رزين سمعت رسول الله (ص) يقول : لا يجلب لخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله ، وقصعة يضعها بين يدي الناس (١) وقد نغم على سياسته كل من استسلم لدوافع المسادة وشهواتها ، فراحوا يعملون جاهدين للاطاحة بحكومته ، وتشكيل حكومة تضمن مصالحهم الاقتصادية والسياسية .

ومن المؤكد ان الامام كان يعلم كيف يجلب له الطاعة ، وكيف يبسط

(١) جواهر المطالب في مناقب الامام ابي الحسن (ص ٤٣) لشمس

الدين ابو البركات ، من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين

سلطانه ونفوذه على اولئك الذين تقموا عليه ، ولكن ذلك لا يتم الا بان يداهن في دينه فيوارب ويخادع ويمطي المال في غير حقه ، فيكون كبقية عشاق الملك والسلطان ، ومن الطبيعي ان الانحراف عن الحق ، والمتاجرة بمصالح الأمة مما ياباه علي وتأباه مثله العليسا ، فلا السلطة تفريه ولا اجتماع الناس حوله تزيده عزة ، ولا تفرقهم عنه تزيده وحشة كما كان يقول .

لقد كان الامام يؤمن ايمانا خالصا بالدين، ويرى من الضرورة أن يكون هو المسيطر على قلوب الناس وتفكيرهم ، وان لا يكون هناك اي ظل للمنافع والاهواء ، وبمالمشك فيه ان هذا النوع الخالص من الايمان لم يتحقق الا للقلة القليلة من اصحابه كحجر بن عدي ومالك الأشتر وعدي بن حاتم وميثم التمار ونظرائهم ممن تغلوا بهديسه ، وهم الذين قرؤا القرآن فاحكموه ، وتدبروا الفرض فاقاموه احيوا السنة واماتوا البدعة - على حد تعبيره - اما الاكثية الساحقة من جيشه وشعبه فانهم لم يعوا اهدافه ومبادئه ، وجعلوا القيم العليسا في سياسته المشرقة التي كانت تهدف الى ضمان حقوق المظلومين والمضطهدين .

لقد تخرج الامام في سلوكه السياسي فانخضع سياسته العامة للقيم الدينية والخلقية ، فبسط الحق بجميع رحابه ومفاهيمه ، ولم يعد اي نفوذ للاقوياء ، ولاسلطان للرأسمالية القرشية التي كانت تعتبر السواد بستانا لقريش .

وقد هبت القوى المنحرفة عن الحق في وجه الامام فاشعلت نساير الحرب ، واوقفت مسيرة الامام في تطبيق العدل الاجتماعي ، ووضعت السدود والحواجز في طريقه ، وقد وقف الامام العظيم ملتاعسا حزينا ، قد احتوشته ذئاب الإثرة والاستغلال ، وتناهت مشاعره الاحداث المفزعة التي تواكبت عليه ، وكان من افجعهما الفتن الداخلية التي كانت تثيرها الحوارج الذين كانوا يعيشون معه وهم يجاهرونه بالعداء ، وينشرون الفتن والاختلاف ، ويتربصون

الفرص للخروج عليه .

مؤتمر مكة :

وزح فريق من الخوارج الى مكة ، فعقدوا فيها مؤتمراً عرضوا فيه مصارع اخوانهم الذين قتلوا في النهروان ، كما عرضوا فيه الاحداث الجسام التي يواجهها العالم الاسلامي ، والتي ادت الى اختلافه وتفككه ، وعزوها الى ثلاث - حسب ما يزعمون - الامام علي ، ومعاوية وعمرو بن العاص ، وقد عقدوا النية بعد تبادل الرأي على القيام باهتياهم ، وانبرى لتنفيذ هذا المخطط كل من .

١ - عبد الرحمن بن ملجم تعهد بقتل الامام علي .

٢ - الحجاج بن عبد الله الصريمي تعهد بقتل معاوية .

٣ - عمرو بن بكر التميمي التزم بقتل ابن العاص .

وقد اتفقوا على القيام بعملية الاغتيال في ليلة الثامن عشر من رمضان ساعة خروج هؤلاء الثلاثة الى صلاة الصبح ، وقد اقاموا بمكة اشهرآ ، واعتصموا في رجب ، ثم تفرقوا وقصد كل واحد لتنفيذ ما عهد إليه .

رأي رخيص :

من الآراء الزائفة التي تحملها بعض الكتب ما ذهب إليه الدكتور بديع شريف من اتهام الفرس بقتل علي (١) وهل وقف الدكتور على نسب ابن ملجم ، وانه كان فارسياً ؟ أليس هو من مراد احدى القبائل

(١) الصراع بين الموالي والعرب (ص ٣٢-٣٣)

العربية التي كانت تقطن في الكوفة ، وعلق الدكتور نوري جعفر على هذا الرأي بقوله : « ومن يدري فلعل حب القرس لملي هو الذي جعل هؤلاء الكتاب يبغضونهم ، ويتيلون لهم التهم بغير حساب » (١)

اشترك الأمويين في المؤامرة :

وذكر المؤرخون هذا الحادث الخطير بشيء كثير من التحفظ فلم يكشفوا النقاب عن ابعاده ، والذي نراه في كثير من الترجيح ان المؤامرة لم تكن مقتصر على الخوارج ، وانما كان للحزب الأموي ضلم كبير فيها ، والذي يدعم ذلك مايلي .

١ - ان أبا الاسود الدثلي القى تبعة مقتل الامام على بني امية ، وذلك في مقطوعته التي رثا بها الامام فقد جاء فيها :

الا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرى عيون الشاميتنا
أني شهر الصيام فجمعتمونا بخير الناس طسراً اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ورحلها ومن ركب السفينا (٢)

ومعنى هذه الايات ان معاوية هو الذي فجع المسلمين بقتل الامام الذي هو خير الناس ، فهو المسؤول عن اراقة دمه ، ومن الطبيعي ان أبا الاسود لم ينسب هذه الجريمة لمعاوية الا بعد التأكد منها ، فقد كان الرجل متحرجاً أشد التحرج فيما يقول .

٢ - ان القاضي نعمان المصري ، وهو من المؤرخين القدامى قد ذكر قولاً في أن معاوية هو الذي دس ابن ملجم لاغتيال الامام ، قال مانصه :

(١) الصراع بين الموالي ومبادئ الاسلام (ص ١٠٣)

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٩٨

- « وقيل ان معاوية عامله - اي عامل ابن ملجم - على ذلك - اي على اغتيال الإمام - ودس إليه فيه ، وجعل له مالا عليه . . » (١)
- ٣ - ومما يؤكد اشتراك الحزب الأموي في المؤامرة هو ان الاشعث ابن قيس قد ساند ابن ملجم ، ورافقه اثناء عملية الاغتيال ، فقد قال له : « النجا فقد فضحك الصبح » ولما سمعه حجر بن عدي صاح به « قتلته يا اعور » وكان الاشعث من اقوى العناصر المؤيدة للحزب الأموي ، فهو الذي ارغم الامام على قبول التحكيم وهدد الامام بالقتل قبل قتله بزمان قليل كما كان عينا لمعاوية بالكوفة .
- إن المؤامرة - كما يقول الرواة - قد احيطت بكثير من السروالكتان فما الذي اوجب فهم الاشعث ودعمه لها لولا الابعاز إليه من الخارج .
- ٤ - ان مؤتمر الخوارج قد انعقد في مكة أيام موسم الحج ، وهي حافلة - من دون شك - بالكثيرين من اعضاء الحزب الأموي الذين نزحوا الى مكة لاشاعة الكراهية والنقمة على حكومة الامام ، واغلب الظن انهم تعرفوا على الخوارج الذين كانوا من اعدى الناس للإمام ، فقاموا بالدعم الكامل لهم على اغتيال الامام ، ومما يساعد على ذلك ان الخوارج بعد انقضاء الموسم اقاموا بمكة الى رجب فاعتصموا في البيت ثم نزحوا الى تنفيذ مخططهم فمن المحتمل ان يكونوا في طيلة هذه المدة على اتصال دائم مع الحزب الأموي ، وسائر الأحزاب الأخرى المناهضة لحكم الامام .
- ٥ - والذي يدعو الى الاطمئنان في ان الحزب الاموي كان لسه الضلع الكبير في هذه المؤامرة هو ان ابن ملجم كان معلما للقرآن (٢)

(١) المناقب والمثالب (ص ٩٨) للقاضي نعمان المصري من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

(٢) لسان الميزان ٣ / ٤٤٠ .

وكان يأخذ رزقه من بيت المال ، ولم تكن عنده اية سعة مالية فمن اين له الأموال التي اشترى بها سيفه الذي اغتال به الامام بالف وسمه بالف؟؟ ومن اين له الأموال التي اعطاها مهراً لقطام وهو ثلاثة الآف وعبد وقينة؟ كل ذلك يدعو الى الظن أنه تلقى دعماً مالياً من الامويين ازاء قيامه باغتيال الامام .

٦ - ومما يؤكد ان ابن ملجم كان عميلاً للحزب الأموي هو انه كان على اتصال وثيق بعمرو بن العاص وزميله له منذ عهد عهد بعيد ، فانه لما فتح ابن العاص مصر كان ابن ملجم معه ، وكان أثيراً عنده فقد أمره بالنزول بالقرب منه (١) واكبر الظن انه احاط ابن العاص علماً بما اتفق عليه مع زميليه من عملية الاغتيال له وللإمام ، ومعاوية ، ولذا لم يخرج ابن العاص الى الصلاة وانما استناب غيره ، فلم تكن نجاته وليدة مصادفة وانما جاءت وليدة مؤامرة حيكمت اصولها مع ابن العاص .
هذه بعض الأمور التي توجب الظن باشتراك الحزب الأموي في تدبير المؤامرة ودعمها .

اغتيال الامام :

واطل على المسلمين شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، وقد كان الامام على يقين بانتقاله الى حظيرة القدس في بحر هذا الشهر العظيم ، فكان يجهد نفسه ويرهقها على ان يفطر على خبز الشعير وجريش الملح ، وان لا يزيد على ثلاث لقم حسب ما يقوله المؤرخون ، وكان يجي ليالي هذا الشهر بالعبادة ، ولما اقبلت ليلة الثامن عشر احس الامام بنزول الرزء القاصم

(١) لسان الميزان ٣ / ٤٤٠ .

فكان برماً تساوره الهموم والاحزان ، وجمل يتأمل في الكواكب وهي مرتعشة
الضوء كأنها ترسل أشعة حزنها إلى الأرض ، وطفق يقول :
« ما كذبت ولا كُذبت انها الليلة التي وعدت فيها »
وأنفق الامام ليله ساهراً ، وقد راودته ذكريات جهاده وعظيم عنائه
في الاسلام ، وزاد وجيبه يوشوقه لملاقاة ابن عمه رسول الله (ص) ليشكو
إليه ما عاناه من أمته من الأود .

وتوجه الامام بمشاعره وعواطفه الى الله يطلب منه الفوز والرضوان
وقبل أن تشرق أنوار ذلك الفجر الذي دام في ظلامه على البؤساء والمحرومين
انطلق الامام فأسبغ الوضوء ، وتهدأ الى الخروج من البيت ، فصاحت في
وجهه وز كأنها صاحت ملتاعة حزينة تنذر بالخطر العظيم الذي سيدهم
أرض العرب والمسلمين ، وتنبأ الامام من لوعتهن بزول القضاء ، فقال :
« لا حول ولا قوة إلا بالله صوائح تتبعها نوائح » (١) .

وخرج الامام الى بيت الله فجعل يوقظ الناس على عادته الى عبادة الله
ثم شرع في صلاته وبينما هو مائل بين يدي الله وذكره على شفثيه إذ هوى
عليه المجرم الخبيث عبد الرحمن بن ملجم ، وهو يهتف بشعار الخوارج
« الحكم لله لا لك » فعلا رأس الامام بالسيف فقد جبهته الشريفة التي
طالما عفرها بالسجود لله ، وانتهت الضربة الغادرة الى دماغه المقدس الذي
ما فكر فيه إلا في سعادة الناس ، وجمعهم على صعيد الحق .

ولما أحس الامام بلدغ السيف انفرجت شفثاه عن ابتسامته ، وانطلق
صوته يدوي في رحاب الجامع قائلاً :
« فزت ورب الكعبة » .

لقد كنت - يا أمير المؤمنين - أول الفائزين ، وأعظم الراجين

(١) مروج الذهب ٢ / ٢٩١ .

بمرضاة الله ، فقد سايرت الحق منذ نعومة اظفارك ، فلم تدهان في دينك ولم تؤثر رضا احد على طاعة الله ، قد جاهدت وناضلت من أجل أن تعلق كلمة الله في الأرض ، ووقيت رسول الله (ص) بنفسك ومهجنتك .
لقد فزت ، وانتصرت مبادؤك ، وبقيت انت وحدك حديث الدهر بما تركته من سيرة مشرقة اضاءت سماء الدنيا ، وغذت الاجيال بجوهر الحق والعدل .

وخف الناس مسرعين الى الجامع حينما اذيع مقتل الامام فوجدوه طربحا في محرابه وهو يلهج بذكر الله ، قد نزف دمه ، ثم حمل الى داره والناس تعج بالبكاء وهم يهتفون بذبوب الروح .

قُتل امام الحق والعدل .

قُتل ابو الضعفاء واخو الغرباء .

واستقبلته عائلته بالصراخ ، فأمرهن (ع) بالخلود الى الصبر ، وغرق الامام الحسن بالبكاء فالتفت إليه الامام قائلاً :
« يا بني لا تبك فانت تقتل بالسم ، ويقتل اخوك الحسين بالسيف . »
وتحقق تنبؤ الامام فلم تمض حفنة من السنين واذا بالحسن الختاله معاوية بالسم ، فدابت احشاؤه ، واما الحسين فتناهبت جسمه السيوف والرماح ، وتقطعت اوصاله على صعيد كربلاء .

ويقول المؤرخون ان الامام الحسين لم يكن حاضراً بالكوفة حينما اغتيل أبوه وانما كان في معسكر النخيلة قائداً لفرقة من الجيش الذي اعده الامام لمناجزة معاوية ، وقد ارسل إليه الامام الحسن رسولا يعرفه بما جرى على ابيه ، فقفل واجما الى الكوفة ، وهو غارق بالأسى والشجون ، فوجد اباة على حافة الموت فالقى بنفسه عليه يوسعه تقييلاً ودموعه تتبلور على خديه .

واخذ الامام العظيم يوصي اولاده بالمثل الكريمة والقيم الانسانية ،
وعهد إليهم أن لا يقتلوا غير قاتله ، وان لا يتخذوا من قتله سببا لاثارة
الفتنة واراقة الدماء بين المسلمين كما فعل بنو أمية حينما قتل عميدهم عثمان

الى الرفيق الاعلى :

واخذ الامام يعاني الآم الاحتضار وهو يتلو آيات الذكر الحكيم ،
وكان آخر ما نطق به قوله تعالى : « لمثل هذا فليعمل العاملون » ثم فاضت
روحه الزكية ، تحفها ملائكة الرحمن ، فهادت اركان العدل في الأرض ،
وانطمست معالم الدين لقد مات ملاذ المنكوبين والمحرومين الذي جهد نفسه
أن يقيم في ربوع هذا الكون دولة تكتسح الاثرة والاستغلال ، وتقيم العدل
والحق بين الناس .

وقام سبطا رسول الله (ص) بتجهيز ابيهما ففسلا جسده الطاهر
وادرجاه في اكفانه ، وفي الهزيم الأخير من الليل حملوه الى مقره الاخير
فدفنوه في النجف الأشرف ، وقد أروا معه العدالة الاجتماعية ، والقيم
الانسانية ويقول المؤرخون ان معاوية لما وافاه النباء بمقتل الامام فرح ،
واتخذ يوم قتله عيداً رسمياً في دمشق فقد تمت بوارق اماله ، وتم له
اتخاذ الملك وسيلة لاستعباد المسلمين وارغامهم على ما يكرهون .

متارك حكومة الامام :

وتركت حكومة الامام آثاراً بالغة الاهمية والخطورة في المجتمع
الاسلامي ولعل من اهمها ما يلي :

١ - انها ابرزت الواقع الاسلامي بجميع طاقاته في عالم السياسة والحكم ، فقد كان الامام يهدف في حكمه الى ازالة الفوارق الاجتماعية بين الناس ، وتحقيق الفرص المتكافئة بينهم على اختلاف قوتهم واديانهم ، ومعاملة جميع الطوائف بروح المساواة والعدالة فيما بينهم من دون أن تتمتع اي طائفة بامتياز خاص وقد اوجدت هذه السياسة للامام رصيماً شعبياً هائلاً ، فقد ظل علي قائماً في قلوب الجماهير الشعبية بما تركه من صنوف العدل والمساواة ، وقد هام بحبه الأحرار ، ونظروا إليه كأعظم مصلح اجتماعي في الأرض ، وقدموه على جميع اعلام تلك العصور ، يقول ابن خزيمة الأسدي مخاطباً بني هاشم وعلى رأسهم الامام :

أجعلكم واقواما سواء وبينكم وبينهم الهواء
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأرؤوسهم واعينهم سماء (١)

٢ - ان مبادئ الامام وآراءه النيرة ظلت تطارد الأمويين وتلاحقهم في قصورهم فكانوا ينظرون إليها شبحاً مخيفاً يهدد سلطانهم ، مما جعلهم يفرضون سبه على المنابر للحط من شأنه ، وصرف الناس عن قيمه ومبادئه .

٣ - ان حكومة الامام التي رفعت شعار العدالة الاجتماعية الكبرى قد جرت لابنائها كثيراً من المشاكل والمصاعب ، والحقت بهم التنكيل والقتل من حكام عصرهم ، وقد تنبأ النبي الأعظم (ص) بذلك فقد روى أبو جعفر الاسكافي أن النبي (ص) دخل على فاطمة فوجد عليها نائماً فذهبت لتوقظه ، فقال (ص) : دعيه فرب سهر له بعدي طويل ، ورب جفوة لأهل بيتي من اجله ، فبكت فاطمة ، فقال لها : لا تبكي فانه معي وفي موقف الكرامة عندي (٢) .

(١) الاغانى ٢١/١ .

(٢) شرح النهج ١٠٧/٤ .

لقد امعن الحكم الأموي والعباسي في ظلم ابناء الامام لانهم تبناوا حقوق المظلومين والمضطهدين ، وتبناوا المبادئ العليا التي رفع شعارها الامام امير المؤمنين فناضلوا كاشد ما يكون النضال في سبيل تحقيقها على مسرح الحياة ، وكان من اشد ابناء الامام حماسا واندفاعا في حماية مبادئ ابيه الامام الحسين (ع) فقد انطلق الى ساحات الجهاد عازما على الموت آيسا من الحياة ليحمي مبادئ جده وأبيه ويرفع راية الاسلام عالية خفاقة وينكس اعلام الشرك والالحاد ، ويحطم قيود العبودية والدك .

٤ - وأوجد الامام في اثناء حكمه القصير وعيا اصيلا في مقارعة الظلم ، ومناهضة الجور فقد هب في وجه الحكم الأموي اعلام اصحابه كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعبدالله بن عفيف الأزدي وامثالهم من الذين تربوا بهدي الامام ، فدوخوا اولئك الظالمين بثورات متلاحقة اطاحت بزهوهم وجبروتهم ، لقد كان حكم الامام - حقا - مدرسة للنضال والثورة ، ومدرسة لبث الوعي الديني والادراك الاجتماعي ، وبهذا ينتهي بنا الحديث عن مخلفات حكومة الامام .

خلافة الحسن :

وتقلد الامام الحسن (ع) ازمة الخلافة الاسلامية بعد ابيه ، فتسلم قيادة حكومة شكلية عصفت بها الفتن ، ومزقت جيشها الحروب والأحزاب ولم تعد هناك اية قاعدة شعبية تستند إليها الدولة ، فقد كان الاتجاه العام الذي يمثله الوجوه والاشراف مع معاوية ، فقد كانوا على اتصال وثيق به قبل مقتل الامام وبعده ، كما كان لهم الدور الكبير في افساد جيش الامام حينما مفي جيش معاوية بالهزيمة والقرار ، وعلى اي حال فان الامام الحسن

بعد أن تقلد الخلافة اخذ يتهيباً للحرب ، وقد أمر بمقصد اجتماع عام في جامع الكوفة وقد حضرته القوات المسلحة وغيرها ، والقى الامام خطاباً رائعا ومؤثراً دعا فيه الى تلاحم القوي ووحدة الصف ، وحذر فيه من الدعايات التي تبثها اجهزة الحكم الأموي ، ثم ندب الناس للحرب معاوية فلما سمعوا ذلك وجلت قلوبهم وكمت افواههم ، ولم يستجب منهم احد سوى البطل الملهم عدي بن حاتم فانبرى يعلن دعمه الكامل للامام ، ووجه اعنف اللوم والتقريع لأهل الكوفة على موقفهم الانهزامي واستيوان للامام وغيره ان جيشه لا يريد الحرب ، فقد خلع يد الطاعة ، وانساب في ميادين العصيان والتمرد .

وبعد جهود مكثفة قام بها بعض المخلصين للامام نفر للحرب اخلاط من الناس - على حد تعبير الشيخ المفيد - كان أكثرهم من الخوارج والشكاكين وذوي الأطلاع ، وهذه العناصر لم تؤمن بقضية الامام ، وقد تطعمت بالخيانة والغدر ، ويقول الرواة ان الامام اسند مقدمة قيادة جيشه لعبيد الله بن العباس الذي وتره معاوية بابنيه ليكون ذلك داعية اخلاص له وحينما التقى جيشه بجيش معاوية ، مد إليه معاوية أسلاك مكره فمناه بمليون درهم يدفع نصفه في الوقت والنصف الآخر اذا التحق به (١) وسال لعاب عبيد الله فاستجاب لدنيا معاوية ومال عن الحق فالتحق بمعسكر الظلم والجور ومعه ثمانية الآف من الجيش (٢) غير حائل بالخيانة والعار ، ولا بالاضرار الفظيعة التي ألحقها بجيش ابن عمه ، فقد تفلت جميع وحداته وقواعده ، ولم تقتصر الخيانة على عبيد الله ، وانما خان غيره من كبار قادة ذلك

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤ / ٢٨ .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٩١ .

الجيش ، فالتحقوا بمعاوية ، وتركوا الامام في أرباض ذلك الجيش المنهزم يصعد آهاته وآلامه .

ولم تقتصر محنة الامام وبلاؤه في جيشه على خيانة قادة فرقه ، وإنما تجاوز بلاؤه الى ما هو أعظم من ذلك ، فقد قامت فصائل من ذلك الجيش بأعمال رهيبة بالغة الخطورة وهي :

١ - الاعتداء على الامام :

وقام الرجس الخبيث الجراح بن سنان بالاعتداء على الامام فطعنه في فخذة بمقول (١) فهوى الامام جريحاً ، وحمل الى الموانى لمعالجة جرحه (٢) وطعنه شخص آخر بخنجر في أثناء الصلاة (٣) كما رماه شخص بسهم في أثناء الصلاة إلا انه لم يؤثر فيه شيئاً (٤) وأيقن الامام أن أهل الكوفة جادون في قتله واغتياله .

٢ - الحكم عليه بالكفر .

واصيب ذلك الجيش بدينه وعقيدته فقد رموا حفيد نبيهم وريحانته بالكفر والمروق من الدين ، فقد جابهه الجراح بن سنان رافعاً عقبرته قائلاً :

« اشركت يا حسن كما أشرك أبوك . . . » (٥) .

وكان هذا رأي جميع الخوارج الذين كانوا يمثلون الأكتربة الساحقة في ذلك الجيش .

٣ - الخيانة العظمى :

والخيانة العظمى التي قام بها بعض زعماء ذلك الجيش انهم راسلوا

(١) المغول : آلة تشبه السيف .

(٢) الارشاد (ص ١٧٠) .

(٣) و (٤) حياة الامام الحسن ٢ / ١٠٢ - ١٠٥ :

(٥) حياة الامام الحسن ٢ / ١٠٣ .

معاوية وضمنوا له تسليم الامام اسيراً أو اغتياله متى رغب وشاء ، (١) واقض ذلك مضجع الامام فخاف ان يؤمر ويسلم الى معاوية فيمن عليه ، ويسجل بذلك يداً لبني أمية على الأسرة النبوية ، كما كان (ع) يتحدث بذلك بعد ابرام الصلح

٤ - نهب امتعة الامام .

وعمد اجلاف أهل الكوفة الى نهب امتعة الامام واجهزته فنزعوا بساطاً كان جالساً عليه كما سلبوا منه رداءه (٢) هذه بعض الاحداث الرهيبة التي قام بها ذلك الجيش الذي تمرس في الحياة والقدر .

الصلح :

ووقف الامام الحسن من هذه الفتن السود موقف الحازم اليقظ الذي تمثلت فيه الحكمة بجميع رحابها ومفاهيمها ، فرأى انه أمام امرين :

١ - ان يفتح باب الحرب مع معاوية ، وهو على يقين لا يخامره ادنى شك ان الغلبة ستكون لمعاوية ، فاما ان يقتل هو واصحابه واهل بيته الذين يمثلون القيم الاسلامية ، ويخسر الاسلام بتضحيتهم قاداته ودعاته من دون ان تستفيد القضية الاسلامية اي شيء فان معاوية بحسب قابلياته الدبلوماسية يحمل المسؤولية على الامام ، ويلقي على تضحيته الف حجاب ، او انه يؤسر فيمن عليه معاوية فتكون سبة على بني هاشم وفخراً لبني امية .

٢ - ان يصلح معاوية فيحفظ للاسلام رجاله ودعاته ، ويبرز في

(١) حياة الامام الحسن ١٠٠/٢

(٢) تاريخ اليعقوبي

صلحه واقم معاوية ، ويكشف عنه ذلك الستار الصفيق الذي تستر به ، وقد اختار (ع) هذا الأمر على ما فيه من قذى في العين وشجى في الحلق ، ويقول المؤرخون إنه جمع جيشه فعرض عليهم الحرب أو السلم فتعالت الاصوات من كل جانب وهم يتادون .

« البقية البقية » (١) .

لقد استجابوا لذلك ، ورضوا بالهوان ، ومالوا عن الحق ، وقد ايقن الامام أنهم قد فقدوا الشعور والاحساس ، وانه ليس بالمستطاع أن يحملهم على الطاعة ويكرههم على الحرب فاستجاب - على كره ومرارة - الى الصلح .

لقد كان الصلح امراً ضرورياً يحتمه الشرع ، ويلزم به العقل ، وتقضي به الظروف الاجتماعية الملبدة بالمشاكل السياسية فان من المؤكد انه لو فتح باب الحرب لني جيشه بالهزيمة ، ومنيت الأمة من جراء ذلك بكارثة لاحد لايعادها .

اما كيفية الصلح وشروطه واسبابه وزيف الناقدين له فقد تحدثنا عنها بالتفصيل في كتابنا حياة الامام الحسن (ع) .

موقف الامام الحسين :

والشيء المحقق ان الامام الحسين قد تجاوز فكرياً مع أخيه في أمر الصلح ، وانه تم باتفاق بينهما فقد كانت الاوضاع الراهنة تقضي بضرورته ، وانه لا بد منه ، وهناك بعض الروايات الموضوعة تعاكس ما ذكرناه ، وان الامام الحسين كان كارماً للصلح وقد هم " ان يعارضه فانلده أخوه

(١) حماة الاسلام ١٢٣/١ ، المجتبي لابن دريد (ص ٣٦)

بأن يقذفه في بيت فيطينه عليه حتى يتم أمر الصلح ، فرأى أن من الوفاء لأخيه أن يطيعه ولا يخالف له أمراً فأجابه الى ذلك ، وقد دللنا على افتعال ذلك وعدم صحته اطلاقاً في كتابنا حياة الامام الحسن .

عدي بن حاتم مع الحسين :

ولما ابرم أمر الصلح خف عدي بن حاتم ومعه عبيدة بن عمر الى الامام الحسين وقلبه يلتهب ناراً فدعا الامام الى اثاره الحرب قائلاً :
« ياأبا عبد الله شريتم الذك بالعز ، وقبلتم التليل وتركتم الكثير ،
اطعنا اليوم ، واعصنا الدهر ، دع الحسن ، وما رأى من هذا الصلح ،
واجمع إليك شيعتك من اهل الكوفة وغيرها وولائي وصاحبي هذه المقدمة ،
فلا يشمر ابن هند الا ونحن تقارعه بالسيوف . » .
فقال الحسين (ع) : « إنا قد بايعنا وعاهدنا ولاسبيل لنقض بيعتنا » (١)
ولو كان الحسين يرى مجالاً للتغلب على الأحداث لحاض الحرب ،
وناجز معاوية ، ولكن قد سدت عليه وعلى أخيه جميع النوافذ والسبل ،
فرؤا انه لا طريق لهم الا الصلح .

تحول الخلافة :

وتحولت الخلافة الاسلامية من طاقتها الاصلية ومفاهيمها البناءة الى ملك
عضوض مستبد لاظلال فيه للعدل ، ولاشبح فيه للحق قد تسلطت الطغمة

(١) الاخبار الطوال (ص ٢٠٣)

الحاكمة من بني أمية على الأمة وهي تمنح في اذلالها ونهب ثروتها ، وارغامها على العبودية ، يقول بعض الكتاب : « ونجم عن زوال الخلافة الراشدة وانتقال الخلافة الى بني أمية نتائج كبيرة فقد انتصرت أسرة بني أمية على الأسرة الهاشمية ، وهذا كان معناه انتصار الارستقراطية القرشية ، واصحاب رؤوس المال والمضاربات التجارية على اصحاب المبادئ والمثل ، لقد كان نصر معاوية هزيمة لكل الجهود التي بذلت للحد من طغيان الرأسمالية القرشية ، هزيمة لحلف الفضول ، وهزيمة للدوافع المباشرة لقيام الاسلام وحرية على الاستغلال والظلم ، هزيمة للمثل والمبادئ ، ونجاح للخنقة والسياسة المدعومة بالتجربة والمال ، ولقد كان لهذه الهزيمة وقع مفرج على الاسلام واجيال المسلمين . »

ويقول (نيكلسون) :

« واعتبر المسلمون انتصار بني أمية وعلى رأسها معاوية انتصاراً للارستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول واصحابه العداء ، والتي جاهدها رسول الله (ص) حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون على جهادها ومقاومتها حتى نصرهم الله ، واقاموا على انقاضها دعائم الاسلام ذلك. الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء ، وازال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ، ويستلذون الضعفاء ، ويبتزون الأموال . . »

وعلى أي حال فقد فجع العالم الاسلامي - بعد الصلح - بكارثة كبرى فخرج من عالم الدعة والأمن والاستقرار الى عالم مليء بالظلم والجور فقد اسرع الأمويون بعد ان استتب لهم الامر الى الاستبداد بشؤون المساميين ، وارغامهم على ما يكرهون .

وعانى الكوفيون من الظلم ما لم يعاناه غيرهم ، فقد اتخذت السلطة

تحاسبهم حساباً عسيراً على وقوفهم مع الامام في ايام صفين ، وعهدت في
شؤونهم الى الجلادين امثال المغيرة بن شعبة وزباد بن أبيه فصبوا عليهم
وابلاً من العذاب الأليم ، واخذ الكوفيون يندبون حظهم التعميس على ما
اقترفوه من عظيم الأثم في خذلانهم للامام امير المؤمنين وولده الحسن ، وجعلوا
يلحون على الامام الحسين بوقودهم ورسائلهم لينقذهم من ظلم الأمويين
وجورهم الا ان من المدهش حقاً انه لما استجاب لهم شهرها في وجهه
السيوف ، وقطعوا اوصاله واوصال ابنائه على صعيد كربلا . . . وبهذا
ينتهي بنا المطاف عن افول دولة الحق .

حكومة معاوية

واستقبل المسلمون حكومة معاوية - بعد الصلح - بكثير من الدهر والفرح والخوف ، فقد عرفوا واقع معاوية ، ووقفوا على اتجاهاته الفكرية والمقائدية فخافوه على دينهم ، وعلى نفوسهم واموالهم ، وقد وقع ماخافوه فانه لم يكذب يستولي على رفاق الدولة الاسلامية حتى اشاع الظلم والجور والفساد في الارض ، ويقول المؤرخون انه ساس المسلمين سياسة لم يالفوها من قبل ، فكانت سياسته تحمل شارات الموت والدمار ، كما كانت تحمل معول الهدم على جميع القيم الاخلاقية والانسانية ، وقد انتعشت في عهده الوثنية بجميع مساوئها التي نفر منها الناس ، يقول السيد مير علي الهندي :

« ومع ارتفاع معاوية الخلافة في الشام عاد حكم التوليفارشية الوثنية : السابقة فاحتل موقع ديمقراطية الاسلام وانتعشت الوثنية بكل ما يرافقها من خلاعات ، وكأنها بعثت من جديد ، كما وجدت الرذيلة والتبدل الخلفي لنفسها متسعاً في كل مكان ارتادته رايات حكام الامويين من قادة جند الشام . . . » (١)

والشيء المؤكد ان حكومة معاوية لم تستند الى رضى الأمة أو مشورتها ، وانما فرضت عليها بقوة السلاح ، وقد اعترف معاوية بذلك اعترافاً رسمياً بتصريح ادلى به امام جمهور غفير من الناس فقال : « والله ما وليتها - اي الخلافة - بحجة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي ، ولكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة ، فان لم تجدوني اقوم مجتمعكم كله فاقبلوا مني بعضه . . . »

ولما وقعت الأمة فريسة تحت انيابه - بعد الصلح - خطب في (النخيلة) خطاباً قاسياً اعلن فيه عن جبروته وطغيانه على الأمة واستهانتته بحقوقها فقد جاء فيه : « والله اني ماقاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ولا لتزكوا ، انكم لتفعلون ذلك ، وانما قاتلتكم لأتأمر عليكم ،

(١) روح الاسلام (ص ٢٩٦)

وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون ، (١) ،
ومثل هذا الخطاب الاتجاهات الشريرة التي يحملها معاوية فمن اجل الامرة
والسيطرة على العباد اراق دماء المسلمين ، واشاع في بيوتهم التكل
والحزن والحداد .

ولابدلنا من دراسة موجزة للمخططات السياسية التي تبنتها حكومة معاوية ،
وما رافقها من الاحداث الجسام فانها - فيما نعتقد - من اللمع الاسباب في
ثورة الامام الحسين ، فقد رأى مسأني به المسلمون في هذا العهد من
الحرمان والاضطهاد ، وما اصابوا به من الانحراف والتذبذب من جراء
النقائص الاجتماعية التي اوجدها الحكم الأموي ، فهبّ سلام الله عليه -
بعد هلاك معاوية - الى تفجير ثورته الكبرى التي ادت الى ايقاظ الوعي
الاجتماعي الذي اكتسح الحكم الأموي وازال جميع معالمه وآثاره، . . وهذه
بعض معالم سياسة معاوية .

سياسته الاقتصادية :

ولم تكن لمعاوية أية سياسة اقتصادية في المال حسب المعنى المصطلح
لهذه الكلمة ، وانما كان تصرفه في جباية الاموال وانفاقها خاضعاً لرغباته
وامواته فهو يهب الثراء العريض للقوى المؤيدة له ويحرم العطاء للمعارضين
له ، ويأخذ الاموال ويفرض الضرائب كل ذلك بغير حق
إن من المقطوع به انه لم يعد في حكومة معاوية اي ظل للاقتصاد
الاشلامي الذي عالج القضايا الاقتصادية باروع الوسائل واعمقها ، فقسد
عنى زيادة الدخل الفردي ، ومكافحة البطالة ، واذابة الفقر ، واعتبر مال

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢٥٤

الدولة ملكاً للشعب يصرف على تطوير ومائل حياته ، وازدهار رخائه ، ولكن معاوية قد أشاع الفقر والحاجة عند الاكثية الساحقة من الشعب ، وأوجد الرأسمالية عند فئة قليلة راحت تتحكم في مصير الناس وشؤونهم . . وهذه بعض الخطوط الرئيسية في سياسته الاقتصادية .

الحرمان الاقتصادي :

واشاع معاوية الحرمان الاقتصادي في بعض الاقطار التي كانت تضم الجبهة المعارضة له فنشر فيها البؤس والحاجة حتى لاتمكن من القيام بأية معارضة له ، وهذه بعض المناطق التي قابلها بالاضطهاد والحرمان .

١ - يثرب :

وسعى معاوية لاضعاف يثرب فلم ينفق على المدنيين أي شيء من المال وجهد على فقروهم وحرمانهم لأنهم من معاقل المعارضة لحكمه ، وفيهم كثير من الشخصيات الحاقدة على الأسرة الأموية والطامعة في الحكم ، ويقول المؤرخون؟ انه اجبرهم على بيع املاكهم فاشتراها بالبئس الاثمان ، وقد ارسل القيم على املاكه لتحصيل وارداتها فمنعوه عنها ، وقابلوا حاكمهم عثمان بن محمد ، وقالوا له : إن هذه الأموال لنا كلها ، وان معاوية آثر علينا في عطائنا ، ولم يعطنا درهماً فما فوقه حتى مضنا الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها بجزء من مائة من ثمنها ، فرد عليهم حاكم المدينة بأقسى القول وأمره .

ووفد على معاوية الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري فلم يأذن له بتحقيقاً وتوهيناً به فانصرف عنه ، فوجه له معاوية بستائة درهم فردها جابر وكتب إليه .

واني لاختار القنوع على الغنى اذا اجتمعا والماء بالبارد المحض

واقضي على نفسي إذ الأمر نابي وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضي
والبس أثواب الحياء وقد ارى مكان الغنى الا أهين له عرضي
وقال لرسول معاوية : « قل له : والله يابن آكلة الاكباد لا تجدد
في صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً .

وانتشر الفقر في بيوت الانصار ، وخيم عليهم البؤس حتى لم يتمكن الرجل
منهم على شراء راحلة يستعين بها على شؤونه ، ولما حج معاوية واجتاز
على يثرب استقبله الناس ، ومنهم الانصار وكان اكثرهم مشاة فقال لهم :
« ما منعكم من تلقي كما يتلقاني الناس ؟ ! »
فقال له سعيد بن عباد :

« معنا من ذلك قلة الظهر ، وخفة ذات اليد ، والحاح الزمان
علينا ، وايثارك بمعروفك غيرنا » .

فقال له معاوية باستهزاء وسخرية .
« اين أنتم عن نواضح المدينة ؟ »

فسدد له سعيد سهما من منطقه الفياض قائلاً :

« نحرناها يوم بدر ، يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان » (١)

لقد قضت سياسة معاوية بنشر المجاعة في يثرب وحرمان اهلها من
الصلة والعطاء ، يقول عبد الله بن الزبير : في رسالته الى يزيد « فلعمري ما تؤتينا
مما في يدك من حقنا الا القليل وانك لتحبس عنا منه العريض . . »

وقد اوعز معاوية الى الحكومة المركزية في يثرب برفع اسعار المواد
الغذائية فيها حتى تعم فيها المجاعة . وقد المع الى ذلك يزيد في رسالته التي
بعثها للمدنيين ووعدهم فيها بالاحسان ان خضعوا لسلطانه ، وقد جاء فيها .
« ولهم علي عهد أن اجعل الحنطة كسعر الحنطة عندنا ، والعطاء

انساب الاشراف ج ١ ق ٧٣/٢

الذي يدكرون أنه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو علي لهم وفرأ كاملاً ، (١)
وقد جعل معاوية الولاة على الحجاز تارة مروان بن الحكم ، واخرى
سعيد بن العاص وكان يعزل الأول ويولي الثاني ، وقد جهدا في اذلال
اهل المدينة وفقرهم

٢ - العراق :

اما العراق فقد قابله معاوية بالمزيد من العقوبات الاقتصادية باعتباره
المركز الرئيسي للمعارضة ، والقطر الوحيد الساخط على حكومته ، وكان
واليه المغيرة بن شعبه يحبس العطاء والارزاق عن أهل الكوفة ، وقد سار
حكام الامويين من بعد معاوية على هذه السيرة في اضطهاد العراق وحرمان
اهله ، فان عمر بن عبدالعزيز اعد لهم لم يساو بين العراقيين والشاميين في العطاء ،
فقد زاد في عطاء الشاميين عشرة دنانير ولم يزد في عطاء اهل العراق (٢)
لقد عانى العراق في عهد الحكم الأموي اشد الوان الضيق مما جعل
العراقيين يقومون بثورات متصلة ضد حكمهم .

٣ - مصر :

ونالت مصر المزيد من الاضطهاد الاقتصادي فقد كتب معاوية الى
عامله : « ان زد على كل امرئ من القبط قيراطاً ، فانكر عليه عامله
وكتب إليه : « كيف ازد عليهم وفي عهدهم ان لايزاد عليهم ، (٣)
وشمل الضيق الاقتصادي سائر الاقطار الاسلامية ليشغلها عن
معارضة حكمه .

(١) الامامة والسياسة ١٥١/١

(٢) العقد الفريد ٢٥٩/٤

(٣) حياة الامام موسى بن جعفر ٣٠٢/١

الرفاه على الشام :

وبيما كانت البلاد الاسلامية تعاني الجهد والحرمان نجد الشام في رخاء شامل واسعار موادها الغذائية منخفضة جداً ، لأنها اخلصت للبيت الأموي ، وعملت على تدعيم حكمه ، فكان الرفاه يعد فيها شائعاً ، اما ما يؤيد ذلك فهي رسالة يزيد التي ذكرناها قبل قليل . وقد حملوا أهل الشام على رقاب الناس كما المم الى ذلك مالك بن هبيرة في حديثه مع الحصين بن نمير . يقول له : « هلمّ فلنبايع لهذا الغلام - اي خالد بن يزيد - الذي نحن ولدنا اباه وهو ابن اختنا ، فقد عرفت منزلتنا من ابيه فانه كان يحملنا على رقاب العرب » (١)

استخدام المال في تدعيم ملكه :

واستخدم معاوية الخزينة المركزية لتدعيم ملكه وسلطانه ، واتخذ المال سلاحاً يمكنه من قيادة الأمة ورئاسة الدولة ، يقول السيد مير علي الهندي : « وكانت الثروات التي جمعها معاوية من عماله على الشام يبذلها هو وبطانته على جنوده المرتزقة الذين ساعدوه بدورهم على اخفات كل همسة ضدهم . » (٢)

وكانت هذه السياسة غريبة على المسلمين لم يفكر فيها أحد من الخلفاء السابقين ، وقد سار عليها من جاء بعده من خلفاء الأمويين فاتخذوا المال

(١) الطبري ٣٨/٧

(٢) روح الاسلام (ص ٢٩٦)

وسيلة لدعم سلطانهم ، يقول الدكتور محمد مصطفى : « وكان من عناصر سياسة الامويين استخدام المال سلاحاً للارهاب ، واداة للتقريب فحرموا منه فئة من الناس ، واغدقوه اضعافاً مضاعفة لطائفة اخرى ثمناً لضمايرهم ، وضماناً لصحتهم . » (١)

وجعل شكري فيصل المال احد العاملين الاساسيين اللذين خضع لهما المجتمع الاسلامي خضوعاً عجيبياً ، وكان من جملة الأسباب في فن السياسة ، وسيطرة الطبقة الحاكمة من قريش ، كما انه احد الاسباب في وقوع الخلاف ما بين العرب والعجم بل وما بين العرب انفسهم (٢)

المنح الهائلة لأسرته :

ومنح معاوية الاموال الهائلة لأسرته فوهبهم الثراء العريض (٣) وذلك لتقوية مركزهم ، وبسط نفوذهم على العالم الاسلامي ، في حين اشاع البؤس والحرمان عند اغلب فئات الشعب .

منح خراج مصر لعمره :

وهب معاوية خراج مصر لابن العاص ، وجعله طعمة له مادام حياً ، وذلك لتعاونه معه على مناخزة الامام امير المؤمنين رائد الحق والعدالة في الأرض ، وقد المعنا الى تفصيل ذلك في البحوث السابقة .

(١) اتجاهات الشعر العربي (ص ٢٧)

(٢) المجتمعات الاسلامية في القرن الاول (ص ٥٠) لشكري فيصل

(٣) الفخري (ص ١٤٥)

هبات الأموال للمؤيدين :

واغدق معاوية الأموال الهائلة على المؤيدين له والمنحرفين عن الامام امير المؤمنين وقد اسرف في ذلك الى حد بعيد ، ويقول الرواة : ان يزيد بن منبه قدم عليه من البصرة يشكو له ديناً قد لزمه ، فقال معاوية : لحازن بيت المال اعطه ثلاثين الفا ، ولما ولى قال : وليوم الجمل ثلاثين الفا أخرى (١) لقد وهب له هذه الأموال الضخمة جزاء لمواقفه ومواقف أخيه-الذي امدت المتمردين في حرب الجمل بالأموال التي نهبها من بيت مال المسلمين ، وقد حفل التاريخ ببوادر كثيرة من هبات معاوية للقوى المنحرفة عن الامام ، والمؤيدة له .

شراء الاديان :

وفتح معاوية باباً جديداً في سياسته الاقتصادية وهي شراء الاديان وخيانة الدم ، فقد وفد عليه جماعة من اشراف العرب فاعطى كل واحد منهم مائة الف واعطى الحنات عم الفرزدق سبعين الفا ، فلما علم الحنات بذلك رجم مغضبا الى معاوية فقال له :

« فضحتني في بني تميم ، اما حسبي فصحيح ، أو لست ذا سن ؟
الست مطاعا في عشيرتي ؟ »

« بلى . »

« فما بالك خست بي دون القوم واعطيت من كان عليك اكثر ممن

(١) المعقد الفريد ١/١٩٤ .

كان لك ! ! »

فقال معاوية بلا حياء ولا خجل :

« إني اشتريت من القوم دينهم ، ووكلتك الى دينك »

« انا اشترى مني ديني »

فأمر له باتمام الجائزة (١) لقد خسرت هذه الصفقة التي كشفت عن

مسخ الضمائر وتحويلها الى سلعة تباع وتشري .

عجز الخزينة المركزية :

ومنيت الخزينة المركزية بعجز مالي خطير نتيجة الاسراف في الهبات لشراء الدم والاديسان ولم تتمكن الدولة من تسديد رواتب الموظفين مما اضطر معاوية الى أن يكتب لابن العاص راجياً منه أن يسعفه بشيء من خراج مصر الذي جعله طعمة له فقد جاء في رسالته : « اما بعد : فان سؤال أهل الحجاز ، وزوار أهل العراق قد كثر وا علي ، وليس عندي فضل من اعطيات الجنود فأعني بخراج مصر هذه السنة . . » ولم يستجب له ابن العاص وراح ينكر عليه ، ويذكره باياديه التي اسداها عليه وقد اجابه بهذه الابيات :

معاوي إن تدركك نفس شحيحة فما ورثني مصر امسي ولا ابي
وما نلتها عقواً ولكن شرطتها وقد دارت الحرب العوان على قطب
ولولا دفاعي الاشعري وصحبه لألفيتها ترغو كراغيسة السغب
ولما قرأ معاوية الأبيات تأثر منه ، ولم يعاوده بشيء من امر مصر. (٢)

(١) حياة الامام الحسن ١٥٣/٢

(٢) الاخبار الطوال (ص ٢٠٤)

مصادرة اموال المواطنين :

واضطر معاوية بعد اسرافه وتبذيره الى مصادرة اموال المواطنين
ليسد العجز المالي الذي منيت به خزينة الدولة ، وقد صادر موارث
الحمات عم الفرزدق فانكر عليه الفرزدق وقال بهجوه :

ابوك وعمي يامعاوي أورثنا ترثنا فيختار التراث اقاربه
فما بال ميراث الحمات اخذته وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الامر في جاهلية علمت من المرء القليل حلايبه
ولو كان في دين سوى ذاشنتم لنا حقنا أو غص بالماء شاربه
الست اعز الناس قوما وأمرة وامنهم جاراً اذا ضم جانبه
وما ولدت بعد النبي وآله كئلي حصان في الرجال يقاربه
وبيتي الى جنب الثريا فناؤه ومن دونه البدر المضيء كواكبه
أنا ابن الجبال الشم في عدد الحصى وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه
وكم من أب لي يامعاوي لم يزل اغر يباري الريح ازور جانبه
نمته فروع المالكين ولم يكن ابوك الذي من عبد شمس يقاربه (١)

ومعنى هذه الابيات ان الأموال التي خلفها صخر جد معاوية قد
انتقلت الى وراثة في حين ان ميراث عم الفرزدق قد صادره معاوية ، ولو
كان ذلك في الجاهلية لكان معاوية اقصر باعاً من أن تمتد يده إليه ، فان
الفرزدق ينتمي الى اسرة هي من اعز الأسر العربية وامنعها .

(١) ابن الأثير ٣/٢٣٢ ، ديوان الفرزدق (ص ٢٤٦)

ضريبة النيروز :

وفرض معاوية على المسلمين ضريبة النيروز ليسد بها نفقاته ، وقد بالغ في ارهاق الناس واضطهادهم على ادائها ، وقد بلغت فيما يقول المؤرخون عشرة ملايين درهم (١) وهي من الضرائب التي لم يألفها ، المسلمون ، وقد اتخذها الخلفاء من بعده سنة فارغموا المسلمين على ادائها .

نهب الولاة والعمال :

واصبحت الولاية في عهد معاوية مصدراً من مصادر النهب والسرقه ، ومصدراً للثراء وجمع الاموال ، يقول انس بن أبي اناس لحارثة الغداني صاحب زياد بن أبيه حينما ولي على (سرق) وهي احدى كور الاهواز :

احار بن بدر قد وليت اماره فكن جرذاً فيها تخون وتسرق
وباه تميمما بالغنى ان للغنى لساننا به المرء الهيوبه ينطق
ولا تخقرن يا حار شيئاً أصبته فحظك من ملك العرافين سرق (٢)

ويصف عقبه بن هبيرة الأسدي ظلم الولاة واستنصفاهم اموال الرعية بقوله :

معاوي انتا بشر فاسجج فلسنا بالجبال ولا الحديد (٣)
اكلتم ارضنا فجردتموها فهل من قسائم أو من حصيد

(١) الحركات الفكرية في الاسلام (ص ٤٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٢٢/٢

(٢) الشعر والشعراء (ص ٤٦٢)

(٣) السجج : السهولة والبن

فهبنا أمة ذهبت ضياعاً يزيد أميرها وابو يزيد
 أتطمع في الخلافة اذ هلكننا وليس لنا ولالك من خلود
 ذروا نخول الخلافة واستقيموا وتأمير الاراذل والعبيد
 واعطونا السوية لاتزركم جنود مردقات بالجنود (١)
 وقد عانى المسلمون ضرباً شاقاً وعسيرة من جور الولاة وظلم الجباة ،
 فقد تمسوا بالسلب والنهب ، ولم يتركوا عند احد من الناس فضلاً من
 المال الا صادروه :

جباية الخراج :

اما جباية الخراج فكانت خاضعة لرغبات الجباة واهوائهم ، وقد
 سأل صاحب اخنا عمرو بن العاص عن مقدار ما عليه من الجزية فنهره ابن
 العاص وقال له :
 « لو اعطيني من الأرض الى السقف ما اخيرتك ما عليك انما اتم
 خزانة لنا إن كثر علينا كثرنا عليكم ، وان نُخفف عنا خففنا عنكم . . » (٢)
 وهدمت هذه الاجراءات الظالمة جميع قواعد العدل والمساوات التي
 جاء بها الاسلام .

اصطفاء الذهب والفضة :

وأوعز معاوية الى زياد بن أبيه ان يصطفي له الذهب والفضة فقام

(١) خزانة الأدب ٢/٢٢٥

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ٧٩/٢ - ٨٠

زيد مع عماله باجبار المواطنين على مصادرمة ما عندهم من ذلك وارساله الى دمشق (١) وقد ضيق بذلك على الناس ، وترك الفقر آخذاً بمخناقهم .

شل الحركة الاقتصادية :

وشلت الحركة الاقتصادية في جميع انحاء البلاد فخربت الزراعة والشجارة ، واصيب الاقتصاد العام بنكسة شاملة نتيجة تلبير معاوية واسرافه ، وقد اعلن ذلك عبد الله بن همام السلوي فقد كتب شعراً في رقاد والقاها في المسجد الجامع يشكو فيها الجور الهائل والمظالم الفظيعة التي صبها معاوية وعماله على الناس وهذه هي الابيات :

الا ابلغ معاوية بن صخر	فقد خرب السواد فلا سوادا
ارى العمال اقساء علينا	بعاجل نفعهم ظلموا العبادا
فهل لك ان تدارك بالدينا	وتدفع عن رعينك الفسادا
وتعزل تابعاً ابداً هواه	ينحرب من بلادته البلادا
اذا ماقلت اقصر عن هواه	تمادى في ضلالته وزادا (٢)

وقد صور السلوي بهذه الابيات سوء الحالة الاقتصادية وتسلب انوالة على ظلم الرعية ودعا السلطة الى عزلهم واقصائهم عن وظائفهم فقد جهدوا في خراب السواد وامتصوا الدماء ، واتبعوا الهوى ، وظلوا عن الطريق القويم .

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ٣٠١/١

(٢) الاسلام والحضارة العربية ١٤٩/٢ ١٥٠

حجة معاوية :

ويرى معاوية ان اموال الأمة وخزيرتها المركزية ملك له يتصرف فيها حيث ما شاء يقول : « الأرض لله ، وأنا خليفة الله ، فما اخذ من مال الله فهو لي ، وما تركته كان جائزاً الي . » (١)

وهذا المنطق بعيد عن روح الاسلام ، وبعيد عن اتجاهاته فقد فنن اسسه الاقتصادية على اساس ان المال مال الشعب ، وان الدولة ملزمة بتنميته وتطويره ، وليس لرئيس الدولة وغيره ان يتلاعب باقتصاد الأمة وينفقه على رغباته واهوائه فان ذلك يؤدي الى اذاعة الحاجة ونشر البطالة ويعرض البلاد للزمات الاقتصادية . . . لقد اعتبر الاسلام الفقر كارثة اجتماعية ووباءاً شاملاً يجب مكافحته بكل الطرق والوسائل ، ونيس لرئيس الدولة ان يصطفي من مال الأمة اي شيء ، هذا هو رأي الاسلام ، ولكن معاوية - بصورة لاتقبل الجدل - لم يع ذلك ، فتصرف باموال المسلمين حسب رغباته واهوائه .

هذه بعض معالم سياسة معاوية الاقتصادية التي فقدت روح التوازن واشاعت البؤس والحرمان في البلاد .

سياسة التفريق :

وبنى معاوية سياسته على تفريق كلمة المسلمين وتشيت شملهم ، وبث روح التفرقة والبغضاء بينهم ، ايماناً منه بأن الحكم لايمكن أن يستقر له الا في

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ٣٠١/١

تفعل وحدة الأمة ، وإشاعة العداء بين أبنائها ، يقول العقاد : « وكانت له - أي معاوية - حيلته التي كررها واتقنها وبرع فيها ، واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين ، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخذييل بين خصومه بإلقاء الشبهات بينهم ، وإثارة الأحن فيهم ، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوي قرباه . . . كان لا يطبق أن يرى رجلين ذوي خطر على وفاق ، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعينه على الإيقاع بهم » . (١)

لقد شتمت كلمة المسلمين ، وفصم عرى الأخوة الإسلامية التي عقد أواصرها الرسول الكريم ، وبنى عليها مجتمعه .

اضطهاد الموالى :

وبالغ معاوية في اضطهاد الموالى وإذلالهم ، وقد رام أن يببدهم إبادة شاملة يقول المؤرخون : انه دعا الأحنف بن قيس وسمرة بن جندب وقال لهما : « اني رأيت هذه الحمراء قد كثرت ، وأراها قد قطعت على السلف ، وكأني انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان ، فقد رأيت أن اقتل شطراً منهم ، وادع شطراً لاقامة السوق وعمارة الطريق » . ولم يرتض الأحنف وسمرة هذا الأجراء الخطير فأخذوا يلطفان به حتى عدل عن رأيه . (٢)

لقد سنَّ معاوية اضطهاد الموالى ، واخذت الحكومات التي تلت من بعده تشييع فيهم الجور والحرمان بالرغم من اشتراكهم في الميادين العسكرية

(١) معاوية في الميزان (ص ٦٤)

(٢) المقصد الفريد ٢/٢٦٠ .

وغيرها من اعمال الدولة ، يقول شاعر الموالي شاكياً مما ألمّ بهم من الظلم :
 ابلغ امية عني إن عرضت لها وابن الزبير وابلغ ذلك العربا
 ان الموالي اضحت وهي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والحربا
 وانبرى احد الخراسانيين الى عمر بن عبد العزيز يطالبه بالعدل فيهم قائلاً :
 له : « يا امير المؤمنين عشرون الفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ، ولا رزق ،
 ومثلهم قد اسلموا من أهل اللمة يؤدون الخراج . » (١) وكان الشعبي
 قاضي عمر بن عبد العزيز قد بغض المسجد حتى صار ابغض إليه من
 كناسة داره - حسب مسابقول - لأن الموالي كانت تصلي فيه (٢) وقد
 اضطر الموالي الى تأسيس مسجد خاص لهم اسمه (مسجد الموالي) كانوا
 يقيمون الصلاة فيه (٣) ويميل خودا بنحش الى الظن انهم انما اضطروا الى
 تأدية صلاتهم فيه بعدما رؤوا تعصب العرب ضدهم ، وانهم لم يكونوا
 يسمحون لهم بالعبادة معهم في مسجد واحد (٤) وكان الموالي يلقفون بالرد
 على العرب ويدعونهم الى الهدى قائلين :

« اننا لانكر تبان الناس ، ولا تفاضلهم ، ولا السيد منهم والمسود ،
 والشريف والمشروف ، ولكننا نزعم ان تفاضل الناس فيما بينهم هو ليس
 بأبائهم ، ولا بأحسابهم ولكننا بافعالهم واخلاقهم ، وشرف انفسهم ، وبعدهم
 مهمهم ، فمن كان دنيء الهممة ، ساقط المرؤة لم يشرف وان كان من بني
 هاشم في ذؤابتها !! إنما الكرم من كرمت افعاله ، والشريف من

(١) الطبري ١٣٤/٨ ، الكامل ١٩/٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٧٥/٦ .

(٣) الطبري في احداث سنة ٢٤٥ .

(٤) الحضارة الاسلامية ٤٣/١ .

شرفت همته . ٤ (١)

ولم يح الامويون ومن مسار في ركابهم هذا المنطق المشتق من واقع الاسلام وهدية الذي أمر ببسط المساواة والعدل بين جميع الناس من دون فرق بين قومياتهم .

وعلى أي حال فقد ادت هذه السياسة العنصرية الى اشاعة الاحقاد بين المسلمين واختلاف كلمتهم ، كما ادت الى تجنيد الموالي لكل حركة ثورية تقوم ضد الحكم الأموي وكانوا بالأخير هم القوة الفعالة التي اطاحت بالأمويين وطوت معالمهم وآثارهم .

العصبية القبلية :

وتبعاً لسياسة التحزب والتفريق التي سار عليها الأمويون فقد احيوا العصبية القبلية ، وقد ظهرت في الشعر العربي صوراً مرعبة ومؤلمة من الوان ذلك الصراع الذي كانت تخلقه السلطة الأموية لاشغال الناس بالصراع القبلي عن التدخل في الشؤون السياسية ، وابعادهم عما يقننه معاوية من الظلم والجور ، ويقول المؤرخون : إنه عمد الى اثاره الاحقاد القديمة ما بين الأوس والخزرج محاولاً بذلك التقليل من أهميتهم ، واسقاط مكانتهم امام العالم العربي والاسلامي . كما تعصب لليمنيين على المصريين ، واشعل نار الفتنة فيما بينهم حتى لا تتحد لهم كلمة تضر بمصالح دولته .

وسار عمال معاوية على وفق منهج سياسته التخريبية فكان زياد بن أبيه يضرب القبائل بعضها ببعض ويؤجج نار الفتنة فيما بينها حتى تكون تحت مناطق نفوذه يقول ولهاوزن : « وعرف زياد كيف يخضع القبائل

(١) العقد الفريد ٢ ٢٥٨ - ٢٥٩

بأن يضرب احدها بالأخرى ، وكيف يجعلها تعمل من اجله ، واملح في ذلك . . . (١)

وحفلت مصادر التاريخ ببيادر كثيرة من الوان التناحر القبلي الذي اثاره معاوية وعماله مما ادى الى انتشار الضغائن بين المسلمين ، وقد عانى الاسلام من جراء ذلك أشد الوان المحن فقد أوقف كل نشاط مثمر له ، وخولف ما كان يدعو له النبي (ص) من التأخي والتعاطف بين المسلمين.

سياسة البطش والجبروت :

وساس معاوية الأمة سياسة بطش وجبروت فاستهان بمقدراتها وكرامتها ، وقد اعلن - بعد الصلح - انه انما قاتل المسلمين وسفك دماءهم ليتأمر عليهم ، وان جميع ما اعطاه للامام الحسن (ع) من شروط فهي تحت قدميه لا يفي بشيء منها ، وقد ادلى بتصريح عبر فيه عن كبريائه وجبروته فقال :

« نحن الزمان من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع . . (٢) »

وسار عماله وولائه على هذه الخطة الغادرة فقد خطب عتبة بن أبي سفيان بمصر فقال :

« يا حاملي الأم أنوف رُكبت بين أعين ، إني قلمت اظفاري هنكم ليلين مسيئكم وسألتم اصلاحكم اذا كان فسادكم باقياً عليكم فاما إذا أبيتم الا الطعن على السلطان والنقص للسلف ، فوالله لا قطعن بطون السياط على ظهوركم ، فان حسمت اداواكم والا فان السيف من ورائكم ، فكم حكمة منا لم تعها قلوبكم ، ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ، ولست ارجل

(١) الدولة العربية (ص ٢٠٧) .

(٢) نهاية الارب ٧/٦ .

بالعقوبة اذا جدتم بالمعصية . . . (١) »

وخطب المصريين في خطاب آخر له فقال :

« يا أهل مصر إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً فان لله ذبيحاً لعثمان
لاتصبروا الى وحشة الباطل بعد انس الحق باحياء الفتنة ، وامانة السنن
فأطأكم والله وطأة لارمق معها حتى تنكروا ماكنتم تعرفون . . (٢)
ومثلت هذه القطع من خطابه مدى احقاده على الأمة وتبكره لجميع
قيمها وأهدافها ومن اولئك الولاة الذين كفروا بالحق والعدل ، خالداً
القسري ، فقد خطب في مكة ، وهو يهدد المجتمع بالدمار والفناء ، فقد
جاء في خطابه :

« أيها الناس عليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات فاني
- والله - ما أوتي لي باحد يطعن على امامه الا صلبته في الحرم . . (٣)
وكانت هذه الظاهرة ماثلة عند جميع حكام الأمويين وولانهم يقول
الوليد بن يزيد :

فدع هنك ادكارك آل سعدي فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المدلثة والنكالا
ونوردهم حياض الخسف ذلاً وما نألوهم الا خبالا (٤)
وصورت هذه الآيات مدى استهائه بالأمة ، فانه مع بقية الحكام
من اسرته ، قد ملكوا الناس بالقلبة والقوة ، وانهم يسومونهم الذل ،
ويوردونهم حياض الخسف . . . ومن اولئك الملوك عبد الملك بن مروان

(١) تهذيب الكامل للمبرد ١ / ١٧

(٢) المقدم الفريد ٢ / ١٥٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٨ / ٨٠ .

(٤) حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٣٨٧ .

فقد خطب في يثرب امام ابناء المهاجرين والأنصار فقال :

« الا واني لا أداوي أمر هذه الأمة الا بالسيف حتى تستقيم قبايتكم ،
وانكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ، ولا تعملون مثل عملهم ،
وانكم تأمروننا بتقوى الله ، وتنسون انفسكم والله لا يأمرني احد بتقوى الله
بعد مقامي هذا - الا ضربت عنقه . . » (١)

وحفل هذا الخطاب بالطغيان الفاجر على الأمة ، فهو لا يرى
حلا لأزماتها الا بسفك الدماء واشاعة الجور والأرهاب ، اما بسط العدل
ونشر الدعوة والرفاهية بين الناس فلم يفكر به ولا دار بخلده ولا في خلد
واحد من حكام الأمويين .

احتقار الفقراء :

وتبنى الحكم الأموي في جميع ادواره اضطهاد الفقراء واحتقار الضعفاء ،
ويقول المؤرخون ان بني امية كانوا لا يسمحون للفقراء بالدخول الى دوائرهم
الرسمية الا في آخر الناس يقول زياد بن ابيه لعجلان حاجبه :

- كيف تأذن للناس ؟
- على البيوتات ، ثم على الاسنان ، ثم على الأدب .
- من تؤخر ؟
- الدين لا يعبا الله بهم .
- من هم ؟
- الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف ، وكسوة الصيف في الشتاء . (٢)

(١) تاريخ ابن الاثير ٤ / ٣٣ .

(٢) نهاية الأرب ٦ / ٨٦ .

وهدمت هذه السياسة قواعد العدل والمساواة التي جاء بها الاسلام
فانه لم يفرق بين المسلمين وجعلهم سواسية كاستان المشط .

سياسة الخداع :

واقام معاوية دولته على المخائلة والخداع فلا ظل للواقع في اي تحرك
من تحركاته السياسية ، فما كان مثل ذلك الضمير المتحجر ان يعي الواقع
أو يقفه الحق ، وقد حفل التاريخ بصور كثيرة من خداعه ، وهذه بعضها:
١ - لما دس معاوية السم الى الزعيم الكبير مالك الاشرى اقبل على
اهل الشام فقال لهم :

« ان علياً وجه الأشرى الى مصر فادعوا الله ان يكفيكموه . »

فكان اهل الشام يدعون عليه في كل صلاة ، ولما اخبر بموته انبأ اهل
الشام بأن موته نتج عن دعائهم لأنهم حزب الله ، ثم همس في اذن ابن
العاص قائلاً له : « ان لله جنوداً من عسل » (١)

٢ - ومن خداع معاوية وأضاليه ان جريبر البجلي لما اوفده الامام
الى معاوية يدعوه الى بيعته ، طلب معاوية حضور شر حبيبل الكندي ،
وهو من ابرز الشخصيات في الشام وقد عهد الى جماعة من اصحابه ان
ينفرد كل واحد منهم به ، ويلقي في روعه ان علياً هو الذي قتل
عثمان بن عفان ، ولما قدم عليه شر حبيبل اخبره معاوية بوفادة جريبر ، وانه
يدعوه الى بيعته الامام ، وقد حبس نفسه في البيعة حتى يأخذ رأيه لأن
الامام قد قتل عثمان ، وطلب منه شرحبيبل ان يمهله لينظر في الأمر ، فلما
خرج التقى به القوم كل على انفراده ، واخبروه ان الامام هو المسؤول

(١) شرح النهج ٢ / ٢٣ .

عن اوراقه دم عثمان فلم يشك الرجل في صدقهم فانبرى الى معاوية وهو يقول له :

« يا معاوية اين الناس ؟ الا ان علياً قتل عثمان ، والله ان بايعت لنخرجنك من شامنا ولنقتلنك . »

فقال معاوية مخادعاً له :

« ما كنت لأخالف عليكم ما أنا الا رجل من أهل الشام . . . » (١)
بمثل هذا الخداع والبهتان اقام دعائم سلطانه ، وبنى عليه عرش دولته .
٣ - ومن الوان خداعه لأهل الشام انه لما راسل الزعيم قيس بن سعد يستميله ويمنيه بسلطان العراقين وبسلطان الحجاز لمن احب من اهل بيته ان صار معه فرد عليه قيس باعنف القول فاطهر معاوية لأهل الشام انه قد بايع ، وأمرهم بالدعاء له واختلق كتاباً نسبه إليه وقد قرأه عليهم وهذا نصه :

« اما بعد : ان قتل عثمان كان حدثاً في الاسلام عظيماً ، وقد نظرت لنفسي ودينبي فلم ار بوسعي مظاهرة قوم قتلوا امامهم مسلماً محرماً برأ تقياً فنستغفر الله لدينونا الا واني قد القيت لكم بالسلام ، واحببت قتال قتلة امام الهدى المظلوم ، فاطلب مني ما احببت مني من الأموال والرجال اصحله إليك . . . » (٢)

وبهذه الأساليب المنكرة خدع أهل الشام وزج بهم لحرب وصي رسول الله (ص) وباب مدينة علمه .

٤ - لقد كان الخداع من ذاتيات معاوية ، ومن العناصر المقومة لسياسته ، وقد بهر ولده يزيد حينما بويع وكان الناس يمدحونه فقال لأبيه :

(١) شرح النهج ١ / ١٢٩ .

(٢) شرح النهج ٢ / ٢٣ .

« يا امير المؤمنين ما ندري انخدع الناس ام يخدعوننا ؟ ؟ » .
فاجابه معاوية :

« كل من اردت خديعته فتخادع له حتى تبلغ منه حاجتك فقد
خدعته » (١)

لقد جر معاوية ذيله على الخداع وغلدى به أهل مملكته حتى نشأ جيل
كانت هذه الظاهرة من ابرز ما عرف منه .

اشاعة الانتهازية :

وعملت حكومة معاوية على اشاعة الانتهازية والوصولية بين الناس ،
ولم يعد ماثلاً عند الكثيرين منهم ما جاء به الاسلام من ايثار الحق ونكران
الذات ، ومن مظاهر ذلك التذبذب ما رواه المؤرخون ان يزيد بن
شجرة الرهاوي قد وفد على معاوية ، وبينما هو مقبل على سماع حديثه
اذ اصابه حجر عائر فادماه فظاهر تصنعاً عدم الاعتناء به فقال له معاوية :

« لله انت ما نزل بك ! ! ؟ »

« ماذا يا امير المؤمنين ؟ »

« هذا دم وجهك يسيل . . »

« إن حديث امير المؤمنين الهاني حتى غمز فكري فما شعرت بشيء

حتى زبني امير المؤمنين . »

فبهر معاوية وراح يقول :

« لقد ظلمك من جعلك في الف من العطاء ، واخرجك من عطاء

ابناء المهاجرين ، وكداة أهل صفين . » وامر له بخمسة الف درهم ،

(١) الكامل للمبرد ١ / ٣٠٥

وزاد في عطائه الف درهم . . (١)

وكانت هذه الظاهرة سائدة في جميع ادوار الحكم الأموي فقد ذكر المؤرخون ان اسماعيل بن يسار كان زبيري الهوى فلما ظفر آل مروان بآل الزبير انقلب اسماعيل عن رأيه واصبح مروانياً ، وقد استأذن على الوليد فأخره ساعة فلما اذن له دخل وهو يبكي فسأله الوليد عن سبب بكائه فقال : « اخرتني وأنت تعلم مروانيتي ، ومروانية أبي »

وأخذ الوليد يعتذر منه ، وهو لايزداد الا اغراقاً في البكاء ، فهون عليه الوليد واحسن صلته ، فلما خرج تبعه شخص ممن يعرفه فسأله عن مروانيته التي ادعاها متى كانت ؟ فقال له :

« بغضنا لآل مروان ، وهي التي حملت أباه يسار في حال موته ان يتقرب الى الله بلعن مروان بن الحكم ، وهي التي دعت امه ان تلعن آل مروان مكان ما تقترب به الى الله من التسبيح . . » (٢)

ونقل المؤرخون بوادر كثيرة من الوان هذا الخداع الذي ساد في تلك العصور وهو من دون شك من مخلفات سياسة معاوية الذي ربي جيله على التذبذب والانحراف عن الحق .

الخلاعة والمجون :

وعرف معاوية بالخلاعة والمجون ، يقول ابن أبي الحديد : « كان معاوية أيام عثمان شديد التهتك موسوماً بكل قببح ، وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في

(١) التاج في اخلاق الملوك (ص ٥٥) .

(٢) الاغانى ٤ / ١٢٠

آنية الذهب والفضة ، ويركب البغلات ذوات السروج المحلات بها - اي بالذهب - وعليها جلال الديباج والوشي ، وكان حينئذ شاباً وعنده نزق الصبا ، واثر الشيبه وسكر السلطان والامرة ، ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر في ايام عثمان في الشام . . .

ولا خلاف في انه سمع الغناء ، وطرب عليه ، ووصل عليه ايضاً . . وتأثر به ولده يزيد فكان مدمناً خليعاً مستهتراً ، وتأثر بهذا السلوك جميع خلفاء بني أمية ، يقول الجاحظ : « وكان يزيد - يعني بن معاوية - لا يسمي الا سكراناً ، ولا يصبح الا مخموراً ، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء . . وكان الوليد ابن عبد الملك يشرب يوماً ، ويدع يوماً ، وكان سليمان بن عبيد الملك يشرب في كل ثلاث ليال ليلة ، وكان هشام يشرب في كل جمعة ، وكان يزيد بن الوليد ، والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشراب ، فأما يزيد بن الوليد فكان دهره بين حالي سكر وخمار ، ولا يوجد ابداً الا ومعه احدى هاتين ، وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت . (١)

وولى هشام بن عبد الملك الوليد على الحج سنة (١١٩ هـ) فحمل معه كلاباً في صناديق فسقط منها صندوق وفيه كتاب . . وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها عليها ، وحمل معه خمراً ، واران أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها فخوفه اصحابه ، وقالوا له : لانامن الناس عليك وعلينا فترك (٢) ووفد علي بن عباس على الوليد بن يزيد في خلافته ، وقد أتى بابن شراة من الكوفة ، فبادره قائلاً :

« والله ما بعثت اليك لأسألك عن كتاب الله ومنة رسوله . . »

(١) التاج في اخلاق الملوك (ص ١٥١) .

(٢) الطبري ٨ / ٢٨٨ :

- فضحك ابن شراة وقال :
- انك لو سألتني عنها لوجدتني حماراً .
- أنا ارسلت إليك لأسألك عن القهوة - أي الخمر -
- اخبرني عن الشراب ؟
- يسأل امير المؤمنين عما بدا له .
- ماتقول في الماء ؟
- لا بد منه والحمار شريك في فيه .
- وأخذ يسأله عن المشروبات حتى انتهى الى الخمر فقال له :
- ماتقول في الخمر ؟
- أوآه تلك صديق روعي .
- أنت والله صديق روعي . (١)

وأرسل الوليد الى عامله على الكوفة يطلب منه أن يبعث إليه الخلعاء والشعراء الماجنين ليستمتع مايلهو به من الفسق والمجون ، وقد سخر جميع اجهزة دولته للذاتة وشهواته ، وكتب الى واليه على خراسان أن يبعث إليه ببرابط وطنابير ، وقال احد شعراء عصره ساخراً منه :

ابشر يا امين الله	ابشر	بتبشاشير
بأبل يحمل المال	عليها	كالأنابير (٢)
بغال تحمل الخمر	حقائبها	طنابير
فهذا لك في الدنيا	وفي	الجنة تحبير (٣)

وسادت اللذة واللهو في المجتمع العربي ، وتهالك الناس على الفسق

(١) نهاية الأرب ٤ / ٩٣ ، العقد الفريد ٣ / ١٨٤ .

(١) الأنابير : اكدياس من الطعام .

(٣) تاريخ الطبري ٨ / ٢٩٨ :

والفجور ، ومن طريف ما ينقل في هذا الموضوع انه أوتي بشيخ الى هشام ابن عبد الملك وكان معه قيان وخمر وبربط ، فقسال : اكسروا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ فقال له احد الجالسين : عليك بالصبر ، فقال له الشيخ اتراني أبكي للضرب ؟ انما أبكي لاحتقاره البربط اذ سماه طنبوراً (١) لقد كانت مسيرة الامويين في جميع ادوارهم امتداداً لسيرة معاوية الذي اشاع حياة اللهو والخلاعة في البلاد للقضاء على اصالة الأمة ، وسلب وعيها الديني والاجتماعي .

اشاعة المجون في الحرمين :

وعمد معاوية الى اشاعة الدعارة والمجون في الحرمين للقضاء على قدسيتهما واسقاط مكانتها الاجتماعية في نفوس المسلمين ، يقول العلائلي : وشجع الأمويون حياة المجون في مكة والمدينة الى حد الاباحة ، فقد استأجر طوائف من الشعراء والمخنثين من بينهم عمر بن أبي ربيعة لأجل أن يمسخوا عاصمتي مكة والمدينة بمسحة لائليق ، ولا تجعلها صالحتين للزعامة الدينية . وقد قال الاصمعي : دخلت المدينة فما وجدت الا المخنثين ، ورجلا يضع الاخبار والطرف : ، (٢) وقد شاعت في يثرب مجالس الغناء ، وكان الوالي يحضرها ويشارك فيها (٣) وانحسرت بذلك روح الاخلاق ، وانصرف الناس عن المثل العليا التي جاء بها الاسلام .

(١) تأريخ الطبري ٨ / ٢٨٥ .

(٢) سمو المعنى في سمو اللذات (ص ٣٠) .

(٣) العقد الفريد ٣ / ٢٤١ .

الاستخفاف بالقيم الدينية :

واستخف معاوية بكافة القيم الدينية ، ولم يعن بجميع ما جاء به الاسلام من الاحكام فاستعمل اواني الذهب والفضة ، واباح الربا ، وتطيب في الاحرام ، وعطل الحدود ، (١) وقد الغيت معظم الاحكام الاسلامية في اغلب ادوار الحكم الاموي ، وفي ذلك يقول شاعر الاسلام الكميث :

وعطلت الأحكام حتى كأننا	على ملة غير التي نتحل
أمل كتاب نحن فيه وانتم	على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
كأن كتاب الله يعني بأمره	وبالنهي فيه الكوذي المركل (٢)
فنتلك ملوك السوء قد طال ملكهم	فحتام حتام العنساء المطول
وما ضرب الامثال في الجور قبلنا	لاجور من حكمانا المتمثل (٣)

واستخف معاوية بالمقدسات الاسلامية واحقرها ، يقول الرواة إنه لما تغلب قبيل له ! لوسكنت المدينة ، فهي دار الهجرة ، وبها قبر النبي (ص) فقال : قد ظلمت اذا وما أنا من المهتدين (٤) واقتدى به في ذلك جميع بني أمية فقد انبرى يحيى بن الحكم الى عبد الله بن جعفر فقال له :
« كيف تركت الخبيثة - يعني مدينة رسول الله (ص) - ؟ »
فانكر عليه ابن جعفر وصاح به :

(١) ذكرنا مصادر هذه الاحداث في الجزء الثاني من كتابنا
(حياة الامام الحسن) .

(٢) الكوذي : البليد

(٣) للهاشميات (ص ١١١) :

(٤) المناقب والمثالب (ص ٧٠) للقاضي نعمان المصري .

« سماها رسول الله (ص) طيبة وتسميها خبيثة ، فد اختلفنا في الدنيا
وستختلفان في الآخرة . . . »

قال يحيى : « والله لإن أموت وادفن بأرض الشام المقدسة أحب
إلي من أن أدفن بها . »
فقال له :

« اخترت مج-اورة اليهود والنصارى على مجاورة رسول الله
(ص) والمهاجرين . (١) »

استلحاق زياد :

ومن مظاهر استخفاف معاوية بالقيم الإسلامية استلحاقه زياد بن عبيد
الرومي ، والصاقه بنسبه من دون بيئته شرعية ، وإنما اعتمد على شهادة
أبي مریم الخمار وهو مما لا يثبت به نسب شرعي ، وقد خالف بذلك قول
رسول الله (ص) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

لقد قام بذلك انطلاقاً وراء أهدافه السياسية ، وتدعيماً لحكمه وسلطانه . . . ومن
طريف ما ينقل في الموضوع أن نصر بن حجاج خصم عبد الرحمن بن خالد
ابن الوليد عند معاوية في عبد الله مولى خالد بن الوليد فأمر معاوية حاجبه
أن يؤخرها حتى يحتفل مجلسه ، فلما اكتمل مجلسه ، أمر بججر فادني منه ،
والقى عليه طرفاً من ثيابه ثم اذن لها ، فترافعا عنده في شأن عبد الله
فقال له نصر :

« إن اخي وابن أبي عهد الي انه - يعني عبد الله - منه »
وقال عبد الرحمن : « مولاي وابن عبد أبي وامته ولد علي فراشه »

(١) انساب الاشراف ج ١ ق ١ .

واصدر معاوية الحكم في المسألة فقال يا حرسى : نزل هذا الحجر فادفعه الى نصر بن حجاج ، فقد قال رسول الله (ص) : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

وانبرى نصر فقال : « افلا اجريت هذا الحكم في زياد ؟ »
فقال معاوية : « ذلك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله (ا) »

انكار الامام الحسين :

وانكر الامام الحسين (ع) على معاوية هذا الاستلحاق الذي خالف به قول رسول الله (ص) فكتب إليه مذكرة تضمنت الاحداث الجسام التي اقترفها معاوية وقد جاء فيها :

« أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فرعمت أنه ابن أبك ، وقد قال رسول الله (ص) « الولد للفراش وللعاهر الحجر » فتركت سنة رسول الله تعمداً واتبعته هواك بغير هدى من الله لقد اثار استلحاق معاوية لزياد موجة من الغضب والاستياء عند الاخيار والمتحرجين في دينهم ، وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا (حياة الامام الحسن [ع]) .

الحقد على النبي :

وحقد معاوية على النبي (ص) فقد مكث في ايام خلافته اربعين

(١) الطبري : ج ١٠ / ٤٨٠ ، العقد الفريد : ٦ / ١٣٣ .

جمعة لا يصلي عليه ، وسأله بعض اصحابه عن ذلك فقال : « لا يمنعني عن ذكره الا ان تشمخ رجال بأنافها (١) وسمع المؤذن يقول : اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، فلم يملك امامه ، واندفع يقول :

« لله ابوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ، مارضيت لنفسك

الا ان يقرن اسمك باسم رب العالمين . » (٢)

ومن مظاهر حقه على الرسول الاعظم (ص) مارواه مطرف بن المغيرة قال : وفدت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يتحدث عنده ثم ينصرف إلي ، وهو يذكر معاوية وعقله ، ويعجب بما يرى منه ، واقبل ذات ليلة ، وهو غضبان فامسك عن العشاء ، فانتظرت ساعة ، وقد ظننت انه لشيء جدت فينا أو في عملنا ، فقلت له :

- مالي اراك مقباً منذ الليلة ؟

- يا بني جئتك من اخيب الناس .

- ما ذاك ؟

- خلوت بمعاوية فقلت له : إنك قد بلغت مُنْساك يا امير المؤمنين فلو اظهرت عدلاً وبسطت خيراً ، فإناك قد كُبرت ، ولو نظرت الى أخوتك من بني هاشم فوصلت ارحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه . : ، فثار معاوية واندفع يقول :

« هيهات ! هيهات ملك أخو تيم فعدل ، وفعل ما فعل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره ، الا أن يقول قائل ابو بكر : ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره الا ان يقول قائل عمر ، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه

(١) النصائح الكافية (ص ٩٧) .

(٢) النهج ١٠ / ١٠١ .

فعمل به ما عمل فوالله ما عدا ان هلك فهلك ذكره وان اخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات : اشهد ان محمداً رسول الله (ص) فاي عمل يبقى بعد هذا لام لك الا دفنا دفناً . . . (١) .

ودلت هذه البادرة على مدى زعزعة العقيدة الدينية في نفس معاوية وانها لم تكن الا رداءً رقيقاً يشف عما تحته من حب الجاهلية والتأثر بها الى حد بعيد ، وكانت النزعة الألحادية ماثلة عند اغلب ملوك الأمويين يقول الوليد في بعض خمرياته منكرآ للبعث والنشور :

ادر الكأس يميناً	لا تدرها اليسار
اسق هذا ثم هذا	صاحب العود النضار
من كبيت عتقوها	منذ دهر في حرار
ختموها بالاماويه (٢)	وكافور وقار
فلقد ايقنت أنني	غير مبعوث لنار
سأروض الناس	حتى يركبوا دين الحمار
وذروا من يطلب	الجنة يسعى لتبار (٣)

وتأثر الكثيرون من ولاتهم بهذه النزعة الألحادية ، فكان الحجاج يخاطب الله امام الجماهير الخاشدة قائلاً : « ارسولك افضل ام خليفتك يعني ان عبد الملك افضل من النبي العظيم (ص) . » (٤) وكان ينقم على الذين يزورون قبر رسول الله (ص) ويقول : « تبا لهم انما يطوفون باعواد

(١) شرح النهج ٢ / ٢٩٧ .

(٢) الاماويه : من انواع الطيب .

(٣) رسالة الغفران (ص ١٤٥) .

(٤) النزاع والتخاصم للمقريزي (ص ٢٧) رسائل الجاحظ (ص ٢٩٧)

العقد الفريد ٣ / ٣٥٥ .

ورمة بالية ، هلا طافوا بقصر امير المؤمنين عبد الملك الا يعلمون ان خليفة
المرء خير من رسوله » (١) .
وهكذا كان جهاز الحكم الأموي في كثير من ادواره قد تنكر للرسول
الاعظم (ص) وازدرى برسالته .

تغيير الواقع الاسلامي :

وعمد معاوية الى تغيير الواقع الاسلامي المشرق الذي تبنى الحركات
النضالية والقضايا المصرية لجميع الشعوب ، فأهاب بالمسلمين أن لا يقرروا
على كظة ظالم ، ولا سغب مظلوم ، وقد تبنى هذا شعار المقدس الصحابي
العظيم ابو ذر الغفاري الذي فهم الاسلام ، عن واقعه ، فرغم راية الكفاح
في وجه الحكم الأموي ، وطالب عثمان ، ومعاوية بانصاف المظلومين والمضطهدين
وتوزيع ثروات الأمة على الفقراء والمحرومين .

لقد اراد معاوية اقبار هذا الوحي الديني ، وامانة الشعور بالسؤولية
فأوعز الى لجان الوضع التي ابتدعها ان تفتعل الاحاديث على لسان المحرر
العظيم الرسول (ص) في الزام الأمة بالخضوع للظلم ، والخنوع للجور ،
والتسليم لما تقتضيه سلطاتها من الجور والاستبداد وهذه بعض الاحاديث :
١ - روى البخاري بسنده عن رسول الله (ص) انه قال لاصحابه :
« انكم سترون بعدى اثره ، واموراً تنكرونها . قالوا فما تأمرنا يا رسول الله ؟
قال : ادبوا إليهم بحقهم ، واسألوا الله حَقَّكُمْ . . . » (٢)
٢ - روى البخاري بسنده عن رسول الله (ص) أنه قال : « من

(١) شرح النهج ١٥ / ٢٤٢ .

(٢) صحيح البخاري ٨ / ٨٧ .

رأى من أميره شيئاً يكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة فمات ، مات
ميته جاهلية . . . (١)

٣ - روى البخاري بسنده عن مسلمة بن زيد الجمفي أنه سأك رسول
الله (ص) فقال له : يا نبي الله أرأيت ان قامت علينا امراء يسألوننا حقهم ،
ويمنعوننا حقنا فما ترى ؟ فاعرض «ص» عنه فسأله ثانياً وثالثاً والرسول معرض
فجلده الأشعث بن قيس ، فقال رسول الله (ص) : اسمعوا واطيعوا
فان عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . . . (٢)

٤ - روى البخاري بسنده عن عجرة قال : سمعت رسول الله (ص)
يقول : إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي
جمع فاضربوه بالسيف كائناً ما كان . . . (٣)

الى غير ذلك من الموضوعات التي خدرت الأمة ، وشلت حركتها
الثورية ، وجعلتها قابعة ذليلة تحت وطأة الاستبداد الأموي وجوره ، وقد
هب الامام الحسين (ع) النائر الأول في الاسلام الى اعلان الجهاد المقدس
ليوقظ الأمة من سباتها ويعيد للاسلام نضارته وروحه النضالية التي انحسرت
في عهد الحكم الأموي .

مع أهل البيت :

وسخر معاوية جميع اجهزته للحط من قيمة اهل البيت (ع) الدين
هم وديعة رسول الله (ص) والعصب الحساس في هذه الأمة ، وقد

(١) صحيح البخاري ٨ / ٨٧ .

(٢) صحيح البخاري ٢ / ١١٩ .

(٣) صحيح البخاري ٢ / ١٢١ .

استخدم اخطر الوسائل في محاربتهم واقصائهم عن واقع الحياة الاسلامية ،
وكان من بين ما استخدمه في ذلك مايلي :

١ - تسخير الوعاظ .

وسخر معاوية الوعاظ في جميع انحاء البلاد ليحاولوا القلوب عن
أهل البيت (١) ويديعوا الاضاليل في انتقاصهم تدعيا للحكم الأموي .

٢ - استخدام معاهد التعليم .

واستخدم معاوية معاهد التعليم واجهزة الكتاتيب لتغذية النشء بيفض
أهل البيت (ع) وخلق جبل معاد لهم (٢) وقد قامت تلك الاجهزة بدور
خطير في بث روح الكراهية في نفوس النشء لعثرة النبي (ص) .

٣ - افتعال الاخبار .

واقام معاوية شبكة لوضع الاخبار تعد من اخطر الشبكات التخريبية
في الاسلام فمهد لإيها بوضع الاحاديث على لسان النبي (ص) للحط من
قيمة أهل البيت (ع) اما الاعضاء البارزون في هذه اللجنة فهم :

١ - ابو هريرة الدوسي .

٢ - سمرة بن جندب .

٣ - عمرو بن العاص .

٤ - المغيرة بن شعبة .

وقد افتعلوا آلاف الاحاديث على لسان النبي (ص) وكانت عدة
طوائف مختلفة حسب التخطيط السياسي للدولة وهي :

الطائفة الأولى : وضع الاخبار في فضل الصحابة لجعلهم قبال أهل

البيت ، وقد عدَّ الامام الباقر(ع) اكثر من مائة حديث منها :

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ١٦١ الطبعة الثانية .

(٢) حياة الامام الحسن ٢ / ١٦١ الطبعة الثانية .

أ - ان عمر محدث - بصيغة المفعول - اي تحدته الملائكة .

ب - إن السكينة تنطق على لسان عمر .

ج - إن عمر يلقنه الملك .

د - إن الملائكة تستحي من عثمان (١) .

الى كثير من امثال هذه الاخبار التي وضعت في فضل الصحابة ، يقول المحدث ابن عرفة المعروف بنفطويه : « ان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في ايام بني امية تقريباً إليهم بما يظنون أنهم يرغبون به أنوف بني هاشم . . . » (٢) كما وضعوا في فضل الصحابة الاحاديث المماثلة للاحاديث النبوية في فضل العترة الطاهرة كوضعهم : « ان سيدي كهول أهل الجنة ابو بكر وعمر » وقد عارضوا بذلك الحديث المتواتر « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » (٣) .

الطائفة الثانية : وضع الاخبار في ذم العترة الطاهرة والحط من شأنها فقد اعطى معاوية سمرة بن جندب اربع مائة الف على أن يخطب في أهل الشام ، ويروي لهم أن الآية الكريمة نزلت في علي وهي قوله تعالى : « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد » (٤) فروى لهم سمرة ذلك واخذ العوض الضخم من بيت مال المسلمين (٥) ومما رووا أن النبي (ص) قال في آل

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ١٦٢ الطبعة الثانية .

(٢) النصائح الكافية (ص ٧٤) .

(٣) حياة الامام الحسن ٢ / ١٦٢ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٠٣ و ٢٠٤ .

(٥) النصائح الكافية (ص ٢٥٣) .

أبي طالب « إن آل أبي طالب ليسوا بأولياء لي إنما ولي الله وصالح المؤمنين » (١) وروى الأعمش انه لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (سنة ٤١) جاء الى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً ، وقال : يا أهل العراق أتزعمون أنني اكذب (٢) على رسول الله (ص) واحرق نفسي بالنار ؟ لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : ان لكل نبي حراماً ، وان حرمي بالمدينة ما بين عير الى ثور فمن احدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، واشهد بالله ان علياً احدث فيها ! ! فلما بلغ معاوية قوله اجازته واكرمه وولاه امارة المدينة (٣) .

الى كثير من امثال هذه الموضوعات التي تقدح في العثرة الطاهرة التي هي مصدر الوعي والاحساس في العالم الاسلامي .
الطائفة الثالثة افتعال الاخبار في فضل معاوية نحو العار الذي لحقه ولحق آباء وامرته في مناهضتهم للاسلام ، واخفاء ما أثر عن النبي (ص) في ذمهم ، وهذه بعض الاخبار المفتعلة :
١ - قال (ص) : « معاوية بن أبي سفيان احلم أمي واجودها » (٤)

(١) شرح ابن ابي الحديد ٣ / ١٥ .

(٢) علق على ذلك العلامة فقيد الاسلام الشيخ محمود ابو رية في كتابه ابو هريرة (ص ٢٣٦) بقوله « يدل هنا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي كان قد اشتهر حتى عم الآفاق واصبح الناس يتحدثون به في كل مكان . »

(٣) شرح نهج البلاغة ١ / ٣٥٩ .

(٤) البداية والنهاية ٨ / ١٢١ ، تطهير الجنان المطبوع على هامش الصواعق المحرقة (ص ٢٦) .

- ٢ - قال (ص) : « صاحب سري معاوية بن أبي سفيان » (١)
- ٣ - قال (ص) « اللهم علمه - يعني معاوية - الكتاب وقسه العذاب وادخله الجنة . . » (٢) .
- ٤ - قال (ص) « اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاقبلوه (٣) فانه امين هذه الامة » (٤) الى غير ذلك من الاحاديث الموضوعية التي تعكس الصراع الفكري ضد الاسلام عند معاوية وانه حاول جاهداً نحو هذا الدين والقضاء عليه .

حديث مفتعل على الحسين :

من الأحاديث الموضوعية على الامام الحسين ما روى أنه وفد على معاوية زائراً في يوم الجمعة وكان قائماً على المنبر خطيباً فقال له رجل من القوم ائذن للحسين يصعد المنبر فقال له معاوية : ويلك دعني افتخر ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ووجه خطابه للحسين قائلاً له :

- سألتك يا أبا عبد الله أليس أنا ابن بطحاء مكة ؟

- اي والذي بعث جدي بشيراً .

- سألتك يا أبا عبد الله أليس أنا خال المؤمنين ؟

- اي والذي بعث جدي نبياً .

(١) تطهير الجنان (ص٢٦) .

(٢) تطهير الجنان (ص٢٦) .

(٣) وضع هذه الحديث لمعارضة الحديث الصحيح المروي عن رسول

الله (ص) اذا رأيتم معاوية يخطب على منبري فاضربوا عنقه .

(٤) تأريخ بغداد .

- سألتك يا أبا عبد الله أليس أنا كاتب الوحي ؟

- اي والذي بعث جدي نذيراً .

ثم نزل معاوية عن المنبر ، فصعد الحسين فحمد الله بحماد لم يحمده الأولون والآخرون بمثلها ثم قال : حدثني أبي عن جدي عن جبرائيل عن الله تعالى ان تحت قائمة كرسي العرش ورقة آس خضراء مكتوب عليها و لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يا شيعة آل محمد لا يأتي أحدكم يوم القيامة الا ادخله الله الجنة .

فقال له معاوية : سألتك يا أبا عبد الله من شيعة آل محمد ؟ فقال عليه السلام : الذين لا يشتمون الشبخين أبا بكر وعمر ، ولا يشتمون عثمان ولا يشتمونك يا معاوية .

وعلق المحافظ ابن عساكر على هذا الحديث بقوله : و هذا حديث منكر ولا أرى سنده متصلًا الى الحسين (١) .

وقد امتحن المسلمون امتحاناً عسيراً بهذه الموضوعات التي دونت في كتب السنة ، وظن الكثيرون من المسلمين أنها حق ، فاضفوا على معاوية ثوب القداسة ، وألحقوه بالرعييل الأول من الصحابة المتحرجين في دينهم وهم من دون شك لو علموا واقعها لتبرؤا منها - كما يقول المدائني - (٢) ولم تقتصر الموضوعات على تقديس معاوية والخط من شأن أهل البيت (ع) وإنما تدخلت في شؤون الشريعة فالصقت بها المتناقضات والمستحيلات مما شوهت الواقع الاسلامي وأفسدت عقائد المسلمين .

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣١٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٣ / ١٦ .

سب الامام امير المؤمنين :

وتنادى معاوية في عدائه للامام أمير المؤمنين (ع) فاعلن سبه ولعنه في نواديه العامة والخاصة وأوعز إلى جميع عماله وولاته أن يلذبوا سبه بين الناس ، وصرى سب الامام في جميع أنحاء العالم الاسلامي ، وقد خطب معاوية في أهل الشام فقال لهم :

« ايها الناس ، ان رسول الله (ص) قال لي : إنك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الارض المقدسة - يعني الشام - فان فيها الابدال ، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب ، .

وعج أهل الشام بسب الامام (١) وخطب في اولئك الوحوش فقال لهم :

« ما ظنكم برجل - يعني علياً لا يصلح لانيه - يعني عقيلاً - يا أهل الشام إن أبا لب المدموم في القرآن هو عم علي بن أبي طالب ، (٢). ويقول المؤرخون : انه كان اذا خطب ختم خطابه بقوله : « اللهم ان أبا تراب الحد في دينك وصد عن سيئتك فالعنه لعناً وبيلاً ، وعذبه عذاباً البيا . . . »

وكان يشاد بهذه الكلمات على المنابر (٣) ولما ولي معاوية المغيرة بن شعبة امارة الكوفة كان أهم ما عهد إليه ان لا يتسامح في شتم الامام (ع) والترحم على عثمان ، والعيب لاصحاب علي واقصائهم ، واقام المغيرة

(١) النصائح الكافية (ص ٧٢) .

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٣ / ٣٦١ .

(٣) النصائح الكافية (ص)

والياً على الكوفة سبع سنين وهو لا يدع ذم علي والوقوع فيه (١) . وقد اراد معاوية بذلك ان يصرف القلوب عن الامام (ع) وان يحول بين الناس وبين مبادئه التي اصبحت تطارده في قصوره يقول الدكتور محمود صبحي : « لقد اصبح علي جثة هامدة لا يزاحمهم في سلطانهم ، ويخيفهم بشخصه ، ولا يعني ذلك - اي سب الامام - الا ان مبادئه في الحكم وآراءه في السياسة كانت تنخص عليهم في موته كما كانت في حياته .. » (٢) لقد كان الامام رائد العدالة الانسانية والمثل الأعلى لهذا الدين ، يقول الجاحظ : « لا يعلم رجل في الأرض متى ذكر السبق في الاسلام والتقدم فيه ، ومتى ذكر النخوة والذب عن الاسلام ، ومتى ذكر الفقه في الدين ، ومتى ذكر الزهد في الامور التي تناصر الناس عليها كان مذكوراً في هذه الخلال كلها الا في علي . » (٣)

ويقول الحسن البصري :

« والله لقد فارقتكم بالامس رجل كان سهبا صائبا من مرامي الله عز وجل ، رباني هذه الأمة بعد نبينا (ص) وصاحب شرفها وفضلها وذا القربى القرابة القريبة من رسول الله (ص) غير مسؤم لأمر الله ، ولاسروقة لمال الله اعطى القرآن عزائم فاورده رياضاً موقنة ، وحدائق مغدقة ذلك علي بن ابي طالب . » (٤)

لقد عادت اللعنات التي كان يصبها معاوية وولاته على الامام باظهار فضائله فقد برز الامام للناس ارووع صفحة في تأريخ الانسانية كلها ، وظهر للمجتمع انه المنادي الأول بحقوق الانسان ، والمؤسس الأول للعدالة الاجتماعية

(١) تأريخ الطبري ٦ / ١٤١ طبع اوربا .

(٢) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ٢٨٢) .

(٣) الاسلام والحضارة العربية ٢ / ١٤٥ .

(٤) مناقب ابن المغازلي رقم الحديث ٦٩ .

في الأرض لقد انطوت السنون والاحقاب ، واندكت معالم تلك الدول التي ناوت
الامام سواء أكانت من بني امية أم من بني العباس ، ولم يبق لها أثر ، وبقى
الامام (ع) وحده قد احتل قمة المجد فهسا هو رائد الانسانية الاول
وقائدها الاعلى واذا بحكمه القصير الأمد يصبح طغراء في حكام هذا الشرق ،
واذا الوثائق الرسمية التي أثرت عنه تصبح مناراً لكل حكم صالح يستهدف
تحقيق القضايا المصيرية للشعوب ، واذا بحكم معاوية اصبح رمزاً للخيانة
والعالة ورمزاً لاضطهاد الشعوب واحتقارها .

ستر فضائل أهل البيت :

وحاول معاوية بجميع طاقاته حجب فضائل آل البيت (ع) وستر
مآثرهم عن المسلمين ، وعدم اذاعة مآثر عن النبي (ص) في فضلهم ،
يقول المؤرخون: إنه بعد عام الصلح حج بيت الله الحرام فاجتاز على جماعة
فقاموا إليه تكريماً ولم يقم إليه ابن عباس ، فبادره معاوية قائلاً :
يا بن عباس مامنك من القيام ؟ كما قام أصحابك إلا لموجدة علي
بقتالي إياكم يوم صفين !! يا بن عباس إن ابن عمي عثمان قتل مظلوما . !
فرد عليه ابن عباس ببليغ منطقته قائلاً :

— فعمربن الخطاب قد قُتل مظلوما ، فسلم الأمر الى ولده ، وهذا
ابنه — وأشار الى عبد الله بن عمر —

اجابه معاوية بمنطقه الرخيص .

« إن عمر قتله مشرك . . . »

فانبرى ابن عباس قائلاً :

— فمن قتل عثمان ؟

— قتله المسلمون .

وامسك ابن عباس بزمامه فقال له :

« فذلك ادحض لحجتك إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس
الاجحى » ولم يجد معاوية مجالاً للرد عليه ، فسلك حديثاً آخر أهم عنده
من دم عثمان فقال له :

« إنا كتبنا الى الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته فكف
لسانك يا ابن عباس »

فانبرى ابن عباس بفيض من منطقته وبلغ حجته يسدد سهاماً
لمعاوية قائلاً :

— فتنهاننا عن قراءة القرآن ؟

— لا

— فتنهاننا عن تأويله ؟

— نعم

— فنقرأه ولانسأل عما عني الله به ؟

— نعم

— فايهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟

— العمل به .

— فكيف نعمل به حتى نعلم ما عني الله بما أنزل علينا ؟

— سل عن ذلك ممن يتأوله على غير ماتأوله أنت وأهل بيتك .

— انما نزل القرآن على اهل بيتي ، فأسأل عنه آل ابي سفيان وآل

ابي معيط ؟ ! !

— فاقرأوا القرآن ، ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم ، ومما قاله

رسول الله (ص) فيكم ، وارووا ماسوى ذلك .

وسخر منه ابن عباس ، وتلا قوله تعالى : « يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون »
وصاح به معاوية :
« اكفني نفسك ، وكف عني لسانك ، وإن كنت فاعلا فليكن سرأ ،
ولانسمعه أحداً علانية . . » (١)
ودلت هذه المحاورة على عمق الوسائل التي اتخذها معاوية في مناهضته
لأهل البيت ، واخفاء مآثرهم .
وبلغ الحقد بمعاوية على الامام أنه لما ظهر عمرو بن العاص بمصر على
محمد بن ابي بكر ، وقتله استولى على كتبه ومذكراته وكان من بينها عهد
الامام له ، وهو من اروع الوثائق السياسية ، فرفعه ابن العاص الى معاوية
فلما رآه قال لخاصته : إنا لانقول هذا من كتب علي بن ابي طالب ولكن
نقول : هذا من كتب ابي بكر التي كانت عنده (٢)

التجريح من ذكر الامام :

واسرف الحكم الاموي الى سحد بعيد في محاربة الامام امير المؤمنين (ع)
فقد عهد بقتل كل مولود يسمى علياً ، فبلغ ذلك علي بن رباح فخاف ،
وقال : لاجعل في حل من سباني عليا فان اسمي علي - بضم العين - (٣)
ويقول المؤرخون : ان العلماء والمحدثين تخرجوا من ذكر الامام علي والرواية
عنه خوفاً من بني أمية فكانوا اذا ارادوا أن يرووا عنه يقولون :

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٣٤٣ .

(٢) شرح النهج ٢ / ٢٨ .

(٣) تهذيب التهذيب ٧ / ٣١٩ .

« روى أبو زينب » (١) وروى معمر عن الزهري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) : « إن الله عز وجل منع بني اسرائيل قطر السماء لسوء رأيهم في انبيائهم ، واختلافهم في دينهم ، وانه اخذ على هذه الأمة بالسنين ، ومنعهم قطر السماء ببغضهم علي بن ابي طالب » .

قال معمر : حدثني الزهري في مرضة مرضها ، ولم اسمعه يحدث عن عكرمة قبلها ولا بعدها فلما ابل من مرضه ندم على حديثه لي وقال : « يايماني اكرم هذا الحديث ، واطوه دوني فان هؤلاء - يعني بني أمية - لا يعذرون احداً في تقريظ علي وذكره . »

قال معمر : « فما بالك عبت علياً مع القوم ، وقد سمعت الذي سمعت ؟ . . »

قال الزهري : « حسبك يا هذا انهم اشركونا مهمهم فاتبعناهم في اهوائهم . . » (٢)

وقد امتحن المسلمون امتحانا عسيرا في مودتهم للامام وتخرجوا اشد التحرج في ذلك ، يقول الشعبي : « ماذا لقينا من علي إن احببناه ذهب دينانا وان ابغضناه ذهب ديننا » ويقول الشاعر :

حب علي كله ضرب ير جف من تذكاره القلب
هذه بعض المحن التي عاناها المسلمون في مودتهم لاهل البيت (ع)
التي هي جزء من دينهم .

(١) شرح النهج ١١ / ١٤ .

(٢) مناقب ابن المغازلي رقم الحديث (١٤٩) .

مع الشيعة :

واضطهدت الشيعة أيام معاوية اضطهاداً رسمياً في جميع أنحاء البلاد ، وقبولوا بمزيد من العنف والشدة ، فقد انتقم منهم معاوية كأشد ما يكون الانتقام قسوة وعذابا ، فقد قاد مركبة حكومته على جثث الضحايا منهم ، وقد حكى الامام الباقر (ع) صوراً مريعة من بطش الأمويين بشيعة آل البيت (ع) يقول : « وقتلت شيعتنا بكل بلدة ، وقطعت الايدي والأرجل على الظلّة ، وكان من يذكر بجننا والانتقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ، (١) وتحدث بعض رجال الشيعة الى محمد بن الحنفية عما عانوه من الخن والخطوب بقوله :

« فما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الاعناق ، وأبطلت الشهادات ، وشردنا في البلاد ، وأوذينا حتى لقد همت أن أذهب في الأرض قفراً ، فاعبد الله حتى القاه ، لولا أن يخفى علي أمر آل محمد (ص) وحتى همت أن اخرج مع اقوام (٢) شهادتنا وشهادتهم واحدة على امرائنا فيخرجون فيقاتلون . » (٣)

لقد كان معاوية لايتيب من الإقدام على اقرار اية جريمة من اجل ان يضمن ملكه وسلطانه ، وقد كانت الشيعة تشكل خطراً على حكومته فاستعمل معهم اعنف الوسائل واشدها قسوة من اجل القضاء عليهم ، ومن بن الإجراءات القاسية التي استعملها ضدهم ما يلي :

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣ / ١٥ .

(٢) الاقوام : هم الخوارج .

(٣) طبقات ابن سعد ٥ / ٩٥ .

القتل الجماعي :

واسرف معاوية الى حد كبير في سفك دماء الشيعة ، فقد عهد الى الجلادين من قادة جيشه بتتبع الشيعة وقتلهم حيثما كانوا ، وقد قتل بسر بن أبي ارطاة - بعد التحكيم - ثلاثين الفا عدا من احرقهم بالنار (١) وقتل سمرة بن جندب ثمانية آلاف من أهل البصرة (٢) واما زياد بن ابييه فقد ارتكب افظع المجازر فقطع الايدي والارجل وسمل العيون ، وانزل بالشيعة من صنوف العذاب مالا يوصف لمرارته وقسوته :

ابادة القوى الواعية :

وعمد معاوية الى ابادة القوى المفكرة والواعية من الشيعة ، وقد ساق زمراً منهم الى ساحات الاعدام ، واسكن الشكل والحداد في بيوتهم ، وفيما يلي بعضهم .

١ - حجر بن عدي :

لقد رفع حجر بن عدي علم النضال ، وكافح عن حقوق المظلومين والمضطهدين ، وسحق ارادة الحاكين من بني امية الذين تلاعبوا في مقدرات الأمة وحولوها الى مزرعة جماعية لهم ولعملاتهم واتباعهم . . . لقد استهان حجر من الموت وسخر من الحياة ، واستلذ الشهادة في سبيل عقيدته ، فكان احد المؤسسين لمذهب اهل البيت (ع) .

(١) شرح النهج ٦ / ٢ .

(٢) الطبري ٣٢ / ٦ .

وامتحن حجر كأشد ماتكون المحنة قسوة حينما رأى السلطة تعلن
سب الامام امير المؤمنين (ع) وترغم الناس على البراءة منه فانكر ذلك ،
وجاهر بالرد على ولاية الكوفة ، واستحل زياد بن ابيه دمه فالقى عليه
القبض ، وبعثه مخفوراً مع كوكبة من اخوانه الى معاوية ، ووقفوا في
(مرج عذراء) فصدرت الأوامر من دمشق باعدامهم ، ونفذ الجلاذون
فيهم حكم الاعدام فخرت جثثهم على الأرض وهي ملفعة بدم الشهادة
والكرامة وهي تضيء للناس معالم الطريق نحو حياة افضل لاظلم فيها ،
ولا طغيان .

مذكرة الامام الحسين :

وفرغ الامام الحسين حينما وافته الانباء بمقتل حجر فرجع مذكرة
شديدة اللهجة الى معاوية ذكر فيها احداثه وبدعه ، والتي كان منها قتله
لحجر والبررة من اصحابه ، وقد جاء فيها :

« الست القاتل حجراً اخا كندة ، والمصلين العابدين الذين كانوا يتكروون
الظلم ويستعظمون البدع ، ولا يخافون في الله لومة لائم . . . قتلتهم ظلماً
وعدواناً من بعد ما كنت اعطيهم الايمان المغاظة ، والمواثيق المؤكدة ان
لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم ولا بإحنة تجدها في نفسك عليهم . . » (١)
واحتوت هذه المذكرة على ما يلي :

١ - الانكار الشديد على معاوية لقتله حجراً واصحابه من دون أن
يقترفوا جرماً أو يحدثوا فساداً في الارض .

٢ - انها اشادت بالصفات البطولية في هؤلاء الشهداء من انكار الظلم ،

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٣٦٥ .

ومقاومة الجور واستعظام البدع والمنكرات التي أحدثتها حكومة معاوية ، وقد هبوا الى ميادين الجهاد لاقامة الحق ومناهضة المنكر .

٣ - انها اثبتت ان معاوية قد اعطى حجراً واصحابه عهداً خاصاً في وثيقة وقعها قبل ابرام الصلح ان لا يعرض لهم باي إحنة كانت بينه وبينهم ، ولا يصيبهم بأي مكروه ، ولكنه قد خاس بذلك فلم يف به كما لم يف للامام الحسن بالشروط التي اعطاها له ، وانما جعلها تحت قدميه كما اعلن ذلك في خطابه الذي القاه في النخيلة .

لقد كان قتل حجر من الاحداث الجسام في الاسلام ، وقد تواترت صيحات الانتكار على معاوية من جميع الاقاليم الاسلامية ، وقد ذكرناها بالتفصيل في كتابنا (حياة الامام الحسن «ع») .

١ - رشيد الهجري :

وفي فترات المحنة الكبرى التي منيت بها الشيعة في عهد ابن سمية تعرض رشيد الهجري لانواع المحن والبلوى فقد بعث زياد شرطته إليه فلما مثل عنده صاح به « ما قال لك خليلك - يعني علياً - انا فاعلون بك ؟ . . » فاجابه بصدق وايمان :

« تقطعون يديَّ ورجليَّ ، وتصلبوني »

وقال الحبيث مستهزئاً وساخرأ :

« اما والله لا كذبن حديثه ، خلوا سبيله . »

وخلت الجللازة سراحه ، وندم الطاغية فأمر باحضاره فصاح به : « لا نجد شيئاً اصالح مما قال صاحبك : إنك لاتزال تبغني لنا سوءاً إن بقيت ، اقطعوا يديه ورجليه » وبادر الجلادون فقطعوا يديه ورجليه ، وهو غير حافل بما يعانیه من الآلام ، ويقول المؤرخون : انه اخذ يذكر مثالب بني امية ، ويدعو الى ايقاظ الوعي والثورة ، مما غاظ ذلك زياداً فأمر بقطع

لسانه (١) الذي كان يطالب بالحق والعدل ، وينافح عن حقوق الفقراء والمحرومين .

٣ - عمرو بن الحمق الخزاعي :

ومن شهداء العقيدة : الصحابي العظيم عمرو بن الحمق الخزاعي الذي دعا له النبي (ص) أن يمتعه الله بشبابه ، واستجاب الله دعاء نبيه فقد اخذ عمرو بعنق الثمانين عاما ولم تر في كريمته شعرة بيضاء (٢) وتأثر عمرو بهدي اهل البيت واخذ من علومهم فكان من اعلام شيعتهم : ، وفي اعقاب الفتنة الكبرى التي منيت بها الكوفة في عهد الطاغية زياد بن سمية شعر عمرو بتبع السلطة له ففر مع زميله رفاعه بن شداد الى الموصل ، وقبل أن ينتهيا إليه كمن في جبل ليستجما فيه ، وارتابت الشرطة فبادرت الى القاء القبض على عمرو اما رفاعه ففر ولم تستطع ان تلقي عليه القبض وجيء بعمرو مخفورا الى حاكم الموصل عبد الرحمن الثقفي ، فرفع امره الى معاوية فأمره بطعنه تسع طعنات بمشاقص (٣) لأنه طعن عثمان بن عفان ، وبادرت الجلاوزة الى طعنه فمات في الطعنة الأولى ، واحتز رأسه الشريف وارسل الى طاغية دمشق فأمر ان يطاف به في الشام ، ويقول المؤرخون انه اول رأس طيف به في الاسلام ، ثم أمر به معاوية ان يحمل الى زوجته السيدة آمنة بنت شريد ، وكانت في سجنه ، فلم تشعر الا ورأس زوجها قد وضع في حجرها ، فذعرت وكادت أن تموت وحملت من السجن الى معاوية وجرت بينها وبينه محادثات دلت على ضعة معاوية واستهانته بالقيم العربية والاسلامية القاضية بمعاملة المرأة معاملة كريمة ولا تؤخذ بأي ذنب يقترفه زوجها أو غيره .

(١) سفينة البحار ١ / ٥٢٢ .

(٢) الاصابة ٢ / ٥٢٦ .

(٣) المشاقص :- جمع مفردة مشقص - النصل العريض أو سهم فيه نصل عريض

مذكرة الامام الحسين :

والنوع الامام الحسين (ع) أشد ما تكون اللوعة حينما علم بمقتل عمرو
فرفع مذكرة الى معاوية عدد فيها احداثه وما تعانیه الأمة في عهده من
الاضطهاد والجور ، وجاء فيما يخص عمرواً :

« اولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (ص) العبد
الصالح الذي ابنته العبادة فنحل جسمه ، واصفر لونه ، بعدما امنته ، واعطيته
من عهود الله وموآثيقه ما لو اعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ،
ثم قتلته جراءة على ربك واستخفافاً بذلك العهد . . » (١)

لقد خاس معاوية بما اعطاه لهذا الصحابي الجليل - بعد الصلح - من
العهد والموآثيق بان لايعرض له بسوء ولامكروه .

٤ - اوفى بن حصن :

وكان اوفى بن حصن من خيار الشيعة - في الكوفة -
واحد اعلامهم النابيين ، وهو من أشد الناقمين على معاوية
فكان يذيع مساوئه واحداثه ؛ ولما علم به ابن سمية أوعز الى الشرطة
بالقاء القبض عليه ولما علم اوفى بذلك اختفى ، وفي ذات يوم استعرض
زياد الناس فاجتاز عليه أوفى فشك في امره فسأل عنه فاخبر باسمه ، فامر
باحضاره فلما مثل عنده سأله عن سياسته فعابها وانكرها ؛ فأمر زياد بقتله ،
فهوى الجلادون عليه بسيوفهم وتركوه جثة هامدة (٢) .

(١) حياة الامام الحسن .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ١٨٠ ، الطبري ٦ / ١٣٠ - ١٣٢ .

هـ - الحضرمي مع جماعته :

وكان عبد الله الحضرمي من اولياء الامام امير المؤمنين ومن خاص شيعة كما كان من شرطة الخميس ؛ وقد قال له الامام يوم الجمل : « ابشر يا عبد الله فانك واباك من شرطة الخميس ، لقد اخبرني رسول الله باسمك واسم ابيك في شرطة الخميس ولما قتل الامام جزع عليه الحضرمي وبنى له صومعة يتعبد فيها وانضم إليه جماعة من خيار الشيعة ، فأمر ابن سمية باحضارهم ، ولما مثلوا عنده أمر بقتلهم ، فقتلوا صبياً (١) .
اقد كانت فاجعة عبد الله كفاجعة حجر بن عدي فكلاهما قتل صبياً وكلاهما اخذ بغير ذنب سوى الولاء لعتره رسول الله (ص) .

انكار الامام الحسين :

وفزع الامام الحسين كأشد ما يكون الفزع الما ومحنة على مقتل الحضرمي وجماعته الاخيار فانكر على معاوية في مذكرته التي بعثها له وقد جاء فيها .
« اولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي (ع) فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي ، فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ، ودين علي هو دين ابن عمه (ص) الذي اجلسك بمجلسك الذي انت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آباءك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف . »

ودلت هذه المذكرة - بوضوح - على أن معاوية قد عهد الى زياد بقتل كل من كان على دين علي (ع) الذي هو دين رسول الله (ص) كما دلت على ان زياداً قد مثل^١ بهؤلاء البررة بعد قتلهم تشفياً منهم لولائهم لعتره

(١) بحار الأنوار ١٠ / ١٠١ .

رسول الله (ص) .

٦ - جويرية العبدى :

ومن عيون شيعة الامام جويرية بن مسهر العبدى ، وفي فترات المحنة الكبرى التي امتحنت بها الشيعة أيام ابن سمية ، بعث خلفه فأمر بقطع يده ورجله وصلبه على جذع قصير (١) .

٧ - صيفي بن فسيل :

ومن ابطال العقيدة الاسلامية صيفي بن فسيل الذي ضرب اروع الامثلة للايمان فقد سُمي به الى الطاغية زياد فلما جيء به إليه صاح به :

- يا عدو الله ماتقول في ابي تراب ؟

- ما اعرف أبا تراب (٢)

- ما اعرفك به ؟

- اما تعرف علي بن ابي طالب ؟

- بلى

- فذاك أبو تراب .

- كلا ذاك أبو الحسن والحسين .

وانبرى مدير شرطة زياد متكرراً عليه :

« يقول لك الأمير : هو أبو تراب ، وتقول : أنت لا : ! ! »

فصاح به البطل العظيم مستهزئاً منه ومن أميره .

« وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب ؟ وأشهد على باطل كما شهد

(١) شرح ابن ابي الحديد .

(٢) كان الأمويون يرمزون بهذه السكينة الى جعل الامام كقاطع

طريق جاء ذلك في التأريخ السياسي للدولة العربية ٧٥/٢ ، وجاء في الاغانى

١٣ / ١٦٨ ان زياداً كان يحتقر الشيعة ويسمئهم الترابية .

وتحطم كبرياء الطاغية ، وضافت به الأرض فقال له :
« وهذا أيضاً مع ذنبك »

وصاح بشرطته علي بالعصا ، فاتوه بها ، فقال له :
« ماقولك ؟ »

وانبرى البطل بكل بسالة واقدام غير حافل به قائلاً :
« أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين . . . »
واوعز السفاك الى جلاديه بضرب عاتقه حتى يلتصق بالأرض ،
فسعوا إليه بهراواتهم فضربوه ضرباً مبرحاً حتى وصل عاتقه الى الأرض ،
ثم أمرهم بالكف عنه ، وقال له :
« إيه ماقولك في علي ؟ »

وحسب الطاغية ان وسائل تعذيبه سوف تقلبه عن عقيدته فقال له :
والله لو شرحنتي بالمواصي والمدى ، ماقلت الا ماسمعت مني «
وفقد السفاك اهابه فصاح به ؛
« لتلعهن أو لأضربن عنقك . . . »
وهتف صيغي يقول :

« إذا تضربها والله قبل ذلك ، فإن أبيت الا أن تضربها رضيت
بالله وشقيت أنت . . . »

وأمر به ان يوقر في الحديد ، ويلقى في ظلمات السجون (١) ثم
بعثه مع حجر بن عدي فاستشهد معه (٢) .
٨ - عبد الرحمن :

وكان عبد الرحمن العنزي من خيار الشيعة وقد وقع في قبضة جلاوزة

(١) الطبري ٤ / ١٩٨ .

(٢) حياة الامام الحسن ٢ / ٣٦٢ .

زيد فطلب منهم مواجهة معاوية لعله أن يعفو عنه فاستجابوا له وارسلوه
مخفوراً الى دمشق فلما مثل عند الطاغية قال له :

« إيه أخا ربيعة ماتقول في علي ؟ . . »

« دعني ولا تسألني فهو خير لك ... »

« والله لا ادعك .. »

فانبرى البطل الفذ يدلي بفضائل الامام ، ويشيد بمقامه قائلاً :
أشهد انه كان من الذاكرين الله كثيراً ، والآمرين بالحق ، والقائمين
بالقسط ، والعافين عن الناس «

« والتاع معاوية فخرج نحو عثمان لعله أن ينال منه فيستحل اراقة دمه
فقال له :

« ما قولك في عثمان ؟ »

فجابه عن انطباعاته عن عثمان ، فغاظ ذلك معاوية وصاح به :

« قتلت نفسك »

« بل اياك قتلت ، ولا ربيعة بالوادي . »

وظن عبد الرحمن أن اسرته ستقوم بحمايته وانقاذه ، فلم ينبر إليه احد
ولما أمن منهم معاوية بعثه الى الطاغية زياد ، وأمره بقتله فبعثه زياد الى

« قس الناطف » (١) فدفنه وهو حي (٢)

لقد رفع هذا البطل العظيم راية الحق ، وحمل معول الهدم على قلاع
الظلم والجور ، واستشهد منافحاً عن اقدس قضية في الاسلام .

هؤلاء بعض الشهداء من اعلام الشيعة الذين حملوا مشعل الحرية ،
واضاؤا الطريق لغيرهم من الثوار الذين اسقطوا هيبة الحكم الأموي ، وعملوا
على انقاذه .

(١) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة .

(٢) الطبري ٦ / ١٥٥ .

المروعون من اعلام الشيعة :

وروع معاوية طائفة كبيرة من الشخصيات البارزة من رؤساء الشيعة
وفيا يلي بعضهم :

١ - عبد الله بن هاشم المرقال :

٢ - عدي بن حاتم الطائي .

٣ - صعصعة بن صوحان .

٤ - عبد الله بن خليفة الطائي :

وقد ارهق معاوية هؤلاء الاعلام ارهاقا شديداً ، فطاردتهم شرطته
وافزعهم الى حد بعيد وقد ذكرنا ماعانوه من الخطوب في كتابنا « حياة
الامام الحسن » .

ترويع النساء :

ولم يقتصر معاوية في تنكيله على السادة من رجال الشيعة ، وانما تجاوز
ظلمه الى السيدات من نسايتهم ، فاشاع فيهن الذعر والارهاب ، فكتب الى
بعض عماله بحمل بعضهن إليه ، فحملت له هذه السيدات :

١ - الزرقاء بنت عدي .

٢ - أم الخير البارقية .

٣ - سودة بنت عمارة

٤ - ام البراء بنت صفوان .

٥ - بكارة الملالية .

٦ - اروى بنت الحارث .

٧ - عكرشة بنت الاطرش .

٨ - الدارمية الحجونية .

وقد قابلهن معاوية بمزيسد من التوهين والاستخفاف ، واطهر هن الجبروت والقدرة على الانتقام غير حافل بوهن المرأة وضعفها ، وقد ذكرنا ما جرى عليهن في مجلسه من التحقير في كتابنا « حياة الامام الحسن »

هدم دور الشيعة :

واوعز معاوية الى جميع عماله بهدم دور الشيعة ، فقاموا بنقضها (١) وتركوا شيعة آل البيت (ع) بلا مأوى يأوون إليه ، ولم يكن هناك اي مبرر لهذه الإجراءات القاسية سوى تحويل الناس عن عترة رسول الله (ص)

حرمان الشيعة من العطاء :

ومن المآسي السكتية التي عانتها الشيعة في أيام معاوية أنه كتب الى جميع عماله نسخة واحدة جاء فيها « انظروا الى من قامت عليه البيعة انه يجب عليا وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه » (٢) وبادر عماله في الفحص في سجلاتهم فمن وجدوه محبا لآل البيت (ع) محوا اسمه واسقطوا عطاءه .

(١) شرح النهج ١١ / ٤٤ .

(٢) شرح النهج ١١ / ٤٤ .

عدم قبول شهادة الشيعة :

وعمد معاوية الى اسقاط الشيعة اجتماعيا فعهد الى جميع عماله بعدم قبول شهادتهم في القضاء وغيره (١) مبالغة في اذلالهم وتحقيرهم .

ابعاد الشيعة الى خراسان :

واراد زياد بن أبيه تصفية الشيعة من الكوفة ، وكسر شوكتهم فأجلى خمسين الفا منهم الى خراسان المقاطعة الشرقية في فارس (٢) وقد دق زياد بذلك اول مسار في نعش الحكم الأموي ، فقد اخذت تلك الجماهير التي ابعدت الى فارس تعمل على نشر التشيع في تلك البلاد ، حتى تحولت الى مركز للمعارضة ضد الحكم الأموي ، وهي التي اطاحت به تحت قيادة أبي مسلم الخراساني .

هذا بعض ما عانته الشيعة في عهد معاوية من صنوف التعذيب والارهاب ، وكان ماجرى عليهم من المآسي الاليمة من اهم الاسباب في ثورة الامام الحسين ، فقد رفع علم الثورة لينقلدهم من المحنة الكبرى التي امتحنوا بها ويعيد لهم الأمن والاستقرار .

البيعة ليزيد :

وختم معاوية حياته باكبر اثم في الاسلام وافطع جريمة في التاريخ ،

(١) حياة الامام الحسن .

(٢) تأريخ الشعوب الاسلامية ١ / ١٤٧ .

فقد اقدم غير متحرج على فرض خليفه يزيد خليفة على المسلمين يعيث في دينهم وديناهم ، ويخلد لهم الولايات والخطوب ، . . وقد استخلم معاوية شتى الوسائل المنحطة في جعل الملك وراثه في ابنائه ، ويرى الجاحظ أنه تشبه بملوك الفرس البنظيين فحول الخلافة الى ملك كسروي ، وعصب قيصري . . وقبل أن نعرض الى تلك البيعة المشومة ، ومارافقها من الاحداث نذكر عرضاً موجزاً لسيرة يزيد ، وما يتصف به من القابليات الشخصية التي عجت بذمها كتب التاريخ من يومه حتى يوم الناس هذا ، وفيما يلي ذلك

ولادة يزيد :

ولد يزيد سنة (٢٥) أو (٢٦ هـ) (١) وقد دهمت الأرض شعله من نار جهنم وزفيرها تحوط به دائرة السوء وغضب من الله ، وهو اخبث انسان وجد في الأرض فقد خلق للجريمة والاسائة الى الناس ، واصبح علماً للانحطاط الخلفي والظلم الاجماعي وعنوانا بغیضا للاعتداء على الأمة وقهر ارادتها في جميع العصور ، يقول الشيخ محمد جواد مغنية : « اما كلمة يزيد فقد كانت من قبل اسما لابن معاوية أما هي الآن عند الشيعة فانها رمز للفساد والاستبداد ، والتهلك والخلاعة وعنوان للزندقة والالحاد فحيث يكون الشر والفساد فثم اسم يزيد ، وحيثما يكون الخير والحق والعدل فثم اسم الحسين » (٢)

وقد أثر عن النبي (ص) انه نظر الى معاوية يتبختر في برده حبرة وينظر الى عطفه فقال (ص) : « اي يوم لأمتي منك ، واي يوم سوء

(١) تأريخ القضاء من مصورات مكتبة الامام الحكيم العامة .

(٢) الشيعة في الميزان (ص ٤٥٥) .

لدريني منك من جرو يخرج من صلبك يتخذ آيات الله هزواً ويستحل من
حرمتي ما حرم الله عز وجل « (١) .

نشأته :

نشأ يزيد عند اخواله في البادية من بني كلاب الذين كانوا يعتقدون
المسيحية قبل الاسلام ، وكان مرسل العنان مع شبابه الماجنين ، فتسأثر
بسلوكهم الى حد بعيد فكان يشرب معهم الخمر ويلعب معهم بالكلاب ،
يقول العلائلي : « إذا كان يقينا أو يشبه اليقين ان تربية يزيد لم تكن اسلامية
خالصة أو بعبارة اخرى كانت مسيحية خالصة ، فلم يبق ما يستغرب معه
أن يكون متجاوزاً مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الاسلامية ، لا يحسب
لتقاليدها واعتقاداتها أي حساب ، ولا يقيم لها وزناً بل الذي نستغرب أن
يكون على غير ذلك » (٢)

والذي نراه أن نشأته كانت نشأة جاهلية بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ،
ولا تحتمل أي طابع من الدين مهما كان ، فان استهتاره في الفحشاء وامعانه
في المنكر والأثم مما يوحي الى الاعتقاد بذلك .

صفاته :

اما صفاته الجسمية فقد كان شديد الأدمة بوجهه آثار الجذري (٣)

(١) المناقب والمثالب « ص ٧١ » للقاضي نعمان المصري .

(٢) سمو المعنى في سمو الذات « ص ٥٩ » .

(٣) تأريخ القضاء .

كما كان ضخماً ذا سمعة كثير الشعر (١) واما صفاته النفسية فقد ورث صفات جده أبي سفيان وأبيه معاوية من الغدر والنفاق ، والطيش والاستهتار يقول السيد مير علي الهندي :

« وكان يزيد قاسياً غداراً كأبيه ، ولكنه ليس ذاهية مثله كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من الباقة الدبلوماسية الناعمة وكانت طبيعته المنحلة ، وخلقه المنحط لا تتسرب إليهما شفقة ولا عدل . . كان يقتل ويعذب نشداناً للمتعة واللذة التي يشعر بها ، وهو ينظر الى آلام الآخرين ، وكان بؤرة لأبشع الرذائل ، وهامم ندماؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك . . لقد كانوا من حثالة المجتمع . . » (٢)

لقد كان جاني الخلق مستهتراً ، بعيداً عن جميع القيم الانسانية ، ومن ابرز ذاتياته ميله الى اراقة الدماء ، والاسائة الى الناس ففي السنة الاولى من حكمه القصير اباد عترة رسول الله « ص » وفي السنة الثانية اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل سبعمائة رجل من المهاجرين والانصار وعشرة آلاف من الموالي والعرب والتابعين .

ولعه بالصيد :

ومن مظاهر صفات يزيد ولعه بالصيد فكان يقضي اغلب أوقاته فيه ، ويقول المؤرخون :

« كان يزيد بن معاوية كلفا بالصيد لاهياً به ، وكان يلبس كلاب

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٢٦٧ .

(٢) روح الاسلام (ص ٢٩٦)

الصيد الاساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ، وهب لكل كلب
عبداً يخدمه . (١)

شغفه بالقروود :

وكان يزيد — فيما اجمع عليه المؤرخون — ولعا بالقروود ، فكان
له قرد يجعله بين يديه ويكنيه بأبي قيس ، ويسقيه فضل كأسه ، ويقول :
هذا شيخ من بني اسرائيل اصابته خطيئة فمسخ ، وكان يحمله على اتان
وحشية ويرسله مع الخيل في حلبة السباق ، فحمله يوماً فسبق الخيل فسر
بذلك وجعل يقول :

تمسك أبا قيس بفضل زمامها فليس عليها ان سقطت ضمان
فقد سبقت خيل الجعاعة كلها وخيل امير المؤمنين اتان
وارسله مرة في حلبة السباق فطرحته الريح فمات فحزن عليه حزناً
شديداً وأمر بتكفينه ودفنه كما أمر أهل الشام أن يعزوه بمصابه الأليم ،
وانشأ راثياً له :

كم من كرام وقوم ذوو محافظه جاءوا لنا ليعزوا في أبي قيس
شيخ العشيرة امضاها واجملها على الرووس وفي الأعناق والريس
لايبعد الله قبراً أنت ساكنه فيه جمال وفيه لحية التيس (٢)
وذاع بين الناس هيامه وشغفه بالقروود حتى لقبوه بها ، ويقول رجل
من تنوخ هاجياً له :

(١) الفخري (ص ٤٥) .

(٢) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٤٣)
من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

يزيد صديق القرد مَلَّ جوارنا فحنَّ الى ارض القروود يزيد
فتبا لمن امسى علينا خليفة صحابته الادنون منهُ قروود (١)

ادمانه على الخمر :

والظاهرة البارزة من صفات يزيد ادمانه على الخمر ، وقد اسرف في ذلك الى حد كبير فلم ير في وقت الا وهو ثمل لايعي من السكر ، ومن شعره في الخمر

اقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صبايسات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم (٢)
وجلس يوما على الشراب وعن يمينه ابن زياد بعد قتل الحسين
فقال :

اسقني شربة تروي شاشي ثم صل مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والامانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي (٣)
وفي عهده طرأ تحول كبير على شكل المجتمع الاسلامي فقد ضعف ارتباط المجتمع بالدين ، وانغمس الكثيرون من المسلمين في الدعارة والمجون ولم يكن ذلك التغيير اقليميا ، وانما شمل جميع الاقاليم الاسلامية فقد سادت فيها الشهوات والمتعة والشراب ، وقد تغيرت الاتجاهات الفكرية التي ينشدها الاسلام عند اغلب المسلمين .
وقد اندفع الاحرار من شعراء المسلمين في اغلب عصورهم الى هجاء

(١) انساب الاشراف ٢ / ٢

(٢) تاريخ المظفري .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٧٤

يزيد لادمانه على الخمر ، يقول الشاعر بن عرادة :

ابني أمية ان آخر ملككم جسد بجورين ثم مقيم
طرقت منيته وعند وساده كوب وزق راعف مرثوم
ومرنة تبكي على نشوانه بالصنح تقعد اارة وتقوم (١)

ويقول فيه أنور الجندي :

خلقت نفسه الأثيمة بالمكر وهامت عيناه بالفحشاء
فهو والكأس في عناق طويل وهو والعار والخناء في خباء
ويقول فيه بولس سلامة :

وترفق بصاحب العرش مشعو لاعن الله بالقيان الملاح
الف « الله اكبر » لا تساوي بين كفي يزيد نهلة راح
تنلظى في الدن بكرة فلم تدنس بلثم ولا بماء قراح (٢)

لقد عاقر يزيد الخمر ، واسرف في الادمان حتى ان بعض المصادر
تعزو سبب وفاته الى أنه شرب كمية كبيرة منه فاصابه انفجار فهلك منه (٣)

ندماؤه :

واصطفى يزيد جماعة من الخلاء والماجنين فكان يقضي معهم لياليه
الحمرء بين الشراب والغناء وفي طليعة ندماؤه الاخطل الشاعر المسيحي الخليل

(١) تأريخ الطبري ٤٣/٧

(٢) ملحمة الغدير (ص ٢٢٧)

(٣) تأريخ المظفري من مصورات مكتبة الامام الحكيم ، وجاء في
انساب الاشراف ٤/ق ٢/٢ ان سبب وفاة يزيد انه حمل قرده على
اتان ، وهو سكران فركض خلفها فاندقت عنقه فانقطع شيء في جوفه فمات

فكانا يشربان ويسمعان الغناء ، واذا اراد السفر صحبه معه (١) ولما هلك يزيد وآل أمر الخلافة الى عبد الملك بن مروان قربه فكان يدخل عليه بغير إستئذان ، وعليه جبة خز ، وفي عنقه سلسلة من ذهب ، والخمر يقطر من لحيته (٢) .

نصيحة معاوية ليزيد :

ولما شاع استهتار يزيد واقراره لجميع الوان المنكر والفساد ، استدعاه معاوية فاوصاه بالتكم في نيل الشهوات لثلا تسقط مكانته الاجتماعية ، قائلا :
يا بني ماقدرك على أن تصير الى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك
وقدرك ثم انشده .

انصب نهراً في طلاب العلى واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى اذا الليل اتى بالدجا واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي فانما الليل نهار الأريب
كم فاسق تحسبه ناسكاً قد باشر الليل بأمر عجيب (٣)

دفاع محمد عزة دروزة :

من الكتاب الذين يحملون الزعة الأموية في هذا العصر مجد عزة دروزة فقد جهد نفسه - مع الأسف - على الدفاع عن منكرات الأمويين

(١) الاغاني ٧ / ١٧٠ .

(٢) الاغاني ٧ / ١٧٠ .

(٣) البداية والنهاية ٨ / ٢٢٨ .

وتبرير ما أثر عنهم من الظلم والجور والفساد ، وقد دافع عن معاوية ونزعه عما اقترفه من الموبقات التي هي لطحخة عار في تأريخ الانسانية . . . وقد علق على هذه البادرة بقوله : « نحن نزه معاوية صاحب رسول الله (ص) وكاتب وحيه ، والذي أثرت عنه مخافة الله وتقواه وحرصه ، عن أن يرضى من ابنه الشذوذ عن هذه الحدود بله التشجيع بل نستبعد هذا عن يزيد » (١) وهذا مما يدعو الى السخرية والتفكه ، فقد تنكر دروزة للواضحات التي لا يشك فيها أي انسان يملك عقله واختياره ، وقديما قد قيل .

وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل
أن ما أثر عن معاوية من الأحداث الجسام كقتله حجر بن عدي ، ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق الخزاعي ونظرانهم من المؤمنين ، وسببه للعترة الطاهرة ، ونكايته بالامة بفرض يزيد خليفة عليها وغير ذلك من الجرائم التي المعنا الى بعضها في البحوث السابقة وهي مما تدل على تشويه اسلامه وانحرافه عن الطريق القويم ، ولكن دروزة وامثاله لا ينظرون الى الواقع الا بمنظار اسود فراحوا يقدسون الامويين الذين اثبتوا بتصرفاتهم السياسية والادارية انهم خصوم الاسلام واعدائه .

اقرار معاوية لاستهتار يزيد :

وهام معاوية بحب ولده يزيد فاقره على فسقه وفجوره ، ولم يردعه عنه ويقول المؤرخون : انه نقل له ان ولده على الشراب فانه يتجسس عليه فسمعه ينشد :

(١) تأريخ الجنس العربي ٨ / ٨٦ .

اقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صبابات الهوى يترنم
 خلدوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم
 ولا تركوا يوم السرور الى غد فان غداً يأتي بما ليس يعلم
 الا ان اهنا العيش ما سمحت به صروف الليالي والحوادث نوم
 فعاد معاوية الى مكانه ولم يعلمه بنفسه ، وراح يقول :
 والله لا كنت عليه ، ولا نغصت عليه عيشه (١)

حقد يزيد على النبي :

واترعت نفس يزيد بالحقد على النبي (ص) والبغض له ، لأنه وتره
 بأسرته يوم بدر ، ولما أباد العترة الطاهرة جلس على اريكة الملك جدلانا
 مسروراً يهز اعطافه فقد استوفى ثأره من النبي (ص) وتمنى حضور اشياخه
 ليروا كيف أخذ بثأرهم وجعل يترنم بابيات ابن الزبيرى :
 ليت اشياخي يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
 لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
 قد قتلنا القرم من اشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
 لست من نخدف إن لم انتقم من بني احمد ما كان فعل (٢)

(١) تاريخ المظفرى من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٩٢ .

بغضه للانصار :

وكان يزيد يبغض الانصار بغضاً عارماً لأنهم ناصروا النبي (ص) وقاتلوا قريشا ، وحصدوا رؤوس اعلامهم ، كما كانوا يبغضون بني أمية فقد قتل عثمان بن ظهرانهم ولم يدافعوا عنه ، ثم بايعوا عليا ، وذهبوا معه الى صفين لحرب معاوية ، ولما استشهد الامام كانوا من أهم العناصر المعادية لمعاوية ، وكان يزيد يتميز من الغيظ عليهم وطلب من كعب بن جعيل التغلبي أن يهجوهم فامتنع وقال له :

« اردتني الى الاشراك بعد الايمان ، لاهجو قومنا نصرورا رسول الله (ص) ولكن ادلك على غلام منا نصراني كأن لسانه لسان ثور - يعني الاخطل - »

فدعا يزيد الاخطل ، وطلب منه هجاء الانصار فاجابه الى ذلك ، وهجاهم بهذه الايات المقدسة :

لعن الآله من اليهود عصابة	ما بين صايصل وبين صرار (١)
قوم اذا هدر القصير رأيتهم	حمرأ عيونهم من المسطار (٢)
خلوا المسكارم لستم من اهلها	وخذوا مساحيكم بني النجار
ان الفوارس يعلمون ظهوركم	اولاد كل مقبح اكاز (٣)
ذهبت قريش بالمسكارم كلها	واللؤم تحت عمائم الانصار (٤)

(١) صليصل وصرار : من الاماكن القرية للمدينة .

(٢) المسطار : الخمر الصارعة لشاربها .

(٣) اكاز : الحراث .

(٤) طبقات الشعراء (ص ٣٩٢)

لقد ابتداء الاخطل هجاءه للانصار بدم اليهود وقرن بينهم وبين الانصار
لانهم يساكنونهم في يثرب ، وقد عاب على الانصار بأنهم اهل زرع وفلاحة
وانهم ليسوا أهل مجد ولا مكارم واتهمهم بالجبن عند اللقاء ، ونسب الشرف
والمجد الى القرشيين واللؤم كله تحت عمائم الانصار ، وقد أثار هذا الهجاء
المر حفيظة النعمان بن بشير الذي هو احد عملاء الأمويين ، فانبرى غضباناً
الى معاوية فلما مثل عنده حسر عمامته عن رأسه وقال :

« يامعاوية أتري لؤماً ؟ . »

« لابل ارى خيراً وكرماً ، فما ذاك ؟ ! ! »

زعم الاخطل أن اللؤم تحت عمائمنا ! ! »

واندفع النعمان يستجلب عطف معاوية قائلاً

معاوي الا تعطنا الحق تعترف لحق الازد مسدولاً عليها العائم
أيشتمنا عبس الارقم ضلعة فما ذا الذي تجدي عليك الارقم
فإلي ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترصيه عنه الدراهم (١)

قال معاوية :

- ما حاجتك ؟

- لسانه

- ذلك لك

وبلغ الخبر الاخطل فأسرع الى يزيد مستجيراً به وقال له : هذا الذي
كنت اخافه فطمأنه يزيد وذهب الى أبيه ، فأخبره بأنه قد اجاره ، فقال
معاوية : لاسبيل الى ذمة أبي خالد - يعني يزيداً - فعفى عنه ، وجعل
الاخطل يفخر برعاية يزيد له ، ويشمت بالنعمان بقوله :

(١) العقد الفريد ٥ / ٣٢١ - ٣٢٢

أبا خالد دافعت عني عظيمة وادركت لحمي قبل أن يتبددا
واطفأت عني نار نعمان بعدما أغذد لأمر عـاجز وتجردا
ولما رأى النعمان دوني ابن حرة طوى الكشيح اذ لم يستطعني وعردا (١)
هذه بعض نزعات يزيد واتجاهاته ، وقد كشفت عن مسخه وتمرسه
في الجريمة وتجرده من كل خلق قويم ... وان من مهازل الزمن وعثرات
الأيام ان يكون هذا الخليع حاكماً على المسلمين واماما لهم .

دعوة المغيرة لبيعة يزيد

وأول من تصدى لهذه البيعة المشومة اعور ثقيف المغيرة بن شعبة
صاحب الاحداث والموبقات في الاسلام (٢) وقد وصفه بركلمان بأنه رجل
انتهازي لازمة له ولا ذمام (٣) وهو احد دهاة العرب الخمسة (٤) وقد
قضى حياته في التآمر على الأمة ، والسعي وراء مصالحه الخاصة .
اما السبب في دعوته لبيعة يزيد - فيما يرويه المؤرخون - فهو
ان معاوية اراد عزله من الكوفة ليولي عليها سعيد بن العاص (٥) فلما
بلغه ذلك سافر الى دمشق ليقدّم استقالته من منصبه حتى لا تكون حزازة عليه
في عزله ، واطال التفكير في امره فرأى ان خير وسيلة لاقاراره في منصبه

(١) ديوان الاخطل (ص ٨٩)

(٢) من موبقات المغيرة انه اول من رشى في الاسلام كما يروي
البيهقي كما انه كان الوسيط في استلحاق زياد بمعاوية .

(٣) تأريخ الشعوب الاسلامية ١ / ١٤٥ .

(٤) الطبري

(٥) الامامة والسيامة ٢ / ٢٦٢ .

أن يجتمع يزيد فيجد له الخلافة حتى يتوسط في شأنه الى أبيه والتقى الماكر
يزيد فابدى له الاكبار ، واطهر له الحب ، وقال له :
قد ذهب اعيان مجد (ص) وكبراء قریش وذوو اسنانهم ، وانما بقى
ابناؤهم ، وانت من افضلهم واحسنهم رأيا ، واعلمهم بالسنة والسياسة ،
ولا ادري ما يمنع امير المؤمنين ان يعقد لك البيعة ؟ . . . » .
وغزت هذه الكلمات قلب يزيد فشكره واثني على عواطفه ،
وقال له :

- ترى ذلك يتم ؟

- نعم

وانطلق يزيد مسرعا الى أبيه فأخبره بمقالة المغيرة ، فسر معاوية بذلك
وارسل خلفه ، فلما مثل عنده أخذ يحفزها على المبادرة في أخذ البيعة
ليزيد قائلا :

« يا امير المؤمنين قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد
عثمان وفي يزيد منك خلف فاعقد له ، فان حدث بك حدث كان كهفا
للناس ، وخلفا منك ، ولا تسفك دماء ، ولا تكون فتنة .
واصابت هذه الكلمات الوتر الحساس في قلب معاوية فراح يخادعه
مستشيراً في الأمر قائلا :

- من لي بهذا ؟

- اكفيك أهل الكوفة ، ويكفيك زياد أهل البصرة ، وليس بعد هذين
المصريين أحد يخالفك .

واستحسن معاوية رأيه فشكره عليه واقره على منصبه وأمره بالمبادرة
الى الكوفة لتحقيق غايته ، ولما خرج من عند معاوية قال لحاشيته :
« لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة مجد (ص)

وفتقت عليه فتقا لا يرتق ثم تمثل بقول الشاعر :
بمثلي شاهد النجوى وغالى بي الاعداء والخصم الغضابا
ففي سبيل المغم فتق المغيرة على أمة مجد (ص) فتقا لا يرتق ، واخذلها
الكوارث والخطوب .

وسار المغيرة الى الكوفة ، وهو يحمل الشر والدمار لأهلها ولعموم
المسلمين ، وفور وصوله عقد اجتماعا ضم عملاء الأمويين فعرض عليهم بيعة
يزيد فاجابوه الى ذلك ، وأوفد جماعة منهم الى دمشق وجعل عليهم ولده
أبا موسى ، فلما انتهوا الى معاوية حفزوه على عقد البيعة ليزيد ، فشكرهم
على ذلك وأوصاهم بالسكتان ، والتفت الى ابن المغيرة فقال له :

- بكم اشترى ابوك من هؤلاء دينهم ؟

- بثلاثين الف درهم .

فضحك معاوية وقال ساخرأ :

لقد هان عليهم دينهم .

ثم اوصلهم بثلاثين الف درهم (١) لقد استجاب لهذه البيعة ورضي بها
كل من يحمل ضميراً قلقاً عرضه للبيع والشراء .

تبرير معاوية :

ودافع جماعة من المؤلفين والكتاب عن معاوية وبرروا بيعته ليزيد التي
كانت من افجع النكبات التي مُني بها العالم الاسلامي ، وفيما يلي بعضهم :
- احمد دحلان

ومن اصلب المدافعين عن معاوية احمد دحلان قال : « فلما نظر

(١) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٤٩ .

معاوية إلى قوة شوكتهم - يعني الأمويين - واستحكام عصبيتهم حتى انهم لو خرجت الخلافة عنهم بعدهم يحدثون فتنة ويقم افتراق للأمة فأراد اجتماع الكلمة بجعل الأمر فيهم ، ثم انه نظر فيمن كان منهم اقوى شوكة فرآه ابنه يزيد لأنه كان كبيراً ، وباشر امارة الجيوش في حياة أبيه وصارت له هبة عند الأمراء ، وله تمكن ، ونفاذ كلمة فلو جعل الأمر لغيره منهم كان ذلك سبباً لمنازعته لا سيما وله تمكن واقتدار على الاستيلاء على ما في بيت المال من الأموال فيقبح الافتراق والاختلاف لو جعل الأمر لغيره ، فرأى أن جعل الأمر له بهذا الاجتهاد يكون سبباً للألفة ، وعدم الافتراق وهذا هو السبب في جعله ولي عهده ، ولم يعلم ما يبيده الله بعد ذلك .. (١) .

حفنة من التراب على أمثال هؤلاء الذين دفعتهم المعصية الآثمة إلى تبرير المنكر وتوجيه الباطل ، فهل ان أمر الخلافة التي هي ظل الله في الأرض يعود الى الأمويين حتى يرعى معاوية عواطفهم ورغباتهم وهم الذين ناهضوا نبي الاسلام ، وناجزوه الحرب ، وعلبوا كل من دخل في دين الاسلام فكيف يكون أمر الخلافة بأيديهم ولو كان هناك منطق ووعي ديني لكانوا في ذيل القافلة ولا يحسب لهم أي حساب .

٢ - الدكتور عبد المنعم

ومن المبررين لمعاوية في بيعته يزيد الدكتور عبد المنعم ماجد قال :
 « ويبدو أن معاوية قصد من وراء توريث يزيد الخلافة القضاء على افتراق كلمة الأمة الاسلامية ، ووقوع الفتنة مثلما حدث بعد عثمان ، ولعله أيضاً أراد أن يوجد حلاً للمسألة التي تركها النبي (ص) دون حل وهي ايجاد سلطة دائمة للإسلام ومن المحقق أن معاوية لم يكن له مندوحة من أن يفعل

(١) تاريخ دول الاسلامية (ص ٢٨) .

ذلك خوفاً من غضب بني أمية الذين لم يكونوا يرضون بتسليم الأمر إلى سواهم . ، (١) وهذا الرأي لا يحمل أي طابع من التوازن فان معاوية في بيعته ليزيد لم يجمع كلمة المسلمين وانما فرقها واخذ لهم الشر والخطوب فقد عانت الأمة - في عهد يزيد - من ضروب البلاء والحزن مالا يوصف لفضاعته ومرارته ، فقد جهد حفيد أبي سفيان على تدمير الاسلام ، وسحق جميع مقدساته وقيمه ، فاباد العترة الطاهرة التي هي عديلة القرآن الكريم حسب النصوص النبوية المتواترة وأنزل بأهل المدينة في واقعة الحرة من الجرائم ما تندى له جبين الانسانية ، فهل جمع بذلك معاوية كلمة المسلمين ووحيد صفوفهم ومما يدعو إلى السخرية ماذهب اليه من أن النبي (ص) ترك مسألة الخلافة بغير حل فجاء معاوية فحل هذه العقدة ، ببيعه ليزيد ! إن النبي (ص) لم يترك أي شأن من شؤون أمتيه بغير حل وانما وضع لها الحلول الحاسمة ، وكان أهم ما عني به شأن الخلافة ففسد عهد بها إلى أفضل أمته وباب مدينة علمه الامام أمير المؤمنين (ع) وقد بايعه كبار الصحابة وعموم من كان معه في يوم الغدير ، ولكن القوم كرهوا اجتماع النبوة والخلافة في بيت واحد فزورا الخلافة عن أهل بيت نبيهم فأدى ذلك إلى أن يلي أمر المسلمين يزيد وأمثاله من المنحرفين الذين أثبتوا في تصرفاتهم أنهم لا علاقة لهم بالاسلام ، ولا عهد لهم بالدين .

٣ - حسين محمد يوسف

ومن المدافعين - بحرارة - عن معاوية في ولايته ليزيد حسين محمد يوسف وقد أطل الكلام - بغير حجة - في ذلك ، قال في آخر حديثه :
 وخلاصة القول في موقف معاوية أنه كان مجتهداً في رأيه ، وانه جين دعا

(١) التاريخ السياسي للدولة العربية ٢ / ٦٢ .

الأمة الى بيعة يزيد ، كان حسن الظن به « لأنه لم يثبت عنده أي نقص فيه ، بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله ، حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية الصحابة كلهم ، فان كان معاوية قد أصاب في اختياره فله اجران ، وان كان قد أخطأ فله أجر واحد ، وليس لأحد بعد ذلك أن يخوض فيما وراء ذلك فانما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » (١) . ان من المؤسف - حقاً - أن ينبري هؤلاء ، لتبرير معاوية في اقراره لهذه الجريمة النكراء التي اغرقت العالم الاسلامي بالفتن والخطوب . . . ومتى اجتهد معاوية في فرض ابنه خليفة على المسلمين ؟ فقد سلك في سبيل ذلك جميع المنعطفات والطرق الملتوية ، فأرغم عليها المسلمين ، وفرضها عليهم تحت غطاء مكثف من قوة الحديد . . . ان معاوية لم يجتهد في ذلك ، وانما استجاب لمواطنه المترعة بالحنان والولاء لولده من دون أن يرضى أي مصلحة للأمة في ذلك .

هؤلاء بعض المؤيدين لمعاوية في عقده البيعة ليزيد ، وهم مدفوعون بدافع غريب على الاسلام ، وبعيد كل البعد عن منطق الحق .

كلمة الحسن البصري :

وشجب الحسن البصري بيعة يزيد ، وجعلها من جملة موبقات معاوية قال : « أربع خصال : كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة : ابتزؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلاف ابنه بعده سكبراً خميراً يلبس الحرير ، ويضرب بالطناوير ، وادعاؤه زياداً ، وقد

(١) سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (ص ٢٠٨) .

قال رسول (ص) : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً وأصحابه
ويط له من حجر وأصحابه . . ، (١) هـ

كلمة ابن رشد :

ويرى الفيلسوف الكبير ابن رشد أن بيعة معاوية ليزيد قد غيرت
مجرى الحياة الإسلامية وهدمت الحكم الصالح في الإسلام ، قال : « ان
أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح
فكأنما وصف افلاطون حكومتهم في (جمهوريته) الحكومة الجمهورية
الصحيحة التي يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات ، ولكن معاوية هدم
ذلك البناء الجليل القديم ، وأقام مكانه دولة بني أمية وسلطانها الشديد
ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال الى الآن قائمة حتى في بلادنا هذه
- يعني الاندلس - ، (٢) .

لقد نقم على معاوية في بيعة يزيد جميع اعلام الفكر وقادة الرأي في
الامة الإسلامية منذ عهد معاوية حتى يوم الناس هذا ، ووصفوها بأنها
اعتداء صارخ على الأمة وخروج على ارادتها .

دوافع معاوية :

أما الدوافع التي دعت معاوية لفرض ابنه الكبير خليفة على المسلمين
فكان من أبرزها الحب العارم لولده ، فقد هام بحبه ، وقد أدلى بذلك

(١) الطبري ٦ / ٢٥٧ وغيره .

(٢) ابن رشد وفلسفته (ص ٦٠) لفرج انطون .

في حديثه مع سعيد بن عثمان حينما طلب منه أن يرشحه للخلافة ، ويدع
ابنه يزيد ، فسخر منه معاوية وقال له :
« والله لو ملئت لي الفوطه رجالا مثلك لكان يزيد أحب إلي
منكم كلكم . . . » (١) .
لقد أعماه حبه لولده ، واضله عن الحق ، وقد قال :
« لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي . . . » (٢) .
وكان يؤمن بأن استخلافه ليزيد من أعظم ما اقترفه من الذنوب ،
وقد صرح ولده بذلك فقال له :
« ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافي اباك » (٣) .
لقد اقترف معاوية وزراً عظيماً فيما جناه على الأمة بتحويل الخلافة
إلى ملك عضوض لا يعنى فيه هارادة الأمة واختيارها .

الوسائل الدبلوماسية في أخذ البيعة :

أما الوسائل الدبلوماسية التي اعتمد عليها معاوية في فرض خليفه
على المسلمين فهي :

١ - استخدام الشعراء

أما الشعراء فكانوا في ذلك العصر - من أقوى أجهزة الأعلام

(١) البداية والنهاية ٨ / ٨٠

(٢) المناقب والمثالب (ص ٦٨) للقاضي نعمان المصري .

(٣) تأريخ الخلفاء لمؤلف مجهول قامت بنشره أكاديمية العلوم

للاتحاد السوفيتي .

وقد أجزل لهم معاوية العطاء ، وأغدق عليهم الأموال فانطلقت ألسنتهم
بالمديح والثناء على يزيد فأضافوا إليه الصفات الرفيعة ، وخالعوا عليه
النعوت الحسنة ، وفيما يلي بعضهم :

العجاج :

ومدحه العجاج مدحاً عاطراً فقال فيه :
إذا زلزل الأقبام لم تزلزل عن دين موسى والرسول المرسل
وكنت سيف الله لم يفلل يفرع (١) أحياناً وحيناً يخنلي (٢)
ومعنى هذا الشعر أن يزيد يقتضي أثر الرسول موسى والنبي محمد (ص)
وإنه سيف الله البتار إلا أنه كان مشهوراً على أولياء الله وأحبابه .

الأحوس :

ومدحه الشاعر الأحوس بقصيدة جاء فيها :
ملك تدين له الملوك مبارك كادت لهيبته الجبال تزول
يجبي له بلخ ودجلة كلها وله الفرات وما سقى والنيل
لقد جاءت تلك الهيبة التي تخضع لها الجباه ، وتزول منها الجبال من
إدماته على الخمر ومزاملته للقرود ، ولعبه بالكلاب واقترافه للجرائم والموبقات .

مسكين الدارمي :

ومن الشعراء المرتزقة مسكين الدارمي ، وقد أوعز إليه معاوية أن
يخثه على بيعة يزيد أمام من كان عنده من بني أمية وأشرف أهل الشام ،

(١) يفرع : يعلو رؤوس الناس .

(٢) شعراء النصرانية بعد الإسلام (ص ٢٣٤) .

فدخل مسكين على معاوية فلما رأى مجلسه حاشداً بالناس رفع عقيرته :
ان ادع مسكيناً فاني ابن معشر من الناس أحمي عنهم وأذود
الايث شعري مايقول ابن عامر ومروان ام ماذا يقول سعيد
بني خلفاء الله مهلا فأنمنا يبوئها الرحمن حيث يريد
اذا المنبر الغربي خلاه ربه فان أمير المؤمنين يزيد
على الطائر الميمون والجد ساعد لكل أناس طائر وجدود
فلا زلت اعلى الناس كعبا ولم تزل وفود تسامها اليك وفود
ولا زال بيت الملك فوقك عاليا تشيد أطناب له وعمود (١)
هؤلاء بعض الشعراء الذين مدحوا يزيد ، واقتتلوا له المآثر لتغطية
ما ذاع عنه من الدعارة والمجون .

بذل الأموال للوجوه :

وأنفق معاوية الأموال الطائلة بسخاء للوجوه والأشراف ليقروه على
فرض ولده السكير خليفة على المسلمين ، ويقول المؤرخون : إنه أعطى
عبدالله بن عمر مائة الف درهم فقبلها منه (٢) وكان ابن عمر من أصلب
المدافعين عن بيعة يزيد وقد نقم على الامام الحسين (ع) خروجه عليه ،
وسنذكر ذلك بمزيد من التفصيل في البحوث الآتية .

(١) الاعاني ٨ / ٧١ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٥٠ .

مراسلة الولاية :

- وراسل معاوية جميع عماله وولاته في الأقاليم الاسلامية بعزمه على عقد البيعة ليزيد ، وأمرهم بتنفيذ ما يلي :
- ١ - اذاعة ذلك بين الجماهير الشعبية ، واعلامها بما صممت عليه حكومة دمشق من عقد الخلافة ليزيد .
 - ٢ - الايعاز للخطباء وسائر أجهزة الاعلام بالثناء على يزيد ، وافتعال المآثر له :
 - ٣ - ارسال الوفود إليه من الشخصيات الاسلامية حتى يتعرف على رأيها في البيعة ليزيد (١) وقام الولاية بتنفيذ ما عهد إليهم ، فأذاعوا ما صمم عليه معاوية من عقد البيعة ليزيد ، كما أوعزوا للخطباء وغيرهم بالثناء على يزيد .

وفود الاقطار الاسلامية :

وانصلت الحكومات المحلية في الأقطار الاسلامية بقيادة الفكر فعرضت عليهم ما عزم عليه معاوية من تولية ولده للخلافة ، وطلبوا منهم السفر فوراً إلى دمشق لعرض آرائهم على معاوية ، وسافرت الوفود إلى دمشق وكان في طليعتهم .

- ١ - الوفد العراقي بقيادة زهير العراق الأحنف بن قيس .
- ٢ - الوفد المدني بقيادة محمد بن عمرو بن حزم (٢) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٥٠ .

(٢) نفس المصدر .

وانتهت الوفود إلى دمشق لعرض آرائها على عامل الشام ، وقد قام معاوية بضيفتهم والاحسان إليهم .

مؤتمر الوفود الاسلامية :

وعقدت وفود الأقطار الاسلامية مؤتمراً في البلاط الأموي في دمشق لعرض آرائها في البيعة ليزيد ، وقد افتتح المؤتمر معاوية بالثناء على الاسلام ، ولزوم طاعة ولاة الأمور ، ثم ذكر يزيد وفضله ، وعلمه بالسياسة ودعاهم لبيعته .

المؤيدون للبيعة :

وانبرت كوكبة من أقطاب الحزب الأموي فأيدوا معاوية وحثوه على الاسراع للبيعة وهم :

١ - الضحاك بن قيس

٢ - عبد الرحمن بن عثمان

٣ - ثور بن معن السلمي

٤ - عبد الله بن عصبام

٥ - عبد الله بن مسعدة

وكان معاوية قد عهد إليهم بالقيام بتأييده ، والرد على المعارضين له

خطاب الأحنف بن قيس :

وانبرى إلى الخطابة زعيم العراق وسيد تميم الأحنف بن قيس الذي تقول فيه ميسون أم يزيد : « لو لم يكن في العراق إلا هذا لكفاهم » (١) وتقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم التفت إلى معاوية قائلاً :

« أصلح الله أمير المؤمنين ، ان الناس في منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان مؤتلف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف ، وقد حلبت الدهر أشطره .

يا أمير المؤمنين فاعرف من تسند إليه الأمر من بعدك ، ثم اعصي أمر من يأمرك ، ولا يفررك من يشير عليك ، ولا ينظر لك ، وأنت أنظر للجماعة ، واعلم باستقامة الطاعة مع ان أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبياعون ليزيد ما كان الحسن حياً . . . » .

وأثار خطاب الأحنف موجة من الغضب والاستياء عند الحزب الأموي فاندفع الضحاك بن قيس مندداً به ، وشتم أهل العراق ، وقلح بالامام الحسن ، ودعا الوفد العراقي الى الاخلاص لمعاوية والامتنال لما دعا إليه ، ولم يعن به الأحنف فقام ثانياً فنصح معاوية ودعاه الى الوفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه من تسليم الأمر إلى الحسن من بعده حسب اتفاقية الصلح التي كان من أبرز بنودها ارجاع الخلافة من بعده الى الامام الحسن كما انه هدد معاوية باعلان الحرب اذا لم يف بذلك .

(١) تذكرة ابن حمدون (ص ٨١) .

فشل المؤتمر :

وفشل المؤتمر فشلاً ذريعاً بعد خطاب الزعيم الكبير الأحنف بن قيس ، ووقع نزاع حاد بين أعضاء الوفود وأعضاء الحزب الأموي ، وانبرى يزيد بن المقفع فهدد المعارضين باستعمال القوة قائلاً :

« أمير المؤمنين هذا - وأشار إلى معاوية - فان هلك فهذا - وأشار إلى يزيد - ومن أبي فهذا - وأشار إلى السيف - » .

فاستحسن معاوية قوله وراح يقول له :

« أجلس فأنت سيد الخطباء واکرمهم » .

ولم يعن به الأحنف بن قيس فانبرى إلى معاوية فدعاه إلى الامساک عن بيعة يزيد ، وان لا يقدم أحداً على الحسن والحسين ، واعررض عنه معاوية ، وبقي مصرأ على فكرته التي هي أبعد ما تكون عن الاسلام :

وعلى أي حال فان المؤتمر لم يصل إلى النتيجة التي أرادها معاوية ففسد استبان له أن بعض الوفود الاسلامية لا تقره على هذه البيعة ولا رضی بها .

سفر معاوية ليثرب :

وقرر معاوية السفر إلى يثرب التي هي محط أنظار المسلمين ، وفيها أبناء الصحابة الذين يمثلون الجبهة المعارضة للبيعة ، ففسد كانوا لا يرون يزيداً ندأ لهم ، وان أخذ البيعة له خروج على ارادة الأمة ، وانحرف عن الشريعة الاسلامية التي لا تبیح ليزيد أن يتولى شؤون المسلمين لما عرف به من الاستهتار وفسخ الأخلاق .

وصافر معاوية إلى يثرب في زيارة رسمية ، وتحمل أعباء السفر
لتحويل الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض لا ظل فيه للحق والمعدل .

اجتماع مغلق :

وفور وصول معاوية إلى يثرب أمر باحضار عبد الله بن عباس ،
وعبد الله بن جعفر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، وعقد
معهم اجتماعاً مغلقاً ، ولم يحضر معهم الحسن والحسين لأنه قد عاهد الحسن
أن تكون الخلافة له من بعده فكيف يجتمع به ، وماذا يقول له ؟ وقد
أمر حاجبه أن لا يسمح لأي أحد بالدخول عليه حتى ينتهي حديثه معهم .

كلمة معاوية :

وابدأ معاوية الحديث بحمد الله والثناء عليه ، وصل على نبيه
ثم قال :

« أما بعد : فقد كبر سني ، ووهن عظمي ، وقرب أجلي ، وأوشكت
أن ادعى فاجيب ؟ وقد رأيت أن استخلف بعدي يزيد ، ورأيت لكم رضا
وأتم عبادة قريش ، وخيارهم ، وابناء خيارهم ، ولم يمنعني أن أحضر
حسناً وعميلاً الا انها أولاد أبيهما علي ، على حسن رأي فيها وشدة محبتي
لها فردوا على أمير المؤمنين خيراً رحمكم الله . . . » .

ولم يستعمل معهم الشدة والارهاب استجلاباً لعواطفهم ولم يخف
عليهم ذلك ، فانبروا جميعاً الى الانكار عليه ،

كلمة عبد الله بن عباس :

وأول من كلمه عبد الله بن عباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه :
« أما بعد : فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت : فسمعنا ، وان الله
جل ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار مجداً (ص) لرسالته ، واختاره لوجيه
وشرفه على خلقه فأشرف الناس من تشرف به ، واولاهم بالأمر أخصهم
به ، وانما على الأمة التسليم لنبيها اذا اختاره الله لها ، فانه انما اختار
مجداً بعلمه ، وهو العليم الخبير ، واستغفر الله لي ولكم . »
وكانت دهوة ابن عباس صريحة في ارجاع الخلافة لأهل البيت (ع)
الذين هم الصق الناس برسول الله (ص) وأمسهم به رحماً ، فان
الخلافة انما هي امتداد لمركز رسول الله (ص) فأهل بيته أحق بمقامه
وأولى بمكانته .

كلمة عبد الله جعفر :

وانبرى عبد الله بن جعفر فقال بعد حمد الله والثناء عليه :
« أما بعد : فان هذه الخلافة إن أخذ فيها بالقرآن فأولو الأرحام
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله (ص)
فأولو رسول الله (ص) وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأبي
الناس أفضل وأكمل واحق بهذا الأمر من آل الرسول (ص) ؟ وأيم الله
لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقه وصدقته ، ولأطبع الرحمن ،
وعصي الشيطان ، وما اختلف في الأمة سيفان ، فاتق الله يا معاوية فانك
قد صرت راعياً ونحن رعية فانظر لرعيك فانك مسؤول عنها حسداً ،

وأما ما ذكرت من ابني عمي ، وتركك أن تحضرهما ، فوالله ما أصبت الحق ، ولا يجوز ذلك الا بهما ، وانك لتعلم انها معدن العلم والكرم فقل أودع ، واستغفر الله لي ولكم
وحفل هذا الخطاب بالدعوة الى الحق والاخلاص للأمة فقد رشح أهل البيت (ع) للخلافة وقيادة الأمة ، وحذره من صرفها عنهم كما فعل غيره من الخلفاء فكان من جراء ذلك ان منيت الأمة بالأزمات والتكسبات وعانت أعنف المشاكل واقسى الحوادث .

كلمة عبد الله بن الزبير :

وانطلق عبد الله بن الزبير للخطابة فحمد الله وأثنى عليه وقال :
« أما بعد : فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بآثرها السنية وافعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف نفسك فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله (ص) وهذا عبد الله ابن جعفر ذي الجناحين ابن عم رسول الله (ص) وأنا عبد الله بن الزبير ابن عم رسول الله (ص) وعلي خلف حسناً وحسيناً وأنت تعلم من هما وما هما ؟ فاتق الله يا معاوية ، وانت الحاكم بيننا وبين نفسك
وقد رشح ابن الزبير هؤلاء النفر للخلافة ، وقد حفزهم بذلك لمعارضة معاوية وافساد مهمته .

كلمة عبد الله بن عمر :

واندفع عبد الله بن عمر فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيه :
« أما بعد : فان هذه الخلافة ليست بهرقلية ، ولا قيصرية ، ولا
كسروية يتوارثها الأبناء عن الآباء ، ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد أبي
فو الله ما ادخلني مع الستة من أصحاب الشورى ، الا على أن الخلافة
ليست شرطاً مشروطاً وانما هي في قريش خاصة لمن كان لها أهلاً ممن
ارتضاه المسلمون لأنفسهم ممن كان اتقى وارضى ، فان كنت تريد الفتیان
من قريش فلعمري أن يزيد من فتیانها ، واعلم انه لا يغني عنك من
الله شيئاً . . . » .

ولم تعبر كلمات العبادة عن شعورهم الفردي ، وانما عبرت تعبيراً
صادقاً عن رأي الأغلبية الساحقة من المسلمين الذين كرهوا خلافة يزيد ،
ولم يرضوا بها .

كلمة معاوية :

وثقل على معاوية كلامهم ، ولم يجد ثغرة ينفذ منها للحصول على
رضاهم ، فراح يشيد بإبنته فقال :
« قد قلت : وقلتم : وانه قد ذهبت الآباء ، وبقيت الأبناء فابني
أحب إلي من ابنائهم ، مع ان ابني إن قاولتموه وجد مقالا .. وانما كان
هذا الأمر لبني عبد مناف لأنهم اهل رسول الله فلما مضى رسول الله ولّى الناس
أبا بكر وعمر من غير معدن الملك والخلافة غير أنها سارا بسيرة جميلة
ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة ، وقد

أخرجك الله يا بن الزبير ، وانت يا بن عمر منها ، فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي ان شاء الله . . . (١) .
وانتهى اجتماع معاوية بالعبادة ، وقد اخفق فيه اخفاقاً ذريعاً ، فقد استبان له ان القوم مصممون على رفض بيععة يزيد . . . وعلى اثر ذلك غادر يثرب ، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا اجتماعه بسبطي رسول الله (ص) فقد اهملت ذلك واكبر الظن انه لم يجتمع بهما .

فزع المسلمين :

وذعر المسلمون حينما وافتهم الأنباء بتصميم معاوية على فرض ابنه خليفة عليهم ، وكان من اشد المسلمين خوفاً المدنيون والكوفيون ، فقد عرفوا واقم يزيد ، ووقفوا على اتجاهاته المعادية للاسلام ، يقول توماس آرنولد : « كان تقرير معاوية للمبدأ الوراثي نقلة خطيرة في حياة المسلمين الذين ألفوا البيعة والشورى ، والنظم الأولى في الاسلام وهم بعد قرييون منها ولهذا احسوا - وخاصة في مكة والمدينة حيث كانوا يتمسكون بالأحاديث والسنن النبوية الأولى - ان الأمويين نقلوا الخلافة الى حكم زمني متأثر بأسباب دنيوية مطبوع بالعظمة وحب الذات بدلا من أن يحتفظوا بتقوى النبي وبساطته » (٢) .

لقد كان اقدام معاوية على فرض ابنه يزيد حاكماً على المسلمين تحولا خطيراً في حياة المسلمين الذين لم يأنفوا مثل هذا النظام الثقيل الذي فرض عليهم بقوة السلاح .

(١) الامامة والسياسة ١ / ١٨٠ - ١٨٣ ، جمهرة الخطب ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٦ .

(٢) الخلافة (ص ١٠) لتوماس .

الجبهة المعارضة :

واعلان الأحرار والمصلحون في العالم الاسلامي رفضهم القاطع لبيعة يزيد ، ولم يرضوا به حاكماً على المسلمين ، وفيما يلي بعضهم .

١ - الامام الحسين

وفي طليعة المعارضين لبيعة يزيد الامام الحسين فقد كان يحقر يزيد ، ويكره طباعه الدميمة ، ووصفه بأنه صاحب شراب وقنص ، وانه قد لزم طاعة الشيطان ، وترك طاعة الرحمن ، واطهر الفساد وعطل الحدود واستأثر بالقيء ، وأحل حرام الله وحرم حلاله (١) واذا كان بهذه الصفة فكيف يبايعه ويقره حاكماً على المسلمين ، ولما دعاه الوليد إلى بيعة يزيد قال له الامام : « أيها الأمير إنا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة بنا فتح الله ، وبنا ينحتم ، ويزيد رجل فاسق ، شارب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معان بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله . » ورفض بيعة يزيد جميع أفراد الأسرة النبوية تبعاً لزعيمهم العظيم ، ولم يشدوا عنه .

الحرمان الاقتصادي

وقابل معاوية الأسرة النبوية بحرمان اقتصادي عقوبة لهم لامتناعهم عن بيعة يزيد ، فقد حبس عنهم العطاء سنة كاملة (٢) ولكن ذلك لم يثنيهم عن عزمهم في شجب البيعة ورفضها .

(١) تاريخ ابن الأثير .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٥٢ ، الامامة والسياسة ١ / ٢٠٠ .

٢ - عبد الرحمن بن أبي بكر

ومن الذين تقموا على بيعته يزيد عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقد
وسمها بأنها هرقلية كلما مات هرقل قام مكانه هرقل آخر (١) وأرسل إليه
معارية مائة الف درهم ليشتري بها ضميره فأبى وقال : لا أبيع ديني (٢) .

٣ - عبد الله بن الزبير

ورفض عبد الله بن الزبير بيعته يزيد ، ووصفه بقوله : « يزيد
الفجور ، ويزيد القرود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد النشوات ، ويزيد
الفلوات » (٣) ولما أجبرته السلطة المحلية في يثرب على البيعة فر منها ،
إلى مكة .

٤ - المنذر بن الزبير

وكره المنذر بن الزبير بيعته يزيد ، وشجبها ، وأدى بحديث له عن
فجور يزيد امام أهل المدينة فقال : « انه قد أجازني بمائة الف ، ولا
يمنى ما صنع بي أن أخبركم خبره والله إنه ليشرب الخمر ، والله إنه ليسكر
حتى يدع الصلاة » (٤) .

٥ - عبد الرحمن بن سعيد

وامتنع عبد الرحمن بن سعيد من البيعة ليزيد ، وقال في هجائه :

(١) الاستيعاب .

(٢) الاستيعاب البداية والنهاية ٨ / ٨٩ .

(٣) انساب الاشراف ٤ / ٣٠ .

(٤) الطبري ٤ / ٣٦٨ .

لست منا وليس خالك منا يا مضيع الصلاة للشهوات (١)

٦ - عابس بن سعيد

ورفض عابس بن سعيد بيعسة يزيد ، حينما دعاه إليها عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال له : « أنا أعرف به منك ، وقد همت دينك بدنياك » (٢) .

٧ - عبد الله بن حنظلة

وكان عبد الله بن حنظلة من أشد الناقمين على البيعة ليزيد ، وكان من الخارجين عليه في وقعة الحرة ، وقد خاطب أهل المدينة فقال لهم : « فو الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن تُرمى بالحجارة من السماء .. إن رجلا ينكح الأمهات والبنات ، ويشرب الخمر ، ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءاً حسناً . . » (٣) وكان يرتجز في تلك الواقعة :

بمدا لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن الا من عصى (٤)

(١) الحسين بن علي ٦ / ٢ .

(٢) القضاة للكندي (ص ٣١٠) .

(٣) طبقات ابن سعد .

(٤) تاريخ الطبري ١٢ / ٧ .

موقف الاسرة الأموية :

ونقمت الأسرة الأموية على معاوية في عقده البيعة ليزيد ، ولكن لم تكن نقمتهم عليه مشفوعة بدافع ديني أو اجتماعي ، وإنما كانت من أجل مصالحهم الشخصية الخاصة ، لأن معاوية قلد ابنه الخلافة وحرّمهم منها ، ونبا يلى بعض الناقلين :

١ - سعيد بن عثمان

وحينما عقد معاوية البيعة ليزيد أقبل سعيد بن عثمان إلى معاوية وقد رفع عقبرته قائلاً :

« علام جعلت ولدك يزيد ولي همدك فوالله لأبني خير من أبيه ، وأمي خير من أمه ، وأنا خير منه ، وقد وليناك فما عزلناك ، وبنا نلت ما نلت . . . »

فراوغ معاوية ، وقال له :

« أما قولك : إن أباك خير من أبيه فقد صدقت ، لعمر الله إن عثمان لخير مني ، وأما قولك : ان أمك خير من أمه فحسب المرأة أن تكون في بيت قومها وأن يرضاها بعلمها ، وينجب ولدها ، وأما قولك : انك خير من يزيد ، فوالله ما يسرني أن لي بيزيد ملء الفوطة ذهباً مثلك وأما قولك : انكم وليتموني فما عزلتموني فما وليتموني انما ولاني من هو خير منكم عمر بن الخطاب فأقرتموني ، وما كنت بشس الوالي لكم ، لقد قتت بشاركم ، وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الأمر فيكم وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم . . . »

وكلمه يزيد قارضاه ، وجعله والياً على خراسان (١) .

٢ - مروان بن الحكم

وشجب مروان بن الحكم البيعة ليزيد ، وتقديمه عليه فقد كان شيخ
الأمويين وزعيمهم ، فقال له :

« اقم يا ابن أبي سفيان : واهداً من تأميرك الصبيان ، واعلم ان لك
في قومك نظراء وان لهم على مناوئتك وزراً » .
فخادعه معاوية وقال له :

« أنت نظير امير المؤمنين بعده ، وفي كل شدة عضده ، فقد
وليتك قومك ، وأعظمتنا في الخراج سهمك ، وإنا مجيرو وفدك وعسنو
وفدك » (٢) .

وقال مروان : لمعاوية « جثتم بها هرقلية تبايعون لأبنائكم (٣) .

٣ - زياد بن أبيه

وكره زياد بن أبيه بيعته معاوية لولده ، وذلك لما عُرِف به من
الاستهتار والخلاعة والمجون ويقول المؤرخون : ان معاوية كتب إليه يدعو
إلى أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد ، وانه ليس أولى من المغيرة بن شعبة ،
فلما قرأ كتابه دعا برجل من أصحابه كان يآتمنه حيث لا يآتمن أحداً غيره
فقال له : اني أريد أن ائتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحائف إئت
معاوية وقل له : يا إمبر المؤمنين ان كتابك ورد علي بكدا ، فماذا يقول

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ١٢٨ .

(٣) الاسلام والحضارة العربية ٢ / ٣٩٥ .

الناس انا دعوتاهم إلى بيعة يزيد ، وهو يلعب بالكلاب والقرود ، ويلبس المصبغ ، ويدمن الشراب ، ويمسي على الدفوف ، ويحضرهم - أي الناس - الحسين بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمر ، ولكن تأمره أن يتخلق باخلاق هؤلاء حولاً أو حولين ، فعماسنا أن نموه على الناس ، وسار الرسول الى معاوية فادى اليه رسالة زياد فاستشاط غضباً ، وراح يتهدده ويقول :

« ويلى على ابن عبيد لقد بلغني أن الحادي جدا له أن الأمير بعدي زياد ، والله لأردنه الى أمه سمية والى أبيه عبيد . » (١) .
هؤلاء بعض الناقدين لمعاوية من الأسرة الأموية وغيرهم في توليته لخليفه يزيد خليفة على المسلمين .

إيقاع الخلف بين الأمويين :

واتبع معاوية سياسة التفريق بين الأمويين حتى يصفو الأمر لولده يزيد ، فقد عزل عامله على يثرب سعيد بن العاص ، واستعمل مكانه مروان بن الحكم ، ثم عزل مروان واستعمل سعيداً مكانه ، وأمره بهدم داره ، ومصادرة أمواله ، فأبى سعيد من تنفيذ ما أمره به معاوية فعزله ، وولى مكانه مروان ، وأمره بمصادرة أموال سعيد وهدم داره فلما هم مروان بتنفيذ ما عهد إليه أقبل إليه سعيد وأطلعه على كتاب معاوية في شأنه فامتنع مروان من القيام بما أمره معاوية ، وكتب سعيد الى معاوية رسالة يندد فيها بعمله وقد جاء فيها :

« العجب مما صنع أمير المؤمنين بنا في قرابتنا له أن يضغن بعضنا

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٩٦ .

على بعض . . فامير المؤمنين في حمله وصبره على ما يكره من الاخبثين ،
وعفوه وادخاله القطيعة بنا ، والشحناء وتوارث الأولاد ذلك « (١) .
وعلق عمر ابو النصر على سياسة التفريق التي تبناها معاوية مع امرته
بقوله :

« إن سبب هذه السياسة هو رغبة معاوية في ايقاع الخلاف بين
اقاربه الذين ينحشون نفوذهم على يزيد من بعده فكان يضرب بعضهم ببعض
حتى يظلوا بحاجة إلى عطفه وعنايته . » (٢) .

تجميد البيعة :

وجمد معاوية رسمياً البيعة ليزيد الى اجل آخر حتى يتم له ازالة
الحواجز والسدود التي تعترض طريقه ، ويقول المؤرخون : انه بعد ما التقى
بعبادة قريش في يثرب واطلع على آرائهم المعادية لما ذهب اليه اوقف كل
نشاط سياسي في ذلك وارجىء العمل الى وقت آخر (٣) .

اعتقال الشخصيات الاسلامية :

ورأى معاوية انه لا يمكن بأي حال تحقيق ما يصبو اليه من تقليد
ولده الخلافة مع وجود الشخصيات الرفيعة التي تتمتع باحترام بالغ في نفوس
المسلمين فعزم على القيام باغتيالهم ليصفوه له الجوف فلا يبقى امامه أي مزاحم

(١) الطبري ٤ / ١٨ .

(٢) السياسة عند العرب (ص ٩٨) لعمر ابو النصر .

(٣) الامامة والسياسة ١ / ١٨٢ .

وقد قام باغتيال الذوات التالية :

١ - سعد بن أبي وقاص

ولسعد المكافاة العليا في نفوس الكثيرين من المسلمين فهو أحد اعضاء الشورى وفاتح العراق ، وقد ثقل مركزه على معاوية فدرس إليه سمأ فمات منه (١) .

٢ - عبد الرحمن بن خالد

واخلص اهل الشام لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأحبوه كثيراً وقد شاورهم معاوية فيمن يعقد له البيعة بعد وفاته ، فقالوا له : رضينا بعبد الرحمن بن خالد ، فشق ذلك عليه وأسرها في نفسه ، ومرض عبد الرحمن ، فأمر معاوية طبيباً يهودياً كان مكيناً عنده ان يأتيه للعلاج فيسقيه سقية تقتله ، فسقاه الطبيب فمات على اثر ذلك (٢) .

٣ - عبد الرحمن بن أبي بكر

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر من اقوى العناصر المعادية لبيعة معاوية لولده ، وقد انكر عليه ذلك ، وبعث إليه معاوية بمائة الف درهم فردها عليه ، وقال : لا ابيع ديني بدنياي ولم يلبث أن مات فجأة بمكة (٣) وتعزو المصادر سبب وفاته الى أن معاوية دس اليه سمأ فقتله .

(١) مقاتل الطالبين (ص ٢٩) .

(٢) الاستيعاب .

(٣) المصدر نفسه .

وقام معاوية باقتراح أعظم جريمة واثم في الاسلام ، فقد عمد إلى اغتيال سبط النبي (ص) وريحانته الامام الحسن (ع) الذي عاهد به بأن يكون الخليفة من بعده . . . ولم يتحرج الطاغية من هذه الجريمة في سبيل انشاء دولة أموية تنتقل بالوراثة إلى أبنائه واعقابه ، وقد وصفه ، الميجر اوزبورن ، بأنه مخادع وذا قلب خال من كل شفقة ، وانه كان لا يتهيب من الاقدام على أية جريمة من أجل أن يضمن مركزه فالقتل احدى وسائله لازالة خصومه وهو الذي دبر تسميم حفيد الرسول (ص) كما تخلص من مالك الأشتر قائد علي بنفس الطريقة (١) .

وقد استعرض الطاغية السفاكين ليعهد إليهم القيام باغتيال ريحانة النبي (ص) فلم ير أحداً خليقاً بارتكاب الجريمة سوى جعيذة بنت الأشعث فانها من بيت قد جبل على المكر وطبع على الغدر والخيانة ، فأرسل إلى مروان بن الحكم سماً فاتكاً كان قد جلبه من ملك الروم ، وأمره بأن يغري جعيذة بالأموال ، وزواج ولده يزيد اذا استجابت له ، وفاوضها مروان سرّاً ، ففرحت ، فأخذت منه السم ، ودسته للامام وكان صائماً في وقت ملتهب من شدة الحر ، ولما وصل إلى جوفه تقطعت أمعاؤه ، والتفت إلى الخبيثة فقال لها :

« قتلتي قتلك الله ، والله لا تصيبين مني خلفاً ، لقد هرك - يعني معاوية - وسخر منك يخزيك الله ، ويخزيه . » .

وأخذ حفيد الرسول (ص) يعاني الآلام الموجهة من شدة السم ،

(١) روح الاسلام (ص ٢٩٥) .

وقد ذهبت نضارته واصفر لونه ، حتى وانه الأجل المحتوم ، وقد ذكرنا
تفصيل وفاته مع ما رافقها من الأحداث في كتابنا (حياة الامام الحسن)

اعلان البيعة رسمياً :

وصفا الجو لمعاوية بعد اغتياله لسبط الرسول (ص) وربحائه ، فقد
قضى على من كان يحد منه ، وقد استتب له الأمور ، وخلت الساحة
من أقوى المعارضين له ، وكتب الى جميع عماله أن يبادروا دونما أي
تأخير الى اخذ البيعة ليزيد ، ويرغموا المسلمين على قبولها ، واسرع الولاة
في اخذ البيعة من الناس ، ومن تخلف عنها نال أقصى العقوبات الصارمة .

مع المعارضين في يثرب :

وامتنعت يثرب من البيعة ليزيد ، واطن زعمائها وعلى رأسهم الامام
الحسين (ع) وفضهم القاطع للبيعة ، ورفعت السلطة المحلية ذلك الى معاوية
ف رأى أن يسافر الى يثرب ليتولى بنفسه اقناع المعارضين ، فان أبوا اجبرهم
على ذلك ، واتجه معاوية الى يثرب في موكب رسمي تحوطه قوة هائلة
من الجيش ، ولما انتهى إليها استقبله أعضاء المعارضة فجفاهم وهددهم
وفي اليوم الثاني ارسل الى الامام الحسين والى عبد الله بن عباس ، فلما
مثلا عنده قابلها بالتكريم والحفاوة ، وأخذ يسأل الحسين (ع) عن ابناء
اخيه والامام يجيبه ثم خطب معاوية فأشاد بالنبي (ص) واثني عليه ،
وعرض الى بيعة يزيد ومنح ابنه الألقاب الفخمة والنموت الكريمة ودعاهما
الى بيعته .

خطاب الامام الحسين :

وانبرى ابي الضيم فحمد الله واثى عليه ثم قال :
و أما بعد : يا معاوية فلن يؤدي المادح وان اطنب في صفة الرسول (ص)
من جميع جزءاً ، وقد فهمت ما لبست به الخلفك بعد رسول الله (ص) من
ايجاز الصفة ، والتتكب عن استبلاغ النعت ، وهيهات هيهات يا معاوية !!
فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج ولقد فضلت
حتى افرطت ، واستأثرت حتى اجحطت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت
حتى جاوزت ، ما بدلت لذي حق من اسم حقه من نصيب ، حتى اخذ
الشیطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكل .

وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله ، وسياسته لأمة محمد (ص)
تريد أن توهم الناس في يزيد كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً ، أو
تخبر عما كان مما احتوته بهلم خاص ، وقد دل يزيد من نفسه على موقف
رأيه ، فخذليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش
والحماس سبق لأتراهن ، والقيان ذوات المعازف ، وضروب الملاهي
تجده ناصراً .

ودع عنك ما تحاول : فما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق
بأكثر مما الت لاقية ، فوالله ما برحت تقدح باطلا في جور ، وحنقا في
ظلم ، حتى ملأت الأسقية ، وما بينك وبين الموت الا حمضة فتقدم على
عمل محفوظ في يوم مشهود ، ولات حين مناص ، ورأيتك عرضت بنا
بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آباؤنا تراثا ، ولعمر الله اورثنا الرسول (ص)
ولادة ، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة
بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل ، وفعلتم الأفاعيل وقلتم : كان

ويكون حتى اتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا
يا أولي الابصار .

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله (ص) وتأميره له ، وقد
كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة يصحبة الرسول وبيعتة له ،
وما صار لعمر الله يومئذ مبعثهم حتى انف القوم امرته ، وكرهوا تقديمه
وعدوا عليه افعاله ، فقال (ص) : لا جرم يا معشر المهاجرين لا يعمل
عليكم بعد اليوم غيري ، فكيف نحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في اوكد
الأحكام ، وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحب
تابعا ، وحولك من لا يؤمن في صحبته ، ولا يعتمد في دينه وقرابته ،
وتنخطاهم الى مسرف مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بهذا
الباقى في دنياه وتشقى بها في آخرتك ، ان هذا هو الخسران المبين ،
واستغفر الله لي ولكم

وفند الامام في خطابه جميع شبهات معاوية وسد عليه جميع الطرق
والنوافذ ، وحمله المسؤولية الكبرى فيما اقدم عليه من ارغام المسلمين على
البيعة لولده ، كما عرض للخلافة وما منيت به من الانحراف عما أرادها الله
من أن تكون في العترة الطاهرة الا ان القوم زوروا عنهم ، وحرفوها عن
معدنها الأصليل .

وذهل معاوية من خطاب الامام ، وضافت عليه جميع السبل فقال

لابن عباس :

« ما هذا يا ابن عباس ؟ » .

« لعمر الله إنها للدرية الرسول (ص) وأحد اصحاب الكساء ،
ومن البيت المطهر قاله : عما تريد ، فان لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله

بامرہ وهو خير الحاكمين . . . (۱) .

ونہض ابي الضمير وترك معاوية يتميز من الغيظ ، وقد استبان له
انه لا يتمكن أن يخذع الامام الحسين ويأخذ البيعة منه .

ارحام المعارضين :

وغادر معاوية يثرب متجهاً الى مكة وهو يطيل التفكير في أمر المعارضين
فراى أن يعتمد على وسائل العنف والارهاب ، وحينما وصل الى مكة
احضر الامام الحسين . وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن أبي بكر
وعبد الله بن عمر وعرض عليهم مرة أخرى البيعة إلى يزيد فاعلنوا رفضهم
لها ، فانبرى إليهم مغضباً وقال :

« اني أتقدم إليكم انه قد اعد من اندر اني كنت أخطب فيكم
فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فاحمل ذلك واصفح ،
واني قائم بمقالة فاقسم بالله لئن رد علي أحدكم كلمة في مقامي هذا
لا ترجم إليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف إلى رأسه ، فلا يسبقني رجل
الا على نفسه . . . » .

ودعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال له : أقم على رأس كل رجل
من هؤلاء ، رجلين ومع كل واحد سيف فان ذهب رجل منهم يرد علي
كلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفيهما ، ثم خرج وخرجوا معه فرقى
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يبتز أمر دونهم ،

(۱) الامامة والسياسة ۱ / ۱۹۵ - ۱۹۶ .

ولا يقضى الا عن مشورتهم ، وانهم رضوا وبايعوا ليزيد ، فبايعوا على اسم الله

فبايعه الناس ، ثم ركب رواحله ، وغادر مكة (١) وقد حسب معاوية ان الأمر قد تم لولده ، واستقر الملك في بيته ، ولم يعلم أنه قد جر الدمار على دولته ، واعد المجتمع للثورة على حكومة ولده .

موقف الامام الحسين :

كان موقف الامام الحسين مع معاوية يتسم بالشدة والصرامة ، فقد أخذ يدعو المسلمين بشكل سافر الى مقاومة معاوية ، ويحذرهم من سياسته الهدامة الحاملة لشارات الدمار الى الاسلام .

وفود الاقطار الاسلامية :

واخذت الوفود تترى على الامام من جميع الاقطار الاسلامية وهي تعج بالشكوى اليه وتستغيث به مما ألم بها من الظلم والجور ، وتطلب منه القيام بانقاذها من الاضطهاد ، ونقلت الاستخبارات في يثرب الى السلطة المحلية تجمع الناس واختلافهم على الامام الحسين ، وكان الوالي مروان فلزع من ذلك وخاف إلى حد بعيد .

(١) الكامل ٣ / ٢٥٢ ، الامالي ٢ / ٧٣ ، ذيل الامالي (ص ١٧٧)

عيون الاخبار ٢ / ٢١٠ البيان والتبيين ١ / ٣٠٠ .

مذكرة مروان لمعاوية :

ورفع مروان مذكرة لمعاوية سجل فيها تخوفه من تحرك الامام ،
واختلاف الناس عليه ، وهذا نصها :
« أما بعد فقد كثرت اختلاف الناس الى حسين ، والله اني لأرى لكم
منه يوماً عصيباً » (١) .

جواب معاوية :

وأمره معاوية بعدم القيام بأي حركة مضادة للامام فقد كتب إليه :
« اترك حسيناً ما تركك ، ولم يظهر لك عداوته ، ويبد صفحته ،
واكمن عنه كمن الثرى ان شاء الله والسلام . . » (٢) .
لقد خاف معاوية من تطور الأحداث ، فعهد الى مروان بعدم التعرض
له بأي أذى أو مكروه .

رأي مروان في ابعاد الامام :

واقترح مروان على معاوية ابعاد الامام عن يثرب وفرض الإقامة
الجبرية عليه في الشام ، ليقطعه عن الاتصال بأهل العراق ، ولم يرتض
معاوية ذلك فرد عليه « اردت والله أن تستريح منه وتبتليني به ، فان
صبرت عليه صبرت على ما أكره وان أسأت اليه قطعت رحمة . . » (٣) .

(١) و (٢) أنساب الاشراف ق ١ ج ١ .

(٣) المقصد الفريد ٢ / ١١٦ .

رسالة معاوية للحسين :

واضطرب معاوية من تحرك الامام واختلاف الناس عليه فكتب إليه رسالة ، وقد رويت بصورتين .

١ - رواها البلاذري وهذا نصها : « أما بعد : فقد انهيت إلي عنك امور إن كانت حقاً فاني لم اظنها بك رغبة عنها ، وإن كانت باطلة فأنت اسعد الناس بمجانبتها ، وبخط نفسك تبدأ ، وبعهد الله توفي فلا تحملي على قطيعتك والاسائة إليك ، فانك متى تنكرني انكرك ، ومتى تكذني اكذك فاتق الله يا حسين في شق عصا الأمة ، وإن تردهم في فتنة . » (١) .

٢ - رواها ابن كثير وهذا نصها : « ان من اعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء ، وقد انبثت أن قوماً من أهل الكوفة قد دعوك الى للشقاق ، وأهل العراق من قد جربت ، قد افسدوا على أهلك وأخيك ، فاتق الله ، واذكر الميثاق فانك متى تكذني اكذك » (٢) .

واحتوت هذه الرسالة حسب النص الأخير على ما يلي :

١ - ان معاوية قد طالب الامام بتنفيذ ما شرطه عليه في بنود الصلح أن لا يخرج عليه ، وقد وفى له الامام بذلك الا ان معاوية لم يف بشيء مما أبرمه على نفسه من شروط الصلح .

٢ - ان معاوية كان على علم بوفود أهل الكوفة التي دعت الامام للخروج عليه وقد وسمهم بأنهم أهل الشقاق وانهم قد غدروا به لي والحسن من قبل .

٣ - التهديد السافر للامام بأنه متى كاد معاوية فإنه يكيده .

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٨ / ١٦٢ .

جواب الامام :

ورفع الامام إلى معاوية مذكرة خطيرة كانت جواباً لرسالته حملة مسؤوليات جميع ما وقع في البلاد من سفك الدماء ، وفقدان الأمن ، وتعريض الأمة للأزمات ، وهي من أروع الوثائق الرسمية التي حفلت بذكر الأحداث التي صدرت من معاوية وهذا نصها :

« أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير ، وإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله تعالى .

أما ما ذكرت أنه رقي إليك عني ، فإنه إنما رقاها إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاؤون . ما أردت لك حرباً ، ولا عليك خلافاً ، وإنني لأخشى الله في ترك ذلك منك ، ومن الاعتذار فيه إليك وإلى أوابائك القاسطين حزب الظلمة .

ألست القاتل حجر بن عدي أنا كئسدة واصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ، ويستعظمون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً ، من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافاً بهده .

أولست قاتل عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ، فقتلته بعد ما أمنته واعطيته ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال .

أولست بمدمعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف ، فزعمت أنه ابن أبيك ، وقد قال رسول الله (ص) : الولد للفراش وللعاهر الحجر

فتركت سنة رسول الله (ص) تعمداً وتبعته هواك بغير هدى من الله
ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل
أعينهم ، ويصلبهم على جذوع النخل ، كأنك لست من هذه الأمة
وليسوا منك .

أولست قاتل الحضرمي الذي كتب فيه إليك زياد أنه على دين علي
كرم الله وجهه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علي ، فقتلهم ،
ومثل بهم بأمرك ، ودين علي هو دين ابن عمه (ص) الذي أجلسك مجلسك
الذي أنت فيه ، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين
رحلة الشتاء والصيف .

وقلت : فيما قلت : انظر لنفسك ودينك ولأمة محمد (ص) واتق
شق عصا هذه الأمة ، وان تردهم الى فتنة ، واني لا اعلم فتنة أعظم على
هذه الأمة من ولايتك عليها ، ولا اعظم لنفسي ولديني ولأمة محمد (ص)
أفضل من ان أجاهرك ، فان فعلت فانه قرابة إلى الله ، وان تركته فاني
استغفر الله لديني ، واسأله توفيقه لارشاد أمري .

وقلت : فيما قلت : إني إن انكرتك تنكرني ، وإن اكدك تكذبني
فكذبني ما بدا لك . فاني أرجو أن لا يضرني كيدك ، وان لا يكون على
أحد أضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على
نقض عهدك .

ولعمري ما وفيت بشرط ، واتقد نقضت عهدك بقبل هؤلاء النفر
الذين قتلتهم بعهد الصلح والايمان والعهود والمواثيق فقتلهم من غير أن
يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم
حقنا ، مخافة أمر لعلمك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل
أن يدركوا :

فابشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن الله تعالى كتاباً لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها . وليس الله بناس لأعدك بالظنة وقنلك أوليائه على التهم ، ونفيك إياهم من دورهم الى دار الغربة واخذك الناس ببيعة ابنك الغلام الحدث يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ما أراك الا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك (١) وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفه الجاهل واخفت الورع التقى والسلام ، (٢) .

لا اكاد أعرف وثيقة سياسية في ذلك العهد عرضت لعبث السلطة وسجلت الجرائم التي ارتكبتها معاوية ، والدماء التي سفكها ، والنفوس التي أربعها غير هذه الوثيقة ، وهي صرخة في وجه الظلم والاستبداد ، والله كم هي هذه الكلمة رفيعة شاعرة (كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك) هذه الكلمة المشبعة بالشعور القومي الشريف وقديماً قال الصابي : « إن الرجل من قوم ليست له أعصاب تقسو عليهم ، وهو اتهام من الحسين لمعاوية في وطنيته وقوميته ، واتخذ من الدماء الغزيرة المسفوكة عنواناً على ذلك » (٣) . لقد حفلت هذه المذكرة بالأحداث الخطيرة التي اقترفها معاوية وعماله خصوصاً زياد بن سمية الذي نشر الارهاب والظلم بين الناس فقتل على الظنة والتهمة ، واعلم كل من كان على دين الامام امير المؤمنين الذي هو دين ابن عمه رسول الله (ص) وقد اسرف هذا الطاغية في سفك الدماء بغير حق ، ومن الطبيعي انه لم يقترف ذلك الا بايعاز من معاوية فهو الذي عهد إليه بذلك :

(١) تبرت : اهلكت دينك .

(٢) الامامة والسياسة ١ / ٢٨٤ ، رجال الكشي (ص ٣٢)

الدرجات الرفيعة (ص ٣٣٤) .

(٣) الامام الحسين (ص ٣٣٨) .

صدى الرسالة :

ولما انتهت رسالة الامام الى معاوية ضاق بها ذرعاً ، وراح يراوغ على عادته ويقول : « ان أثرتنا بأبي عبد الله الا أسدأ ، (١) .

المؤتمر السياسي العام :

وعقد الامام في مكة مؤتمراً سياسياً عاما دعا فيه جمهوراً غفيراً ممن شهد موسم الحج من المهاجرين والانصار والتابعين وغيرهم من سائر المسلمين فانبرى (ع) خطيباً فيهم ، وتحدث ببيان بما ألم بعثرة النبي (ص) وشيعتهم من المحن والخطوب التي صبها عليهم معاوية وما اتخذته من الاجراءات المشددة من اخفاء فضائلهم ، وستر ما أثر عن الرسول الأعظم في حقهم والزم حضار مؤتمره باذاعة ذلك بين المسلمين ، وفيما يلي نص حديثه فيما رواه سليم بن قيس قال :

« ولما كان قبل موت معاوية بسنة حج الحسين بن علي ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، فجمع الحسين بنى هاشم ونساءهم ومواليهم ، ومن حج من الأنصار ممن يعرفهم الحسين وأهل بيته ، ثم أرسل رسلا ، وقال لهم : لا تدعوا أحداً حج العام من أصحاب رسول الله (ص) المعروفين بالصلاح والنسك الا اجمعوهم لي ، فاجتمع إليه بمئى اكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادق ، عامتهم من التابعين ، ونحو من مائتى رجل من اصحاب النبي (ص) فقام فيهم خطيباً « فحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فان هذا الطاغية - يعني معاوية - قد فعل بنا وبشيعتنا

(١) سير الاعلام النبلاء ٣ / ١٩٨ .

ما قد رأيتم ، وعلمتم وشهدتم ، واني أريد أن اسألكم عن شيء فان صدقت
فصدقوني ، وإن كذبت فكذبوني ، اسمعوا مقالتي ، واكتبوا قولي ، ثم
ارجعوا إلى امصاركم وقبائلكم ، فمن أمنتكم من الناس ، ووثقتكم به فادعوهم
إلى ما تعلمون من حقنا ، فاني أتخوف أن يدرس هذا الأمر ويغلب ،
والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وماترك شيئاً مما أنزله الله فيهم من القرآن الا تلاه وفسره ولا شيئاً
مما قاله رسول الله (ص) في أبيه وأخيه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه .
وكل ذلك يقول أصحابه : اللهم نعم ، قد سمعنا وشهدنا ، ويقول
التابعي : اللهم قد حدثني به من أصدقه وأثمنه من الصحابة فقال (ع) .
« أنشدكم الله الا حدثتم به من تنقون به وبدينه . . » (١) .
وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر اسلامي عرفه المسلمون في ذلك الوقت
وقد شجب فيه الامام سياسة معاوية ودعا المسلمين لاشاعة فضائل أهل
البيت (ع) ، واذاعة مآثرهم التي حاولت السلطة حجبتها عن المسلمين .

رسالة جمعة للامام :

وكان جمعة بن هبيرة بن أبي وهب من اخلص الناس للامام الحسين
عليه السلام ، واكثرهم مودة له وقد اجتمعت عنده الشيعة ، وأخذوا
يلحون عليه في مراسلة الامام للقدوم الى مصرهم ليعلم الثورة على حكومة
معاوية ، ورفع جمعة رسالة للامام وهذا نصها :
« أما بعد : فان من قبلنا من شيعتك متطلعة انفسهم اليك ، لا يعدلون
بك أحداً ، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن اخيك في الحرب . وعرفوك باللين

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢١٦ - ٢١٧ .

لأوليائك والغلظة على أعدائك ، والشدة في أمر الله ، فإن كنت تحب
أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا فقد وطننا أنفسنا على الموت معك . . .

جواب الامام :

ولم يكن من رأي الامام الحسين الخروج على معاوية ، وذلك لعلمه
بفشل الثورة وعدم نجاحها ، فان معاوية بما يملك من وسائل دبلوماسية
وعسكرية لا بد أن يقضي عليها ، ويخرجها من اطارها الاسلامي الى حركة
غير شرعية ويوسم القائمين بها بالتمرد والخروج على النظام ، وقد اجابهم
عليه السلام بعد البسملة والثناء على الله بما يلي :

« أما اخي فاني ارجو أن يكون الله قد وفقه وسدده ، وأما أنا
فليس رأيي اليوم ذاك ، فالصقوا رحمكم الله بالأرض ، واكمثوا في
البيوت واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً ، فإن يحدث الله به حدثاً
وأنا حي كتبت إليكم برأيي والسلام . . . (١) .

لقد أمر (ع) شيعته بالخسوف إلى الصبر والامسك عن المعارضة ،
وأن يلزموا بيوتهم خوفاً عليهم من سلطان معاوية الذي كان يأخذ البريء
بالسقيم والمقبل بالمدبر ويقتل على الظنة والتهمة ، واكبر الظن ان هذه
الرسالة كانت في عهد زياد الذي سمل عيون الشيعة ، وصلبهم على جذوع
النخل ودمرهم تدميراً ساحقاً .

(١) الأخبار الطوال (ص ٢٠٣) انساب الأشراف ج ١ ق ١

نصيحة الخلدري للامام :

وشاعت في الأوساط الاجتماعية أنباء وفود أهل الكوفة ، على الامام الحسين (ع) واستنجادهم به لانقاذهم من ظلم معاوية وجوره ، ولما علم ابو سعيد الخلدري بذلك خف مسرعاً للامام ينصحه ويحذره ، وهذا نص حديثه : يا أبا عبد الله اني انا ناصح ، واني عليكم مشفق ، وقد بلغني أنه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة ، يدعونكم الى الخروج إليهم ، فلا تخرج إليهم ، فاني سمعت أباك يقول بالكوفة ، والله لقد مللتهم ، وابغضتهم وملوني وأبغضوني ، وما يكون منهم وفاء قط ، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخبب ، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر ، ولا صبر على السيف ، (١) وليس من شك في أن أبا سعيد الخلدري كان من ألع أصحاب الامام امير المؤمنين وأكثرهم إخلاصاً وولاءاً لأهل البيت ، وقد دفعه حرصه على الامام الحسين ، وخوفه عليه من معاوية أن يقوم بالنصيحة له في عدم خروجه على معاوية ، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا جواب الامام الحسين له .

استيلاء الحسين على اموال للدولة :

وكان معاوية ينفق اكثر اموال الدولة على تدعيم ملكه ، كما كان يهب الأموال الطائلة لبني أمية لتقوية مركزهم السياسي والاجتماعي ، وكان الامام الحسين يشجب هذه السياسة ، ويرى ضرورة انقاذ الأموال من معاوية والفاقها على المحتاجين ، وقد اجتازت على يثرب أموال من اليمن الى خزينة دمشق ، فعمد الامام الى الاستيلاء عليها ، ووزعها على

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٦١ ، تأريخ ابن عساکر ١٣ / ٦٧ .

المحتاجين من بني هاشم وغيرهم وكتب الى معاوية :
 « من الحسين بن علي الى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإن
 عبراً مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللاً وعنبراً وطيباً إليك ، لتودعها
 خزائن دمشق ، وتعل بها بعد النهل بني أبيك ، واني احتجت إليها
 فأخذتها والسلام . . . » .

وأجابه معاوية

« من عبد الله معاوية الى الحسين بن علي ، أما بعد : فإن كتابك
 ورد علي تذكر ان عبراً مرت بك من اليمن تحمل مالا ، وحللاً وعنبراً
 وطيباً إلي لأودعها خزائن دمشق ، واعل بها بعد النهل بني أبي ، وانك
 احتجت إليها فأخذتها ، ولم تكن جديراً بأخذها اذ نسبتها إلي لأن الوالي
 أحق بالمال ، ثم عليه المخرج منه ، وايم الله لو تركت ذلك حتى صار إلي
 لم ابخسك حظك منه ولكنني قد ظننت يا بني ان في رأسك نزوة ،
 وبودي أن يكون ذلك في زمانني فاعرف لك قدرك ، واتجاوز عن ذلك
 ولكنني والله اتخوف أن تبلى بمن لا ينظر فواق ناقة . » .

وكتب في اسفل كتابه هذه الأبيات :

يا حسين بن علي ليس ما	جئت بالسائغ يوماً والعلل
أخذك المال ولم تؤمر به	ان هذا من حسين لعجل
قد اجزناها ولم نغضب لها	واحتملنا من حسين ما فعل
يا حسين بن علي ذا الأمل	لك بعدي وثبة لا تحتمل
وبودي انني شاهدهما	فاليها منك بالخلق الأجل
انني أرهب ان تصل بمن	عنده قد سبق السيف العدل (١)

(١) شرح نهج البلاغة ٤ / ٣٢٧ الطبعة الأولى .

وفي هذا الكتاب تهديد للإمام بن يخلف معاوية وهو ابنه يزيد الذي لا يؤمن بمقام الحسين ومكانته من رسول الله (ص) .
وعلى أي حال فقد قام الامام بانقاذ هذه الأموال من معاوية وانفقها على الفقراء في حين أنه لم يكن يأخذ لنفسه أي صلة من معاوية ، وقد قدم له مالا كثيراً وثياباً وافرة وكسوة فاخرة فرد الجميع عليه (١) ، وقد روى الامام موسى بن جعفر (ع) ان الحسن والحسين كانا لا يقبلان جوائز معاوية (٢) .

حديث موضوع :

من الأخبار الموضوعة ما روي ان الامام الحسين وقد مع أخيه الحسن على معاوية فأمر لها بمائة ألف درهم وقال لهما :
« خذها وأنا ابن هند ، ما اعطاها أحد قبلي ، ولا يعطيها أحد بعدي . . . » .

فانبرى إليه الامام الحسين قائلاً :

« والله ما أعطى أحد قبلك ولا بعدك لرجلين اشرف منا . . . » .
ولا مجال للقول بصحة هذه الرواية فان الامام الحسين (ع) لم يفد على معاوية بالشام ، وانما وفد عليه الامام الحسن (ع) لا لأجل الصلة والعطاء كما يذهب لذلك بعض السذج من المؤرخين ، وانما كان الغرض ابراز الواقع الأموي ، والتدليل على مساوية معاوية ، كما اثبتت ذلك

(١) الحسين ١ / ١١٧ لعلي جلال .

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٣٣٢ .

مناظراته مع معاوية وبطانته ، والتي لم يقصد فيها الا تلك الغاية ، وقد
أوضحنا ذلك بصورة مفصلة في كتابنا (حياة الامام الحسن) .

الحسين مع بني أمية :

كانت المداوة بين الحسين وبين بني أمية ذاتية فهي عداوة الضد
للضد ، وقد سأك سعيد الهمداني الامام الحسين عن بني أمية فقال (ع)
« إنا وهم الخصمان اللذان اختصما في ربهم . . . » (١) .

أجل انها خصمان في أهدافهما ، وخصمان في اتجاههما ، فالحسين (ع)
كان يمثل جوهر الايمان بالله ، ويمثل القيم الكريمة التي يشرف بها الانسان
وبنو أمية كانوا يمثلون مساوئ الجاهلية التي تهبط بالانسان الى مستوى
سحق وكان الأمويون بحسب طباعهم الشريرة ، يحقدون على الامام الحسين
ويبالغون في توهينه ، وقد جرت منازعة بين الحسين وبين الوليد بن عتبة بن
أبي سفيان في مال كان بينهما فتحامل الوليد على الحسين في حقه ، فثار
الامام في وجهه وقال :

« احلف بالله لتنصفني من حقي أو لاخذن سيفي ، ثم لأقومن في
متجد رسول الله (ص) وادعون بحلف الفضول . . . » .

لقد أراد أن يحبي حلف الفضول الذي أسسه الهاشميون والذي كان
شماره انصاف المظلومين والأخذ بمقوقهم ، وقد حاربه الأمويون في جاهليتهم
لأنه يتنافى مع طباعهم ومصالحهم .

وانبرى عبد الله بن الزبير فانضم للحسين وانتصر له وقال :

(١) الكنى والأسماء ١ / ٧٧ لأبي بشر الدولابي .

« وأنا احلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى
ينتصف من حقه أو نموت جميعاً . . » .

وبلغ المسور بن مخزوم بن نوفل الزهري الحديث فانضم للحسين ،
وقال بمثل مقالته وشعر الوليد بالوهن والضعف ، فتراجع عن هيبه ، وانصف
الحسين (ع) من حقه (١) .

ومن الوان الحقود الأموي على الحسين أنه كان جالساً في مسجد
النبي (ص) فسمع رجلاً يحدث أصحابه ، ويرفع صوته ليستمع الحسين
وهو يقول :

« انا شاركننا آل أبي طالب في النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا
منها من السبب والنسب ، ونلنا من الخلافة ما لم ينالوا فبمّ يفخرون علينا ؟ » .
وكرر هذا القول ثلاثاً ، فأقبل عليه الحسين فقال له : اني كفلت
عن جوابك في قولك الأول حليماً ، وفي الثاني همدواً ، وأما في الثالث
فاني مجيبك اني سمعت أبي يقول : ان في الوحي الذي أنزله الله على
محمد (ص) اذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صور الدر
يظلمهم الناس حتى يفرغ من الحساب ثم يؤتى بهم فيحاسبوا ، ويصار بهم
الى النار (٢) ولم يطق الأموي جواباً وانصرف وهو يتميز من الغيظ . .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن موقف الامام مع معاوية وبني أمية ، وتعرض
فيما يلي الى وفاة معاوية وما رافقها من الأحداث .

(١) سيرة ابن هشام ١ / ١٤٢ .

(٢) المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصري (ص ٦١) :

مرض معاوية :

ومرض معاوية وتدهورت صحته ، ولم تجد معه الصفات الطبية ، فقد تناهيت جسمه الأمراض ، وفقد شعر بدنو اجله ، وكان في حزن على ما اقترفه في قتله لحجر بن عدي فكان ينظر إليه شبيحاً مخيفاً ، وكان يقول : ويلبي منك يا حجر ! إن لي مع ابن عدي ليوما طويلا (١) وتحدث الناس عن مرضه ، فقالوا إنه الموت ، فأمر أهله أن يحشوا عينيه ائماً ، ويسبغوا على رأسه الطيب ، ويجلسوه ثم أذن للناس فدخلوا وسلموا عليه قياماً فلما خرجوا من عنده أنشد قائلاً :

وتجلدي للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا اتضعضع
فسمعه رجل من العلويين فأجابه .

وإذا المنيسة أنشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع (٢)

وصاياہ :

ولما ثقل حال معاوية عهد بوصيته إلى يزيد ، وقد جاء فيها « يا بني اني قد كفيتك الشر والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت لك الأعداء واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فانظر أهل الحجاز فانهم أصلك ، واكرم من قدم عليك منهم ، وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق فان سألك أن تعزل كل يوم عاملاً فافعل فان عزل عامل

(١) الفتنة الكبرى ٢ / ٢٤٥ .

(٢) حياة الحيوان للدميري ١ / ٥٩ .

أيسر من أن يشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهمل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك ، فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا أصبتهم فأردد أهل الشام الى بلادهم فان أقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم . . واني لست اخاف عليك أن ينازعك في هذا الأمر الا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن ابن أبي بكر ، فاما ابن عمر فانه رجل قد وقلته العبادة ، فاذا لم يبق احد غيره بايعك واما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ، ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه ، فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من محمد ، وأما ابن ابي بكر فان رأى اصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ليس له همة الا في النساء واللهو ، واما الذي يجشم لك جنوم الأسد ، وبراوغك مراوغة الثعلب فان أمكته فرصة وثب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها بك فظفرت به فقطعه ارباً ارباً واحقن دماء قومك ما استطعت . . . (١) .

واكبر الظن ان هذه الوصية من الموضوعات فقد افتمت لاثبات حلم معاوية وانه عهد الى ولده بالاحسان الشامل الى المسلمين وهو خير مسؤول عن تصرفاته . . . ومما يؤيد وضعها ما يلي :

١ - ان المؤرخين رووا أن معاوية أوصى يزيد بغير ذلك فقال له : ان لك من أهل المدينة يوماً فان فعلوا ما فارمهم بمسلم بن عقبة فانه رجل قد عرفنا نصيحته (٢) وكان مسلم بن عقبة جزاراً جلاباً لا يعرف الرحمة والرأفة ، وقد استعمله يزيد بعهد من أبيه في واقعة الحرة فاقترب كل موبقة

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٥٩ .

(٢) تاريخ خليفة خياط ١ / ٢٢٩ .

واثم ، فكيف تلتقي هذه الوصية بتلك الوصية التي عهد فيها بالاحسان الى أهل الحجاز .

٢ - انه اوصاه برعاية عواطف العراقيين ، والاستجابة لهم اذا سألوه في كل يوم عزل من ولاة عليهم ، وهذا يتنافى مع ما ذكره المؤرخون انه عهد بولاية العراق الى عبيد الله بن زياد ، وهو يعلم شدته وصرامته وغدره ، فهو ابن زياد الذي أغرق العراق بدماء الأبرياء فهل العهد إليه بولاية العراق من الاحسان الى العراقيين والبر بهم ؟ ! !

٣ - انه جاء في هذه الوصية انه يتخوف عليه من عبد الله بن عمر وقد وصفه بأنه قدس وقلته العبادة ، واذا كان كذلك فهو بطبيعة الحال منصرف عن السلطة والمنازعات السياسية فما معنى التخوف منه ؟ ! !

٤ - انه جاء في هذه الوصية انه يتخوف عليه من عبد الرحمن بن أبي بكر ، وقد نص المؤرخون انه توفي في حياة معاوية ، فما معنى التخوف عليه من انسان ميت ؟

٥ - انه اوصاه برعاية الحسين (ع) وان له رحمة ماسة وحقاً عظيماً وقرابة من رسول الله (ص) ومن المؤكد ان معاوية بالذات لم يرع أي جانب من جوانب القرابة من رسول الله ، فقد قطع جميع أواصرها فقد فرض سبها على رؤوس الاشهاد ، وعهد إلى لجان التربية والتعليم بتربية النشء بيفض أهل البيت ، ولم يتردد في ارتكاب أي وسيلة للحط من شأنهم ، وقد علق الاستاذ عبد الهادي المختار على هذه الفقرات من الوصية بقوله :

« وتقول بعض المصادر ان معاوية أوصى ولده يزيد برعاية الحسين والذي نعتقه أنه لا أثر لها من الصحة ، فان معاوية لم يتردد في اغتيال

الامام الحسن حتى بعد ما بايعه ، فكيف يوصي ولده بالمفوء عن الحسين ان ظفر به .

لم يكن معاوية بالذي يرمى لرسول الله (ص) حرمة أو قرابة حتى يوصي ابنه برعاية آل محمد ، كلا ابدأ فقد حارب الرسول في الجاهلية حتى أسلم كرها يوم فتح مكة ، ثم حارب صهر الرسول وخليفته وابن عمه علياً ، ونزا على خلافة المسلمين ، وانزاعها قهراً ، وسم ابن بنت الرسول الحسن ، فهل يصدق بعد هذا كله أن يوصي بمثل ما أوصى به .

قد يكون أوصاه أن يقتله سراً ويدس له السم ، أو يبعث له من يطعنه بلبل - ربما كان هذا الفرض اقرب الى الصحة من تلك الوصية - ولكن المؤرخين سألهم الله أرادوا أن يبرؤا ساحة الأب ، ويلقوا جميع التبعات على الابن وهما في الحقيقة غرس اثم واحد وثمرة جريمة واحدة وأضاف يقول :

ولو ان الوصية المزعومة كانت صحيحة لما كان يزيد لاهم له بعد موت أبيه الا تحصيل البيعة من الحسين وتشديده على عامله بالمدينة بلزوم اجبار الحسين على البيعة . (١) .

موت معاوية :

واستقبل معاوية الموت غير مطمئن فكان يتوجع ويظهر الجزع على ما اقترفه من الاسراف في سفك دماء المسلمين ونهب أموالهم ، وقد وافاه الأجل في دمشق محروماً عن رؤية ولده الذي اغتصب له الخلافة وحمله

(١) مجلة الغري السنة الثامنة العدد ٩ و ١٠ .

على رقاب المسلمين ، وكان يزيد فيما يقول المؤرخون مشغولا عن أبيه
- في اثناء وفاته - برحلات الصيد وعريجات السكر ، ونعمة العيدان .
وبهذا ينتهي بنا الحديث عن حكومة معاوية ، وما رافقها من
الأحداث الجسام .

حُكُومَةُ يَزِيدٍ

وتسلم يزيد بعد هلاك أبيه قيادة الدولة الاسلامية ، وهو في حضارة
العمر ، لم تهذبه الأيام ولم تصقله التجارب ، وإنما كان - فيما اجتمع عليه
المؤرخون - موفور الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء وكلاب الصيد
ومعناً كل الامعان في اقرار المنكر والفحشاء ، ولم يكن حين هلاك أبيه
في دمشق ، وإنما كان في رحلات الصيد في حوارين الثنية (١) فأرسل
إليه الضحاك بن قيس رسالة يعزیه فيها بوفاة معاوية ، ويهنئه بالخلافة ،
ويطلب منه الاسراع الى دمشق ليتولى أزمة الحكم ، وحينما قرأ الرسالة اتجه
فوراً نحو عاصمته في ركب من أخواله ، وكان ضخماً كثير الشعر ،
وقد شعث في الطريق وليس عليه عمامة ، ولا متقلداً بسيف ، فأقبل الناس
يسلمون عليه ، ويعزونه ، وقد عابوا عليه ما هو فيه ، وراحوا يقولون :
« هذا الاعرابي الذي ولاه معاوية أمر الناس ، والله سأله عنه » (٢)
واتجه نحو قبر أبيه فجلس عنده وهو باك العين ، وانشأ يقول :
جاء البريد بقرطاس يخب به فاجس القلب من قرطاسه فزها
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم قال الخليفة أمسى مدنفا وجما (٣)
ثم سار متجهاً نحو القبة الخضراء في موكب رسمي تحف به حلوج
أهل الشام وأخواله وسائر بني أمية .

(١) الفتح ٤ / ٢٦٥ .

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٢٦٧ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦١ .

خطاب العرش :

واتجه يزيد نحو منصة الخطابة ليملن للناس سياسته ، ومخططات
حكومته ، فلما استوى عليها ارتج عليه ، ولم يطق الكلام ، فقام اليه
الضحاك بن قيس ، فصاح به يزيد ما جاء بك ؟ قال له الضحاك : كلم
الناس وخذ عليهم ، فأمره بالجلوس (١) ، وانبرى خطيباً فقال :
« الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء منع ، ومن شاء خفض
ومن شاء رفع ان امير المؤمنين - يعني معاوية - كان حبلا من حبال الله
مده ، ما شاء أن يمهده ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من
قبله ، وخيراً مما يأتي بعده ، ولا أزيه عند ربه وقد صار إليه ، فان
يعف عنه فبرحمته وإن يعاقبه فبلذنه ، وقد وليت بعده الأمر ولست اعتذر
من جهل ، ولا اتى على طلب علم ، وعلى رسلكم اذا كره الله شيئاً غيره
واذا أحب شيئاً يسره . . . » (٢) .

ولم يعرض يزيد في هذا الخطاب لسياسة دولته ، ولم يدل بأي شيء
مما تحتاج إليه الأمة في مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية ، ومن المقطوع به
ان ذلك مما لم يفكر به ، وانما عرض لطيشه وجبروته واستهانتة بالأمة فهو
لا يعتذر اليها من أي جهل يرتكبه ، ولا من سيئة يقترفها ، وانما على
الأمة الاذعان والرضا لظلمه وبطشه .

(١) تاريخ الخلفاء ، نشر اكااديمية العلوم للاتحاد السوفيتي

(٢) العقد الفريد ٤ / ١٥٣ هـ يون الاخبار ٢ / ٢٣٩ :

خطابه في أهل الشام :

وخطب في أهل الشام خطاباً أعلن فيه عن عزمه وتصميمه على الخوض في حرب مدمرة مع أهل العراق ، وهذا نصه :

« يا أهل الشام فان الخير لم يزل فيكم ، وسيكون بيني وبين أهل العراق حرب شديد ، وقد رأيت في منامي كأن نهراً يجري بيني وبينهم دماً عبيطاً ، وجعلت أجهد في منامي أن أجوز ذلك النهر فلم أقدر على ذلك حتى جاءني عبيد الله بن زياد فجازره بين يدي ، وأنا أنظر إليه . . » .

وانبرى أهل الشام فأعلنوا تأييدهم ودعمهم الكامل له قائلين :

« يا امير المؤمنين امض بنا حيث شئت ، واقدم بنا على من أحببت فنحن بين يديك ، وسيوفنا تعرفها أهل العراق في يوم صفين . . » .

فشكرهم يزيد واثق على اخلاصهم وولائهم له (١) وقد بات من المقطوع به عند أوساط الشام ان يزيد سيعلم الحرب على أهل العراق لكرامتهم لبيعته ، وتجاوبهم مع الامام الحسين .

مع المعارضة في يثرب :

ولم يرق ليزيد أن يرى جبهة معارضة ، لا تخضع لسلطانه ، ولا تدبر بالولاء للحكومة وقد عزم على التكنيل بها بغير هوادة ، فقد استتب له الأمور وخضعت له الرقاب ، وصارت أجهزة الدولة كلها بيده فما الذي يمنعه من ارغام اعدائه ومناوئيه .

وأهم ما كان يفكر به من المعارضين الامام الحسين (ع) لأنه يتمتع

(١) الفروع ٥ / ٦ .

بنفوذ واسع النطاق ، ومكانة مرموقة بين المسلمين فهو حفيد صاحب الرسالة
وسيد شباب أهل الجنة ، أما ابن الزبير فلم تكن له تلك الأهمية البالغة في نفسه .

الاورامر المشددة الى الوليد :

وأصدر يزيد أوامره المشددة الى عامله على يثرب الوايد بن عتبة
بارغام المعارضين له على البيعة ، وقد كتب إليه رسالتين :
الأولى وقدرويت بصورتين وهما :

١ - رواها الخوارزمي وهذا نصها : أما بعد : فان معاوية كان
عبداً من عباد الله أكرمه ، واستخلصه ، ومكن له ثم قبضه الى روحه
وريحانه ورحمته ، عاش بقدر ومات بأجل ، وقد كان عهد إلي وأوصاني
بالخذر من آل أبي تراب لجرأتهم على سفك الدماء ، وقد علمت يا وليد
ان الله تبارك وتعالى منتقم للمظلوم عثمان بآل أبي سفيان لأنهم أنصار الحق
وطلاب العدل فاذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة على أهل المدينة ، (١) .
وقد احتوت هذه الرسالة على ما يلي :

١ - نعي معاوية إلى الوليد

٢ - تخوف يزيد من الأسرة النبوية لانه قد عهد إليه أبوه بالخذر
منها ، وهذا يتنافى مع تلك الوصية المزعومة لمعاوية التي جاء فيها اهتمامه
بشأن الحسين (ع) والزام والده بتكريمه ورعاية مقامه .

٣ - الاسراع في اخذ البيعة من أهل المدينة :

٢ - رواها البلاذري ، وهذا نصها : « أما بعد : فان معاوية بن
أبي سفيان كان عبداً من عباد الله أكرمه الله ، واستخلفه ، وخوله ،

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٧٨ .

ويمكن له فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمة الله عليه ، فقد عاش محموداً ومات برأً تقياً والسلام . . . ، (١) :

واكبر الظن ان هذه الرواية هي الصحيحة فالها قد اقتضت على نعي معاوية الى الوليد من دون أن تعرض إلى أخذ البيعة من الحسين وغيره من المعارضين ، اما على الرواية الأولى ، فانه يصبح ذكر الرسالة التالية - التي بعثها يزيد الى الوليد لارغام الحسين على البيعة لغواً .

الثانية : رسالة صغيرة ، وصفت كأنها اذن فأرة ، وقد رويت

بثلاث صور :

١ - رواها الطبري والبلاذري ، وهذا نصها : « أما بعد ، فخذ حسيناً ، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام » (٢) .

٢ - رواها اليعقوبي وهذا نصها : « إذا أتاك كتابي فاحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما ، وابعث إلي برؤوسهما وخذ الناس بالبيعة فمن امتنع فانفذ فيه الحكم ، وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام » (٣) .

وليس في الرواية الثانية ذكر لعبد الله بن عمر ، واكبر الظن أنه أضيف اسمه الى الحسين وابن الزبير لالحاقه بالجبهة المعارضة وتبريره من التأييد السافر لبيعة يزيد .

٣ - رواها الحافظ ابن عساكر ، وهذا نصها : « إن ادع الناس

(١) انساب الأشراف ج ١ ق ١ ص ١٢٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٨٤ انساب الأشراف ج ١ ق ١ ص ١٢٤

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٥ .

فبايعهم ، وابدأ بهوجوه قريش وليكن اول من تبدأ به الحسين بن علي فان أمير المؤمنين - يعني معاوية - عهد إلي في أمره الرفق واستصلاحه ، (١) وليس في هذه الرواية ذكر لابن الزبير وابن عمر اذ لم تكن لهما أية أهمية في نظر يزيد إلا انا نشك فيما جاء في آخر هذه الرسالة من أن معاوية قد عهد إلى يزيد الرفق بالحسين واستصلاحه ، فان معاوية قد وقفت موقفاً ايجابياً يتسم بالعداء والكراهية لعمرم أهل البيت (ع) واتخذ ضدهم جميع الاجراءات القاسية كما المعنا الى ذلك في البحوث السابقة ، واكبر الظن ان هذه الجملة قد اضيفت إليها لتبرير معاوية ، ونفي للمسئولية عنه فيما ارتكبه ولده من الجرائم ضد العترة الطاهرة :

بفي هنا شيء وهو ان هذه الرسالة قد وصفها المؤرخون كأنها اذان فأرة لصغرهما ولعل السبب في ارسالها بهذا الحجم هو ان يزيد قد حسب ان الوليد سيتفقد ما عهد إليه من قتل الحسين وابن الزبير ، ومن الطبيعي ان لذلك كثيراً من المضاعفات السيئة ومن أهمها ما يلحقه من التدمير والسخط الشامل بين المسلمين فأراد أن يجعل التبعة على الوليد ، وأنه لم يعهد إليه بقتلها ، وانه لو أمره بذلك لاصدر مرسوماً خاصاً مطولاً به .

وحمل الرسالتين زريق مولى معاوية فاخذ يجلد في السير لا يلوي على شيء حتى انتهى الى يثرب (٢) وكان معه عبد الله بن سعد بن أبي سرح مثلثاً لا يبدو منه الا عيناه فصادفه عبد الله بن الزبير فاخذ بيده وجعل

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٨ =

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٢٦٩ ، تاريخ خليفة خياط ١ / ٢٢٢

وجاء في تاريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٨ وكتب يزيد مع عبد الله بن عمر ، وابن ادريس العامري عامر بن لؤي هذه الرسالة .

يسأله عن معاوية وهو لا يجيبه ، فقال له : امانت معاوية ؟ فلم يكلمه بشيء فاعتقد بموت معاوية ، وقفل مسرعاً الى الحسين وأخبره الخبر (١) ، فقال له الحسين : إني أظن ان معاوية قد مات ، فقد رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس ، ورأيت داره تشتعل ناراً فأولت ذلك في نفسي بموته (٢) :

واقبل زريق الى دار الوليد فقال للحاجب استأذن لي ، فقال قد دخل ولا سبيل إليه ، فصاح به زريق : انى جئته بأمر ، فدخل الحاجب وأخبره بالأمر فأذن له ، وكان جالساً على سرير فلما قرأ كتاب يزيد بوفاة معاوية جزع جزعاً شديداً ، وجعل يقوم على رجليه ، ويرمي بنفسه على فراشه (٣) .

فزع الوليد :

وفزع الوليد مما عهد إليه يزيد من التنكيل بالمعارضين ، فقد كان على يقين من أن أخذ البيعة من هؤلاء النفر ليس بالأمر السهل ، حتى يقابلهم بالعنف ، او يضرب أعناقهم - كما أمره يزيد - ان هؤلاء النفر لم يستطع معاوية مع ما يتمتع به من القابليات الدبلوماسية أن يخضعهم لبيعة يزيد ، فكيف يصنع الوليد أمراً عجز عنه معاوية .

(١) شرح نهج البلاغة ٢ / ١١٥ :

(٢) الفتوح • / ١٤ :

(٣) تاريخ خليفة خياط ١ / ٢٢٢ .

استشارته لمروان :

وحار الوليد في امره فرأى انه في حاجة الى مشورة مروان عميد الأسرة الأموية فبعث خلفه ، فاقبل مروان وعليه قميص أبيض وملأه موردة (١) فنعى إليه معاوية فجزع مروان وعرض عليه ما أمره يزيد من ارغام المعارضين على البيعة له واذا اصرروا على الامتناع فيضرب أعناقهم ، وطلب من مروان أن يمنحه النصيحة ، ويخلص له في الرأي .

رأي مروان :

واشار مروان على الوليد فقال له : ابعث إليهم في هذه الساعة فتدعوهم الى البيعة والدخول في طاعة يزيد ، فان فعلوا قبلت ذلك منهم ، وان ابوا قدمهم ، واضرب أعناقهم قبل أن يدروا بموت معاوية ، فانهم إن علموا ذلك وثب كل رجل منهم فظاهر الخلاف ، ودعا إلى نفسه ، فعند ذلك اخاف أن يأتيك من قبلهم مالا قبل لك به ، الا عبد الله بن عمر فانه لا ينازع في هذا الأمر أحداً . . مع اني اعلم ان الحسين بن علي لا يجيبك إلى بيعة يزيد ، ولا يرى له عليه طاعة ، ووالله لو كنت في موضعك لم اراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبتك كائنا في ذلك ما كان .

وعظم ذلك على الوليد وهو احنك بني أمية وأملكهم لعقله ورشده

فقال لمروان :

« يا ليت الوليد لم يولد ولم يك شيئاً مذكوراً . » .

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ١ / ٢٦٩ .

فسخر منه مروان وراح يندد به قائلا :
« لا تجزع مما قلت لك : فان آل أبي تراب هم الأعداء من قديم
الدهر ولم يزالوا وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفان ، ثم ساروا إلى
أمير المؤمنين - يعني معاوية - فحاربوه . . . » .
ونهره الوليد فقال له :
« ويحك يا مروان عن كلامك هذا ، واحسن القول في ابن فاطمة
فانه بقية النبوة » (١) .
واتفق رأيهم على استدعاء القوم ، وعرض الأمر عليهم للوقوف على
مدى تجاربهم مع السلطة في هذا الأمر .

أضواء على موقف مروان :

لقد حرض مروان الوليد على التنكيل بالمعارضين ، واستهدف بالذات
الامام الحسين ، فالح بالفتك به ان امتنع من البيعة وفيما أجسب انه اما
دعاه لذلك ما يلي :

١ - ان مروان كان يحقد على الوليد ، وكانت بينها عداوة متأصلة
وهو - على يقين - ان الوليد يحب العافية ، ولا ينفد ما عهد إليه في شأن
الامام الحسين ، فاستغل الموقف ، وراح يشدد عليه في اتخاذ الاجراءات
الصارمة ضد الامام ، ليستبين لطاغية الشام موقفه فيسلب ثقته عنه ، ويقصيه
عن ولاية يثرب ، وفعلا قد تحقق ذلك فان يزيد حينما علم بموقف الوليد
مع الحسين (ع) غضب عليه وأنصاه عن منصبه .

(١) الفتوح ٥ / ١٢ - ١٣ .

٢ - ان مروان كان ناقماً على معاوية حينما عهد بالخلافة لولده ولم يرشحه لها ، لأنه شيخ الأمويين واكبرهم سناً ، فأراد أن يورط يزيد في قتل الامام ليكون به زوال ملكه .

٣ - كان مروان من الحاقدين على الحسين لأنه سبط رسول الله (ص) الذي حصد رؤوس بني أمية ، ونفى اياه الحكم عن يثرب ، وقد لعنه ولعن من تناسل منه ، وقد بلغ الحقد بمروان للأسرة النبوية أنه منع من دفن جنازة الحسن (ع) مع جده رسول الله (ص) ويقول المؤرخون : إنه كان يبغض أبا هريرة لأنه يروي ما سمعه من رسول الله (ص) في فضل سبطيه وريحانتيه ، وقد دخل على أبي هريرة عائلته فقال له :
« يا أبا هريرة ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا الا في حبك الحسن والحسين » .

فأجابه ابو هريرة :

« اشهد لقد خرجنا مع رسول الله (ص) فسمع الحسن والحسين يبكيان ، فقال : ما شأن ابني ؟ فقالت فاطمة : العطش .. يا مروان كيف لا أحب هذين ، وقد رأيت من رسول الله ما رأيت . » (١) .
لقد دفع مروان الوليد الى الفتنك بالحسين لعله يستجيب له فيروي بذلك نفسه المترعة بالحقد والكراهية لعنة النبي (ص) .

٤ - كان مروان - على يقين - انه سيلبي الخلافة ، فقد أخبره الامام امير المؤمنين وصي النبي (ص) وباب مدينة علمه حينما تشفع الحسنان به بعد واقعة الجمل ، فقال : ان له امرة كلعقة الكلب انفه ، وقد اعتقد بذلك مروان ، وقد حرص الوليد على الفتنك بالحسين ليكون

(١) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٢٠٨ .

ذلك سبباً لزوال ملك بني سفيان ، ورجوع الخلافة إليه .
هذه بعض الأسباب التي حفزت مروان الى الاشارة على الوليد بقتل
الامام الحسين وانه لم يكن بذلك مشفوعاً بالولاء والاخلاص الى يزيد .

استدعاء الحسين :

وأرسل الوليد في منتصف الليل (١) عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو
غلام حدث خلف الحسين وابن الزبير ، وانما بعثه في هذا الوقت لعله
يحصل على الوفاق من الحسين ولو سراً على البيعة ليزيد ، وهو يعلم انه
اذا اعطاه ذلك فلن يخيس بهمهده ، ولن يتخلف عن قوله .

ومضى الفتي يدعو الحسين وابن الزبير للحضور عند الوليد فوجدهما
في مسجد النبي (ص) فدعاهما إلى ذلك فاستجابا له ، وأمره بالانصراف
وذعر ابن الزبير ، فقال للامام :

- ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها ؟
- أظن أن طاغيتهم - يعني معاوية - قد هلك فبعث إلينا بالبيعة
قبل أن يفشو بالناس الخبر .

- وأنا ما اظن غيره فما تريد أن تصنع ؟
- اجتمع فتياي الساعة ، ثم اسير إليه ، واجلسهم على الباب .
- إني اخاف عليك اذا دخلت .
- لا آتبه إلا وأنا قادر على الامتناع (٢) :

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٦٠ .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٤ .

وانصرف أبي الضمير الى منزله فاغتسل ، وصلى ودعا الله (١) وأمر
أهل بيته بلبس السلاح والخروج معه ، فدخلوا محدقين به ، فأمرهم بالجلوس
على باب الدار ، وقال لهم : اني داخل فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد
علا فادخلوا علي بأجمعكم ، ودخل الامام على الوليد فرأى مروان عنده
وكانت بينهما قطيعة فأمرهما الامام بالتقارب والاصلاح ، وترك الاحقاد ،
وكانت سحجة الامام (ع) التي طبع عليها الاصلاح حتى مع أعدائه
وخصومه ، فقال (ع) لهما :

« الصلة خير من القطيعة ، والصلح خير من الفساد ، وقد آن
لكما أن تجتمعا ، اصلح الله ذات بينكما . » (٢) .

ولم يجيباه بشيء فقد علاهما صمت رهيب ، والتفت الامام إلى
الوليد فقال له : هل اتاك من معاوية خبر ؟ فانه كان عليلاً وقد طالت
علته ، فكيف حاله الآن ؟

فقال الوليد بصوت خافت حزين النبرات :

« آجرك الله في معاوية فقد كان لك عم صدوق ، وقد ذاق الموت

وهذا كذاب أمير المؤمنين يزيد . . . » .

فاسترجم الحسين ، وقال له :

« لماذا دعوتني ؟ » .

« دهوتك للبيعة » (٣) .

فقال (ع) : إن مثلي لا يبائع سرأ ، ولا يجنزىء بها مني سرأ ،

فاذا خرجت الى الناس ودعتهم للبيعة ، دهوتنا معهم كان الأمر واحداً .

(١) الدر النظيم (ص ١٦٢) .

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٤ .

(٣) الفتح ٥ / ١٧ :

لقد طالب الامام تأجيل الأمر الى الصباح ، حتى يعقد اجتماع جماهيري فيدلي برأيه في شجب البيعة ليزيد ، ويستنهض همم المسلمين على الثورة والاطاحة بحكمه ، وكان الوليد - فيما يقول المؤرخون - يحب العاقبة ويكره الفتنة فشكر الامام على مقالته ، وسمح له بالانصراف الى داره ، وانبرى الوغد الخبيث مروان بن الحكم وهو مغیظ محقق فصاح بالوليد :

« لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى

تكثر القتل بينكم وبينه ، احبسه فان بايع والا ضربت عنقه .

ووثب أبي الضمير الى الوزغ ابن الوزغ فقال له :

« يا ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو ؟ كذبت والله ولؤمت ، (١)

وأقبل على الوليد فأخبره عن عزمه وتصميمه على رفض البيعة

ليزيد قائلا :

« أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومخترن الملائكة

ومحل الرحمة ، بنا فتح الله ، وبنا ختم ، ويزيد رجل فاسق ، شارب خمر

قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله ، ولكن نصبح

وتصبحون ، وننظر ، وتنظرون أينما أحق بالخلافة والبيعة ، (٢) .

وكان هذا اول اعلان له على الصعيد الرسمي - بعد هلاك معاوية -

في رفض البيعة ليزيد ، وقد أعلن ذلك في بيت الامارة ورواق السلطة

بدون مهالة ولا خوف ولا ذعر .

لقد جاء تصريحه بالرفض لبيعة يزيد معبراً عن تصميمه ، وتوطين

نفسه حتى النهاية على التضحية عن سمو مبدئه ، وشرف عقيدته ، فهو

بحكم موارثه الروحية ، وبحكم بيته الذي كان ملتقى لجميع الكمالات الانسانية

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٤ .

(٢) الفتوح ٥ / ١٨ .

كيف يبائع يزيد الذي هو من عناصر الفسق والفجور ، ولو اقره اماماً
على المسلمين لساق الحياة الاسلامية الى الانهيار والدمار وعصف بالمعقيدة
الدينية في مناهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة .
وكانت كلمة الحق الصارخة التي أعلنها ابو الأحرار قسد احدثت
استياءً في نفس مروان فاندفع يعنف الوليد ويلومه على اطلاق سراحه قائلاً :
« عصيتني ! لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أهذا » :
وتأثر الوليد من منطق الامام ، وتيقظ ضميره فاندفع يرد أباطيل
مروان قائلاً :

« ويحك ! ! انك أشرت علي بذهاب ديني ودياري ، والله ما أحب
أن أملك الدنيا بأسرها ، والتي قتلت حسيناً : سبحان الله ! ! أقتل حسيناً
ان قال : لا ابايع ، والله ما اظن احداً يلقي الله بدم الحسين الا وهو
خفيف الميزان ، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولا يزيكبه وله عذاب اليم ،
وسخر منه مروان وطلق يقول !
« اذا كان هذا رأيك فقد اصبت ! ! » (١) :
وعزم الحسين على مغادرة يثرب والتوجه الى مكة ليلوذ بالبيت الحرام
ويكون بآمن من شرور الأمويين واعتدائهم .

الحسين مع مروان :

والتقى أبي الضمير في أثناء الطريق بمروان بن الحكم في صبيحة تلك
الليلة التي أعلن فيها رفضه لبيعة يزيد ، فبادره مروان قائلاً :

(١) الطبري .

« اني ناصح ، فاطعني ترشد وتسدد . . . » .

« وماذاك يامروان ؟ » .

« اني آمرك ببيعة اميرالمؤمنين يزيد فانه خير لك في دينك ودنياك . »
« والتاع كاشد ما تكون اللوعة واسترجع ، وأخذ يرد على مقالة مروان
ببليغ منطقته قائلاً : « على الاسلام السلام ، إذ قد بليت الأمة براع مثل
يزيد ، ويحك يامروان ! ! أنامرني ببيعة يزيد ، وهو رجل فاسق : لقد
قلت : شططا من القول . . لا الومك على قولك ، لأنك اللعين الذي
لعنك رسول الله (ص) وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص
وأضاف الامام يقول :

« إلبك عني يا عدو الله ! ! فانا أهل بيت رسول الله (ص) والحق
فينا ، وبالحق تنطق ألسنتنا ، وقد سمعت رسول الله (ص) يقول : الخلافة
عمرمة على آل أبي سفيان ، وعلى الطلقاء وابناء الطلقاء ، وقال : اذا
رأيتم معاوية على منبري فاهقروا بطنه ، فوالله لقد رأه أهل المدينة على
منبر جدي فلم يفعلوا ما أمروا به . . . » :

« وتميز الخبيث الدلس مروان غيظا وغبيا ، واندفع يصيح :

« والله لا تفارقتي أو تبايح ليزيد صاهراً فانكم آل أبي تراب ، قد
اشربتم بغض آل أبي سفيان ، وحق عليكم أن تبغضوهم ، وحق عليهم أن
يبغضوكم ، وصاح به الامام :

« إليك عني فانك رجس ، وأنا من أهل بيت الطهارة الذين انزل الله
فيهم على نبيه (ص) : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا » .

« ولم يطلق مروان الكلام ، وقد تحرق ألماً وحزناً ، فقال له الامام :
« ابشر يا بن الزرقاء بكل ما تكره من الرسول (ص) يوم تقدم

على ربك فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد
وانصرف مروان مسرعاً الى الوليد فاخبره بمقالة الحسين له (١) :

اتصال الوليد بدمشق :

وأحاط الوليد يزيد علماً بالأوضاع الراهنة في يثرب ، وعرفه بامتناع الحسين (ع) من البيعة ، وانه لا يرى له طاعة عليه ، ولما فهم يزيد بذلك تميز غيظاً وفضباً .

الأوامر المشددة من دمشق :

وأصدر يزيد أوامره المشددة الى الوليد باخذ البيعة من أهل المدينة ثانياً ، وقتل الحسين (ع) وارسال رأسه إليه وهذا نص كتابه .
« من عهد الله يزيد أمير المؤمنين الى الوليد بن عتبة ، أما بعد : فاذا ورد عليك كنا هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم وذرعبد الله بن الزبير فانه لن يفوت أهدأ مادام حيا ، وليكن مع جوابك إلي برأس الحسين بن علي ، فان فعلت ذلك ، فقد جعلت لك أعة الخيل ولك عندي الجائزة ، والحظ الأوفر والنعمة والسلام . . . »

رفض الوليد :

ورفض الوليد رسمياً ماعهد إليه يزيد من قتل الحسين ، وقال : لا والله لا يراني الله قاتل الحسين بن علي . . لا أقتل ابن بنت رسول الله (ص)

(١) الفتوح : ٢٤/٥

ولو أعطاني يزيد الدنيا بحدافيرها (١) وقد جاءت هذه الرسالة بعد مغادرة
الامام يثرب الى مكة .

وداع الحسين لقبر جده :

وخف الحسين (ع) في الليلة الثانية الى قبر جده (ص) وهو حزين
كثيب ليشكو إليه ظلم الظالمين له ، ووقف أمام القبر الشريف - بعد أن
صلى ركعتين - وقد ثارت مشاعره وعواطفه ، فاندفع يشكو الى الله ما ألم
به من المحن والخطوب قائلا :

« اللهم إن هذا قبر نبيك محمد ، وأنا ابن بنت محمد ، وقد حضرني
من الأمر ما قد علمت ، اللهم اني أحب المعروف وانكر المنكر ، وأنا
اسألك يا ذا الجلال والاكرام بحق هذا القبر ومن فيه الا ما اخترت لي
ما هو لك رضى ولرسولك رضى . . . »

رؤيا الحسين لجده :

وأخذ الح-ين يطيل النظر الى قبر جده ، وقد وثقت نفسه أنه لا
يتمتع برؤيته ، وانفجر بالبكاء ، وقبل أن يندلع نور الفجر غلبه النوم
ف رأى جده الرسول (ص) قد اقبل في كتيبة من الملائكة فضم الحسين
الى صدره وقبل ما بين عينيه ، وهو يقول له :

« يا بني كأنك عن قريب اراك مقتولا مذبوحاً بارض كرب
وبلاء ، بين عصابة من امتي ، وانت مع ذلك عطشان لا تسقى ، وظمآن

(١) الفتوح ٥ / ٢٦ - ٢٧ :

لا تروى ، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة ، فمالهم عند الله من خلاق .

حببي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قد قدموا علي ، وهم إليك مشتاقون ان لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة

وجعل الحسين يطيل النظر إلى جده (ص) ويذكر عطفه وحنانه عليه فازداد وجيبه ، وتمثلت أمامه المهن الكبرى التي يعانيتها من الحكم الأموي فهو اما ان يبايع فاجر بني أمية أويقتل ، وأخذ يتوسل الى جده ويتضرع اليه قائلاً :

« يا جداه لا حاجة لي في الرجوع الى الدنيا ، فخذني إليك ، وادخلني معك الى منزلك . »

والتاع النبي (ص) فقال له :

« لا بد لك من الرجوع الى الدنيا ، حتى ترزق الشهادة ، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم فانك ، واباك ، وأخاك ، وعمك ، وعم أبيك تمشرون يوم القيامة ، في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة » (١) . واستيقظ الحسين فزعا مرهوباً قد الملت به تيارات من الأسى والأحزان وصار على يقين لا يخامرُه أدنى شك انه لا بد أن يرزق الشهادة ، وجمع أهل بيته فقص عليهم رؤياه الحزينة ، فطافت بهم الآلام ، وأيقنوا بنزول الرزء القاصم ، ووصف المؤرخون شدة حزنهم ، بأنه لم يكن في ذلك اليوم لا في شرق الأرض ولا في غربها أشد غمًا من أهل بيت رسول الله (ص) ولا أكثر هاكية وبك منهم (٢) .

(١) الفتوح ٥ / ٢٨ - ٢٩ .

(٢) مقتل العوالم (ص ٥٤) .

وداعه لقبر امه وأخيه :

وتوجه الحسين في غلس الليل البهيم الى قبر امه وديعة النبي (ص) وبضعته ، ووقف امام قبرها الشريف ملياً ، وهو يلقي عليه نظرات الوداع الأخير ، وقد تمثلت امامه عواطفها الفياضة ، وشدة حنوها عليه ، وقد ودَّ أن تنشق الأرض لتواويه معها ، وانفجر بالبكاء ، وودع القبر وداعاً حاراً ، ثم انصرف الى قبر أخيه الزكي أبي محمد ، فاخذ يروي ثرى القبر من دموع عينيه ، وقد ألمت به الآلام والأحزان ، ثم رجع إلى منزله ، وهو غارق بالأسى والشجون (١) .

فزع الهاشميات :

ولما عزم الامام على مغادرة يثرب واللجوء الى مكة اجتمعن السيدات من نساء بني عبد المطلب ، وقد جاشت عواطفهن بالأسى والحزن ؛ فقد تواترت عليهن الأنبياء عن رسول الله (ص) عن مقتل ولده الحسين ، وجعلن ينحن ، وتماثلت أصواتهن بالبكاء ، وكان منظراً مفرعاً ، وانبرى إليهن الحسين ، وهو رابط الجأش فقال لمن :

« انشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله وارسوله . »

فلذابت نفوسهن ، وصحن :

« لمن نستبقي النياحة والبكاء ، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلي وفاطمة والحسن . . . جعلنا الله فداك يا حبيب الأبرار . . . »

(١) الفتوح ٥ / ٢٩ .

واقبلت عليه بعض عماته ، وهي شاحبة اللون ، فقالت بنبرات منقطعة
بالبكاء لقد سمعت هاتفاً يقول :
وان قتيل الطف من آل هاشم اذل رقابا من قریش فدللت
وجعل الامام (ع) يهدأ أعصابها ، ويأمرها بالخلود الى الصبر ،
كما أمر سائر السيدات من بني عبد المطلب بذلك (١) .

مع أخيه ابن الحنفية :

وفزع محمد بن الحنفية الى الحسين ، فجاء يتعثر في خطاه ، وهو لا
يبصر طريقه من شدة الحزن والأسى ، ولما استقر به المجلس اقبل على
الحسين قال له بنبرات مشفوعة بالاخلاص والحنو عليه .
« يا أخي فدتك نفسي ، أنت أحب الناس إلي ، وأعزهم علي ،
ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق ، وليس أحد أحق بها منك
فإنك كنت نفسي وروحي ، وكبير أهل بيتي ، ومن عليه اعتمادي ، وطاعته
في عنقي لأن الله تبارك وتعالى قد شرفك وجعلك من سادات أهل الجنة
واني اريد أن اشير عليك برأيي فاقبله مني . . . » .
لقد عبر محمد بهذا الحديث الرقيق عن عواطفه الفياضة المترعة بالولاء
والاكبار لأخيه ، واقبل عليه الامام فقال له محمد :

« اشير عليك أن تمنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار
ما استطعت ، ثم ابعث برسلك الى الناس ، فان بايعوك حمدت الله على ذلك
وان اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ، ولا عقلك ، ولم تذهب
مروءتك ، ولا فضلك ، واني اخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ١٤٨) .

الامصار فيختلف الثامن بينهم فطائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتلون ، فتكون لأول الأئمة هرجاً ، فإذا خبر هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعتها دماً واذلها أهلاً

وبادر الامام الحسين فقال له :

« اين أذهب ؟ » .

« تنزل مكة فان اطمانت بك الدار ، والا لحقت بالرمال ، وشعب الجبال وخرجت من بلد الى آخر حتى ننظر ما يصير إليه أمر الناس ، فانك اصوب ما تكون رأياً واحزمتهم عملاً ، حتى تستقبل الأمور استقبالا ولا تكون الأمور أهدأ اشكل عليك منها حتى تستدبرها استدباراً » (١) .

وانطلق الامام وهو غير حافل بالأحداث ، فأنخبره عن عزمه وتصميمه الكامل على رفض البيعة ليزيد قائلاً :

« يا أخني بو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد

ابن معاوية » .

وانفجر ابن الحنفية بالبكاء ، فقد أيقن بالرزء القاصم ، واستشف ماذا سيجري على أخيه من الرزايا والخطوب ، وشكر الامام نصيحته وقال له :

« يا أخني : جزاك الله خيراً لقد نصحت ، وأشرت بالصواب ، وأنا هازم على الخروج الى مكة ، وقد تهبأت لذلك أنا واخوتي وبنو أخني وشيعتي أمرهم أمري ، ورأيهم رأيي ، وأما أنت فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً لا تخف عني شيئاً من امورهم » (٢) :

(١) تاريخ الطبري ٦ / ١٩١ .

(٢) الفتوح ٥ / ٣٢ .

وصيته لابن الحنفية :

وعهد الامام بوصيته الخالدة إلى أخيه ابن الحنفية ، وقد تحدث فيها عن أسباب ثورته الكبرى على حكومة يزيد وقد جاء فيها بعد البسمة :
« هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية ، ان الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده ، وان الجنة حق ، والنار حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور .

واني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ، فمن قبلني بقبول الحق ، فالله أولى بالحق ، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين .

« وهذه وصيتي إليك يا أخي ، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، (١) .

من أجل هذه الأهداف النبيلة فجر الامام ثورته الخالدة فهو لم يخرج اشراً ولا بطراً ، ولم يبيع أي مصلحة مادية له أو لأسرته ، وانما خرج على حكم الظلم والطغيان ، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس ، وما أروع قوله :

« فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، ومن رد علي أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين ، .

لقد حدد الامام خروجه بأنه كان من أجل احقاق الحق وامانة الباطل

(١) الفتوح ٥ / ٣٣ مقتل الخوارزمي ١ / ١٨٨ .

ودعا الأمة باسم الحق الى الالتفاف حوله لتحمي حقوقها وتصون كرامتها وعزتها التي انهارت على أيدي الأمويين ، واذا لم تستجب لتصرته فسيواصل وحده مسيرته النضالية بصبر وثبات في مناجزة الظالمين والمعتدين حتى يحكم الله بينه وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين . . . كما حدد الامام خروجه بأنه يريد أن يسير على منهاج جده وأبيه ، وليس على منهج أي أحد من الخلفاء .

وهذه الوصية من البنود التي نرجع إليها في دراستنا عن اسباب ثورته (ع) :

وتهايأ الامام بعد وصيته لأخيه محمد الى السفر الى مكة ليلتقي بمحجاج بيت الله الحرام وغيرهم ، ويعرض عليهم الأوضاع الراهنة في البلاد ، وما تعانيه الأمة من الأزمات والأخطار في عهد يزيد .

وقبل أن يغادر الامام (ع) يثرب متجهاً الى مكة دخل مسجد جده الرسول (ص) وهو غارق في الأسى والشجون فألقى عليه نظرة الوداع الأخير ، وقد نظر الى محراب جده (ص) ومنبره ، فطافت به ذكريات ذلك العطف الذي كان يفيضه عليه جده (ص) حينما كان في غضون الصبا ، فلم ينس الحسين في جميع فترات حياته ذلك الحنان الذي اغدقه عليه جده حينما يقول فيه :

« حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط . . . » :

وتذكر كيف كان النبي (ص) يفرغ عليه ما الطوت عليه نفسه الكبيرة من المثل العليا التي كان بها شامخ النبيين وسيد المرسلين ، وأيقن انه لم يكن يشبع ذلك في نفسه بمحض العاطفة بل بشعور آخر هو الابقاء على رسالته ، ومبادئه ، ورأى انه لا بد أن يقدم التضحية الرهيبة التي تصون

رسالة الاسلام من عبث الناقلين عليه . . . ويقول المؤرخون : انه دخل المسجد بين أهل بيته ، وهو يعتمد في مشبه على رجلين ويتمثل بقول يزيد بن مفرغ :

لا ذهرت السوام في فلق الصبح مفسيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى من المهانة ضيما والمنايا ترصدنني أن أحيدا (١)
ويقول أبو سعيد : لما سمعت هذين البيتين قلت في نفسي : انه
ما تمثل بها الا لشيء يريد به فما مكث الا قليلا حتى باغني أنه سار الى
مكة (٢) لقد صمم على التضحية والفداء ليغير مجرى الحياة ، ويرفع كلمة
الله وفكرة الخير في الأرض .

أما يثرب مهد النبوة فإنه حينما اذيع فيها مغادرة الحسين عنها علتها
الكتابة وخيم على أهلها الحزن والدعر فقد أيقنوا بالخسارة الفادحة التي
ستحل بهم ، فسيغيب عنهم قبس من نور الرسالة الذي كان يضيء لهم
الحياة ، وحزنت البقية الباقية من صحابة النبي (ص) كأعظم ما يكون
الحزن ، فقد كانوا يرون في الحسين امتداداً لجلده الرسول (ص) الذي
انقلص من حياة التيه في الصحراء .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٥ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤ / ٣٢٩ ، تاريخ الطبري .

الثورة الحسينية اسبابها ومخططاتها

ولم يفجر الامام الحسين (ع) ثورته الكبرى أشراً ، ولا بطراً ، ولا ظالماً ، ولا مفسداً - حسب ما يقول - وانما انطلق ليؤسس معالم الاصلاح في البلاد ، ويحقق العدل الاجتماعي بين الناس ، ويقضي على أسباب النكسة الأليمة التي مني بها المسلمون في ظل الحكم الأموي الذي الحق بهم المزيمة والعار .

لقد انطلق الامام ليصحح الأوضاع الراهنة في البلاد ، ويعيد للأمة ما فقدته من مقوماتها وذاتياتها ، ويعيد لشرابنها الحياة الكريمة التي تملك بها ارادتها وحريتها في مسيرتها النضالية لقيادة أمم العالم في ظل حكم متوازن تذاب فيه الفوارق الاجتماعية ، وتقام الحياة على أسس صلبة من المحبة والاخاء ، انه حكم الله خالق الكون وواهب الحياة ، لا حكم معاوية الذي قاد مركبة حكومته على امانة وعي الانسان ، وشل حركاته الفكرية والاجتماعية .

لقد فجر الامام (ع) ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب ، وجعلها عبرة لأولي الألباب ، فاضاء بها الطريق ، وأوضح بها القصد ، واتار بها الفكر ، فانهارت بها السدود والحواجز التي وضعها الحكم الأموي امام التطور الشامل الذي يريده الاسلام لأبنائه ، فلم يعد بعد الثورة أي ظل للسلبات الرهيبة التي أقامها الحكم الأموي على مسرح الحياة الاسلامية ، فقد انتقضت الامة - بعد مقتل الامام - كالمارد الجبار وهي تسخر من الحياة ، وتستنهزأ بالموت ، وتزج بابنائها في ثورات متلاحقة حتى اطاحت بالحكم الأموي ، واكتسحت معالم زهوه .

ولم يقدم الامام على الثورة إلا بعد ان انسدت امامه جميع الوسائل وانقطع كل أمل له في اصلاح الأمة ، وانقاذها من السلوك في المنعطفات فايقن انه لا طريق للاصلاح إلا بالتضحية الحمراء ، فهي وحدها التي

تغير بها الحياة ، وترتفع راية الحق عالية في الأرض .
وفيما اعتقد ان أهم ما يتطلبه القراء لأمثال هذه البحوث الوقوف على
أسباب الثورة الحسينية ومخططاتها ، وفيما يلي ذلك .

أسباب الثورة :

واحاطت بالامام (ع) عدة من المسؤوليات الدينية والواجبات
الاجتماعية وغيرها ، فحفزته الى الثورة ، ودفعته الى التضحية والفداء
وهذه بعضها .

١ - المسؤولية الدينية :

واعلن الاسلام المسؤولية الكبرى على كل مسلم عما يحدث في بلاد
المسلمين من الأحداث والأزمات التي تتنافى مع دينهم ، وتتجافى مع
مصالحهم ، فانه ليس من الاسلام في شيء أن يقف المسلم موقفاً يتسم
بالميوعة واللامبالاة أمام الهزات التي تدهم الأمة وتدمر مصالحها ، وقد
أعلن الرسول (ص) هذه المسؤولية ، يقول (ص) : « كلكم راع ،
وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالمسلم مسؤول أمام الله عن رعاية مجتمعه ،
والسهر على صالح بلاده ، والدفاع عن أمته
وعلى ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الامام جور الأمويين ،
وناجز مخططاتهم الهادفة الى استعباد الأمة واذلالها ، ونهب ثرواتها ،
وقد أدلى (ع) بما يجتمه الاسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد ، امام
الحر وأصحابه قال (ع) :

« أبها الناس : إن رسول الله (ص) قال : « من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله ، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالأثم والعدوان ، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله » .

لقد كان الواجب الديني يحتم عليه القيام بوجه الحكم الأموي الذي استحل حرمات الله ، وتكث عهوده وخالف سنة رسول الله (ص) ، وقد صرح جماعة من علماء المسلمين بأن الواجب الديني كان يقضي على الامام أن ينطلق في ميادين الجهاد دفاعاً عن الاسلام ، وفيما يلي بعضهم .

١ - الامام محمد عبده

والمع الامام محمد عبده في حديثه عن الحكومة العادلة والجائرة في الاسلام إلى خروج الامام على حكومة يزيد ، ووصفه بأنه كان واجباً شرعياً عليه ، قال : « اذا وجد في الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع ، وحكومة جائرة تعطله ، وجب على كل مسلم نصر الأولى ، وخلد الثانية . . . ومن هذا الباب خروج الامام الحسين (ع) سبط الرسول (ص) على امام الجور والبغي الذي ولي أمر المسلمين بالقوة والمنكر يزيد بن معاوية خذله الله ، وخلد من انتصر له من الكرامية والنواصب » (١) .

٢ - محمد عبده الباقي

وتحدث الأستاذ محمد عبده الباقي سرور عن المسؤولية الدنيوية والاجتماعية اللتين تحتمان على الامام القيام بمنامضة حكم يزيد قال :

(١) تفسير المنار ١ / ٣٦٧ ، و ١٢ / ١٨٣ و ١٨٥ :

« لو بايع الحسين يزيد الفاسق المستهتر ، الذي اباح الخمر والزنا وخط بكرامة الخلافة الى مجالسة الغانيات ، وعقد حلقات الشراب في مجالس الحكم ، والذي البس الكلاب والقروذ خلاخل من ذهب ، ومئات الالوف من المسلمين صرعى الجوع ، والحرمان .

لو بايع الحسين يزيد أن يكون خليفة لرسول الله (ص) على هذا الوضع لكانت فتياً من الحسين باباحة هذا للمسلمين ، وكان سكوته هذا أيضاً رضى ، والرضا من ارتكاب المنكرات ولو بالسكوت اثم وجريمة في حكم الشريعة الاسلامية . . والحسين بوضعه الراهن في عهد يزيد هو الشخصية المسؤولة في الجزيرة العربية بل في البلاد الاسلامية كافة عن حماية التراث الاسلامي لمكانته في المسلمين ، ولقربته من رسول رب العالمين ، ولكونه بعد موت كبار المسلمين كان أعظم المسلمين في ذلك الوقت علماً وزهداً وحسباً ومكانة . فعلى هذا الوضع أحس بالمسؤولية تناديه وتطلبه لايقاف المنكرات عند حدها ، ولاسيا ان الذي يضع هذه المنكرات ويشجع عليها هو الجالس في مقعد رسول الله (ص) هذا أولاً :

وثانياً : انه (ع) جاءته المبايعات بالخلافة من جزيرة العرب ، وجاءه ثلاثون الفاً من الخطابات من ثلاثين الف من العراقيين من سكان البصرة والكوفة يطلبون فيها منه الشخصوس لمشاركتهم في محاربة يزيد بن معاوية ، وألحوا تكرار هذه الخطابات حتى قال رئيسهم عبد الله بن الحصين الأزدي : يا حسين سنشكوك الى الله تعالى يوم القيامة اذا لم تلب طلبنا ، وتقوم بنجدة الاسلام ، وكيف والحسين ذو حمية دينية ونخوة اسلامية ، والمفاسد ترى أمام عينيه ، كيف لايقوم بتلبية النداء ، وعلى هذا الوضع لبي النداء ، كما تأمر به الشريعة الاسلامية ، وتوجه نحو العراق ، (١) .

(١) الثائر الأول في الاسلام (ص ٧٩) .

وهذا الرأي وثيق للغاية فقد شلح بالأدلة الشرعية التي حملت الإمام
مسؤولية الجهاد والخروج على حكم طاغية زمانه :

٣ - عبد الحفيظ أبو السعود

يقول الاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود : « ورأى الحسين أنه مطالب
الآن - يعني بعد هلاك معاوية - أن يعلن رفضه لهذه البيعة ، وان يأخذ
البيعة لنفسه من المسلمين ، وهذا أقل ما يجب حفاظاً لأمر الله ، ورفعاً
للظلم ، وإبعاداً لهذا العايب يعني يزيد - عن ذلك المنصب الجليل ، (١)

٤ . الدكتور احمد محمود صبحي

ومن صرح بهذه المسؤولية الدينية الدكتور احمد محمود صبحي قال :
« ففهي اقدام الحسين على بيعة يزيد انحراف عن أصل من اصول الدين من
حيث أن السياسة الدينية للمسلمين لا ترى في ولاية العهد وراثه الملك إلا
بدعة هرقلية دخيلة على الاسلام ، ومن حيث أن اختيار شخص يزيد مع
ما عرف عنه من سوء السيرة ، وميله الى اللهو وشرب الخمر ، ومنادمة
القرود ليتولى منصب الخلافة عن رسول الله (ص) اكبر وزر يحل بالنظام
السياسي للاسلام . يتحمل وزره كل من شارك فيه ورضى عنه ، فما بالك
إذا كان المقدم على ذلك هو ابن بنت رسول الله .

كان خروج الحسين إذاً أمراً يتصل بالدهوة والعقيدة أكثر مما يتصل
بالسياسة والحرب ، (٢) .

(١) سبط الرسول (ص ١٣٣) .

(٢) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ٣٣٤) .

• - العائلي

يقول العائلي : « وهناك واجب على الخليفة اذا تجاوزه وجب على الأمة اسقاطه ، ووجبت على الناس الثورة عليه وهو المبالغة باحترام للقانون الذي يخضع له الناس عامة ، والا فأي تظاهر بخلافه يكون تلاعباً وعبثاً ، ومن ثم وجب على رجل القانون أن يكون أكثر تظاهراً باحترام القانون من أي شخص آخر ، واكبر مسؤولية من هذه الناحية ، فاذا فسق الملك ثم جاهر بفسقه وتحدى الله ورسوله والمؤمنين لم يكن الخضوع له إلا خضوعاً للفسق وخضوعاً للفحشاء والمنكر ، ولم يكن الاطمئنان إليه الا اطمئناناً للتلاعب والمالئة الفاسقة .

هذا هو المعنى التحليلي لقوله (ع) : « ويزيد رجل فاسق ، شارب للخمر وقاتل النفس المحرمة ، معان بالفسق ، (١) .
هذه بعض الآراء التي أدلى بها جماعة من العلماء في التزام الامام شرعاً بالخروج على حكم الطاغية يزيد ، وانه ليس له أن يقف موقفاً صليبياً أمام ما يقترفه يزيد من الظلم والجور .

٢ - المسؤولية الاجتماعية :

وكان الامام (ع) بحكم مركزه الاجتماعي مسؤولاً أمام الأمة عما منيت به من الظلم والاضطهاد من قبل الأمويين ، ومن هو أولى بحمايتها ورد الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول الله (ص) وريثانته ، والدين دين جده ، والأمة أمة جده ، وهو المسؤول بالدرجة الأولى عن رعايتهما .

(١) الامام الحسين (ص ٩٤) .

لقد رأى الامام أنه مسؤول عن هذه الأمة ، وانه لا يجدي بأي حال في تغيير الأوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت ، وعدم الوثوب في وجه الحكم الأموي المليء بالجور والآثام ، فنهض (ع) باعباء هذه المسؤولية الكبرى ، وأدى رسالته بأمانة وإخلاص ، وضحي بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الاسلام وحكم القرآن .

٣ - اقامة الحججة عليه :

وقامت الحججة على الامام لاعلان الجهاد ، ومناجزة قوى البغي والاحقاد ، فقد تواترت عليه الرسائل والوفود من أقوى حامية عسكرية في الاسلام ، وهي الكوفة فكانت رسائل أهلها تحمله المسؤولية أمام الله إن لم يستجب لدعواتهم الملحة لانقاذهم من عسف الأمويين وبغيهم ، ومن الطبيعي أنه لو لم يجيبهم لكان مسؤولاً أمام الله ، وأمام الأمة في جميع مراحل التاريخ ، وتكون الحججة قائمة عليه .

٤ - حماية الاسلام :

ومن أوكد الأسباب التي ثار من أجلها حفيد الرسول (ص) حماية الاسلام من خطر الحكم الأموي الذي جهد على محو سطوره ، وقلع جذوره واقبار قيمه ، فقد أعلن يزيد وهو على دست الخلافة الاسلامية الكفر والاحقاد بقوله :

لعبت هاشم بالملك فلا خبير جاء ولا وحي نزل

وكشف هذا الشعر عن العقيدة الجاهلية التي كان يدين بها يزيد فهو لم يؤمن بوحي ولا كتاب ، ولا جنّة ولا نار ، وقد رأى السبّط أنه ان لم يثار لحماية الدين فسوف يجهز عليه حفيد أبي سليمان ويجعله أترأ بعد عين ، فثار (ع) ثورته الكبرى التي فدى بها دين الله ، فكان دمه الزاكي المعطر بشذى الرسالة ، هو البلمس لهذا الدين ، فان من المؤكد أنه لولا تضحيته لم يبق للإسلام اسم ولا رسم ، وصار الدين دين الجاهلية ودين الدعارة والفسوق ، ولذمبت سدى جميع جهود النبي (ص) وما كان ينشده للناس من خير وهدى ، وقد نظر النبي (ص) من وراء الغيب واستشف مستقبل امته ، فرأى بعين اليقين ، ما تمنى به الأمة من الانحراف عن الدين ، وما يصيبها من الفتن والخطوب على أيدي أغيلمة من قريش ، ورأى أن الذي يقوم بحماية الاسلام هو الحسين (ع) فقال (ص) كلمته الخالدة : « حسين مني وأنا من حسين » فكان النبي (ص) حقاً من الحسين لأن تضحيته كانت وقاية للقران ، وسيبقى دمه الزاكي يروي شجرة الاسلام على ممر الاحقاب والآباد .

٥ - صيانة الخلافة :

ومن المم الأسباب التي ثار من أجلها الامام الحسين (ع) تطهير الخلافة الاسلامية من أرجاس الأمويين الذين غزوا عليها بغير حق . فلم تعد الخلافة - في عهدهم كما يريدوا الاسلام - وسيلة لتحقيق العدل الاجتماعي بين الناس ، والقضاء على جميع أسباب التخلف والفساد في الأرض . لقد اهتم الاسلام اهتماماً بالغاً بشأن الخلافة باعتبارها القاعدة الصلبة لاشاعة الحق والعدل بين الناس ، فاذا صلحت نعمت الأمة بأسرها ،

وإذا انحرفت عن واجباتها فإن الأمة تصاب بتدهور سريع في جميع مقوماتها الفكرية والاجتماعية . . . ومن ثم فقد عنى الاسلام في شأنها أشد ما تكون العناية ، فالزم من يتصدى لها بان تتوفر فيه النزعات الخيرة والصفات الشريفة من العدالة والأمانة ، والخبرة بما تحتاج إليه الأمة في مجالاتها الاقتصادية والادارية والسياسية ، وحرّم على من فقد هذه الصفات أن يرشح نفسه للخلافة . . . وقد تحدث (ع) في أولى رسائله الى أهل الكوفة عن الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يرشح نفسه الى امامة المسلمين وادارة شؤونهم قال (ع) :

« فلعمرى ما الامام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والهابس نفسه على ذات الله » (١) .

فمن تخلى بهذه الصفات كان له الحق في تقديم نفسه لامامة المسلمين وخلافتهم ، ومن لم يتصف بها فلا حق له في التصدي لهذا المركز الخطير الذي كان يشغله الرسول (ص) . . . ان الخلافة الاسلامية ليست مجرد سلطة زمنية على الأمة ، وانما هي نياحة عن الرسول (ص) وامتداد ذاتي لحكومته المشرقة .

وقد رأى الامام الحسين أن مركز جده قد صار الى مكبر مستهتر لا يعي الا شهواته ورغباته ، فثار (ع) ليعيد للخلافة الاسلامية كيانها المشرق وماضيها الزاهر .

(١) الطبري ٦ / ١٩٧ .

٦ - تحرير الأمة :

ولم تملك الأمة في عهد معاوية ويزيد ارادتها واختيارها فقد كانت جثة هامدة لا وعي فيها ولا اختيار ، قسد كبلت بقيود ثقيلة سدت في وجهها منافذ النور والوهي ، وحيل بينها وبين ارادتها .

لقد عمل الحكم الأموي على تخدير المسلمين وشل تفكيرهم ، وكانت قلوبهم مع الامام الحسين ، الا انهم لا يتمكنون من متابعة قلوبهم وضمايرهم فقد استولت عليها حكومة الأمويين بالقهر ، فلم يملكوا من أمرهم شيئاً ، فلا ارادة لهم ولا اختيار ، ولا عزم ولا تصميم فاصبحوا كالأنصاب لا وعي فيهم ولاحرك ، قد قبعوا أذلاءً و صاهرين تحت وطأة سياط الأمويين وبطشهم .

لقد هبّ الامام الى ساحات الجهاد والغداء ليطعم المسلمين بروح العزة والكرامة ، فكان مقتله نقطة تحول في تاريخ المسلمين وحياتهم ، فالقلبوا رأساً على عقب ، فتسلحوا بقوة العزم والتصميم ، وتحرروا من جميع السلبات التي كانت ملمة بهم ، وانقلبت مفاهيم الخوف والخنوع التي كانت جائمة عليهم الى مبادئ الثورة والنضال ، فهبوا متضامنين في ثورات مكثفة ، وكان شعارهم (يالثرات الحسين) فكان هذا الشعار هو الصرخة المدوية التي دكت عروش الأمويين وازالت سلطانهم .

٧ - تحرير اقتصاد الأمة :

وانهار اقتصاد الأمة الذي هو شرايين حياتها الاجتماعية والفردية فقد عمد الأمويون بشكل سافر الى نهب الخزينة المركزية والاستئثار بالفيء

وسائر تمرات الفتوح والغنائم ، فحازوا الثراء العريض ، وتكدست في بيوتهم الأموال الهائلة التي حاروا في صرفها ، وقد أعلن معاوية امام المسلمين ان المال مال الله ، وليس مال المسلمين فهو أحق به ، ويقول سعيد بن العاص : انما السواد بستان قريش ، وقد أخذوا ينفقون الأموال على اغراضهم السياسية التي لا تمت بصلة لصالح الأمة . أما مواد انفاقهم البارزة فهي : أ - شراء الضحائر والأديان ، وقد تقدمت الشواهد المؤيدة لذلك عند البحث عن سياسة معاوية الاقتصادية .

ب - الانفاق على لجان الوضع لافتعال الأخبار التي تدعم الكيان الأموي وتحط من قيمة أهل البيت ، وقد المعنا الى ذلك بصورة مفصلة . ج - الهبات الهائلة والعطايا الوافرة للوجوه والأشراف لكم افواهم عما تقتضيه السلطة من الظلم للرعية .

د - الصرف على المجون والدعارة ، فقد امتلكت بيوتهم بالمغنين والمغنيات وادوات العزف وسائر المنكرات .

هذه بعض الموارد التي كان ينفق عليها الأموال ، في حين أن الجوع قد نهش الأمة وعمت فيها المجاعة ، وانتشر شبح الفقر في جميع الأقطار الاسلامية سوى الشام فقد رفه عليها لأنها الحصن المنيع الذي كان يحمي جور الأمويين وظلمهم .

وقد ثار للامام الحسين (ع) ليحامي اقتصاد الأمة ويعيد توازن حياتها المعاشية ، وقد صادر أموالا من الحجاج كالت قد ارسلت لمعاوية ، كما صادر امرا لا اخرى ارسلت من اليمن الى خزينة دمشق في أيام يزيد ، وقد انفقها على الفقراء والمعوزين ، وكان (ع) اكثر ما يعاني من الآلام هو اذ يرى الفقر قد أخذ بجنات المواطنين ، ولم ينفق شيء من بيت المال على انعاش حياتهم .

٨ - المظالم الاجتماعية :

وانتشرت المظالم الاجتماعية في انحاء البلاد الاسلامية ، فلم يعد قطر من الأقطار إلا وهو يعج بالظلم والاضطهاد من جورهم ، وكان من مظاهر ذلك الظلم ما يلي :

١ - فقد الأمن

وانعدم الأمن في جميع أنحاء البلاد ، وساد الخوف والأرهاب على جميع المواطنين ، فقد أسرفت السلطة الأموية بالظلم ، فجعلت تأخذ البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، وتعاقب على الظنة والتهمة ، وتسوق الأبرياء بغير حساب الى السجون والقبور ، وكان الناس في عهد زياد يقولون : « انج سعد فقد هلك سعيد » ولا يوجد أحد الا وهو خائف على دمه ، وماله ، فنار الامام الحسين (ع) لينقل الناس من هذا الجور الهائل .

٢ - احتقار الأمة

وكان الخط السياسي الذي انتهجه الأمويون العمل على اذلال الأمة والاستهانة بها وكان من مظاهر ذلك الاحتقار أنهم كانوا يحنثون في اعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم كما نقشوا على اكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعروج من الروم والحبيشة (١) وقد هب الامام (ع) في ميادين الجهاد ليفتح للمسلمين أبواب العزة والكرامة ، ويحطم عنهم ذلك الكابوس المظلم الذي احال حياتهم الى ظلام قائم لا بصيص فيه من النور .

(١) تأريخ التمدن الاسلامي .

٩ - المظالم الهائلة على الشيعة :

وذهبت نفس الامام الحسين اسي على ما عانتته الشيعة - في عهد معاوية - من ضرورب المخن والبلاء ، فقد آمن معاوية في ظلمهم وارماقهم وفتك بهم فتكا ذريعا ، وراح يقول للامام الحسين : « يا ابا عبد الله علمت أنا قتلنا شيعة ابيك فحنظناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم ، (١) وقد بلذ قصابي جهوده في تصفية الحساب معهم ، وقد ذكرنا عرضا مفصلا لما عانوه في عهد معاوية وخلصته .

١ - اعدام اعلامهم كحجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي وصيفي بن فسيل وغيرهم :

٢ - صلبهم على جذوع النخل

٣ - دفنهم احياء

٤ - عدم دورهم

٥ - عدم قبول شهادتهم

٦ - حرمانهم من العطاء

٧ - ترويع السيدات من نسايتهم

٨ - اذاعة الذعر والخوف في جميع اوساطهم

إلى غير ذلك من صنوف الارهاق الذي عانوه ، وقد ذكر الامام الحسين (ع) مما حل بهم ، فبعث بمذكرته الخطيرة لمعاوية التي سجل فيها جرائم ما ارتكبه في حق الشيعة ، وقد ذكرناها في البحث عن حكومة معاوية .

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٠٦ .

لقد كانت الاجراءات القاسية التي اتخذها الحكم الأموي ضد الشيعة من اسباب ثورته فهب لانقاذهم من واقعهم المرير ، وحمايتهم من الجور والظلم .

١٠ - نحو ذكر اهل البيت :

ومن ألع الأسباب التي ثار من أجلها أبو الشهداء (ع) هو ان الحكم الأموي قد جهد على نحو ذكر أهل البيت (ع) واستئصال مآثرهم ومناقبهم وقد استخدم معاوية في هذا السبيل أخصب الوسائل وهي :

١ - افتعال الأخبار في الخط من شأنهم

٢ - استخدام أجهزة التربية والتعليم لتربية النشء على بغضهم

٣ - معاقبة من يذكر مناقبهم بأقصى العقوبات

٤ - سبهم على المنابر والمآذن وخطب الجمعة

وقد عقد الامام الحسين (ع) مؤتمره السياسي الكبير في مكة المكرمة وأحاط المسلمين علماً بالاجراءات الخطيرة التي اتخذها معاوية إلى ازالة أهل البيت عن الرصيد الاسلامي . . . وكان (ع) يتحرق شوقاً إلى الجهاد ، ويود أن الموت قد وافاه ولا يسمع سب أبيه على المنابر والمآذن :

١١ - تدمير القيم الاسلامية :

وعمد الأمويون إلى تدمير القيم الاسلامية ، فلم يعد لها اي ظل على واقع الحياة الاسلامية وهذه بعضها :

أ - الوحدة الاسلامية

وأشاع الأمويون الفرقة والاختلاف بين المسلمين فأحيوا العصبية القبلية ، وشجعوا الهجاء بين الأسر والقبائل العربية حتى لا تقوم وحدة بين المسلمين ، وقد شجع يزيد الأخطل على هجاء الأنصار الذين آووا النبي (ص) وحاموا عن دينه أيام غربة الاسلام ومحنته :
لقد كانت الظاهرة البارزة في شعر ذلك العصر هي الهجاء المقذع فقد قصر الشعراء مواهبهم الأدبية على الهجاء والتفنن في أساليب القذف والسب للأسر التي كانت تنافس قبائلهم ، وقد خلى الشعر الأموي عن كل نزعة انسانية أو مقصد اجتماعي ، وتفرد بظاهرة الهجاء ، وقد تحولت بذلك ما كان ينشده الاسلام من الوحدة الشاملة بين أبنائه .

ب - المساواة

وهدم الأمويون المساواة العادلة التي أعلنتها الاسلام ، فقدموا العرب على الموالي وأشاعوا جواً رهيباً من التوتر والتكتل السياسي بين المسلمين ، وكان من جراء ذلك أن ألّف الموالي مجموعة من الكتب في نقص العرب وضمهم ، كما ألّف العرب كتباً في نقص الموالي واحتقارهم ، وعلى رأس القائمة التي اثارها هذا النحو من التوتر بين المسلمين زياد بن أبيه فقد كان حاقداً على العرب ، وقد عهد الى الكتاب بانتقاصهم .
وقد خالفت هذه السياسة التكرار روح الاسلام الذي ساوى بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات على اختلاف قومياتهم .

ج - الحرية

ولم يعد أي مفهوم للحرية ماثلاً على مسرح الحياة طيلة الحكم الأموي فقد كانت السلطة تخاسب الشعب حساباً منكراً وعسيراً على كل بادرة لا تنفق مع رغباتها ، حتى لم يعد في مقدور أي أحد أن يطالب بحقوقه ، أو يتكلم بأي مصلحة للناس فقد كان حكم النطم والسيف هو السائد في ذلك العصر .

لقد ثار أبو الأحرار لينتقد الانسان المسلم وغيره من الاضطهاد الشامل ويعيد للناس حقوقهم التي ضاعت في أيام معاوية ويزيد .

١٢ - انهيار المجتمع :

وانهار المجتمع في عصر الأمويين ، وتحلل من جميع القيم الاسلامية أما أهم العوامل التي أدت إلى انهياره فهي :

١ - حرمان المجتمع من التربية الروحية فلم يحفل بها أحد من الخلفاء سوى الامام أمير المؤمنين (ع) فقد عنى بها عناية بالغة إلا انه قد منى بالأحداث الرهيبة التي منعه من مواصلة مسيرته في اصلاح الناس وتقوم اخلاقهم .

٢ - امان الحكم الأموي في افساد المجتمع وتضليله ، وتغلديته بكل ما هو بعيد عن واقع الاسلام وهديه :

ان هذين العاملين - فيما نحسب - من أهم العوامل التي أدت على الى انهيار ذلك المجتمع :: : اما مظاهر ذلك التحلل والانهيار فهي :

١ - نقض العهد

ولم يتأثم أغلب أبناء ذلك المجتمع من نقض اليهود والمواثيق ، فقد كان عدم الوفاء بها أمراً عادياً ، ومتسائلاً عليه ، وقد شجعهم على ذلك (كسرى العرب) ، فقد أعلن في خطابه بالنخيلة ان كل ما شرطه على نفسه للامام الحسن لا يفي به ، وعمد الى نقض جميع الشروط التي أعطاهم له . . وكانت هذه الظاهرة من ابرز ذاتيات الكوفيين ، فقد اعطوا للامام الحسين أعظم اليهود والمواثيق على مناصرته ، ومناجزة عدوه إلا انهم خاسوا ما عاهدوا عليه الله فخذلوه وقتلوه .

٢ - عدم التحرج من الكذب

ومن الأمراض التي أصيب بها ذلك المجتمع عدم التحرج من الكذب وقصد سُني الكوفيون بذلك بصورة خاصة ، فانهم لما أحاطوا بالامام الحسين (ع) - يوم الطف - لقتله ، وجه (ع) سؤالا الى قادة الفرق الذين كاتبوه بالقدوم اليهم فقال :

« يا شيبث بن ربعي ، ويا حجار بن ابجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحرث ، ألم تكتبوا إلي أن قد اينعت الثمار ، واخضر الجناب وانما تقدم على جندك مجندة . . » :

ولم تنجزل تلك النفوس القلدة من تعمد الكذب فأجابوه مجمعين :

« لم نفعل »

وجهر الامام فاندفع يقول :

« سبحان الله ! ! بلى والله لقد فعلتم . . » .

وقد جروا الى المجتمع بما اقترفوه من الآثام كثيراً من الولايات
والخطوب ، وتسلم بهم أئمة الظلم والجور الى اضطهاد المسلمين وارغامهم
على ما يكرهون .

٣ - عرض الضمائر للبيع

وقد كان من أخط ما وصل إليه ذلك المجتمع من الانحراف والزيف
عرض الضمائر والأديان لبيعها على السلطة جهاراً ، وقد المعنا الى ذلك
بصورة مفصلة عند البحث عن عهد معاوية .

٤ - الاقبال على اللهو

وأقبل المجتمع بنهم على اللهو والدعارة ، وقد شجع الأمويون بصورة
مباشرة حياة المجون لزراعة العقيدة الدينية من النفوس ، وصرف الناس
عما ينشده الاسلام من التوازن في سلوك الفرد .
هذه بعض الأمراض التي المت بالمجتمع الاسلامي ، وقد أدت إلى
تسييه ، والهيار قيمه وقد ثار الامام الحسين (ع) ليقضى على التلهذب
والانحراف الذي منيت به الأمة .

١٣ - الدفاع عن حقوقه :

وانبرى الامام الحسين (ع) للجهاد دفاعاً عن حقوقه التي نهبها
الأمويون واغتصبوها ، وأهمها - فيما نحسب - ما يلي :

وآمن الامام الحسين (ع) - كأبيه - أن العترة الطاهرة أولى بمقام رسول الله (ص) وأحق بمركزه من غيرهم ، لأنهم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، بهم فتح الله ، وبهم ختم - على حد تعبيره - وقد طبع على هذا الشعور وهو في غضون الصبا ، فقد انطلق الى عمر وكان على منبر رسول الله (ص) فصاح به .

« انزل عن منبر أبي ، واذهب الى منبر أبيك » .

ولم ينفرد الامام الحسين بهذا الشعور وإنما كان سائداً عند أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم يرون أن الخلافة من حقوقهم لأنهم الصق الناس برسول الله (ص) واكثرهم وعياً لأهدافه . . وهناك شيء آخر جدير بالاهتمام وهو ان الحسين (ع) كان هو الخليفة الشرعي بمقتضى معاهدة الصلح التي تم الاتفاق عليها ، فقد جاء في بنودها ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر الى أحد من بعده والأمر بعده للحسن ، فان حدث به حدث فالأمر للحسين ، (١) وعلى هذا ، فلم تكن بيعة يزيد شرعية ، فلم يخرج الامام الحسين (ع) على امام من أئمة المسلمين - كما يذهب لذلك بعض ذوي النزعات الأموية وإنما خرج (ع) على ظالم مغتصب لحقه .

٢ - الخمس

والخمس حق مفروض لأهل البيت (ع) نص عليه القرآن وتواترت به السنة ، ولكن الحكومات السابقة تناهته فلم تؤد لهم منه شيئاً لشل حركة المقاومة عند العلويين ، وقد أشار الامام الحسين (ع) الى ذلك في

(١) حياة الامام الحسن ٢ / ٢٨٨ الطبعة الثانية .

حديثه مع أبي هريرة الذي نهاه عن الخروج على بني أمية ، فقال (ع) له :
« ويحك أبا هريرة ان بني أمية أخذوا مالي فصبرت » .
واكبر الظن ان المال الذي أخذته بنو أمية منه هو الخمس ، وقد أعلن
ذلك دعبل الخزاعي في رثعته التي انشدها أمام الرضا (ع) في خراسان
بقوله :

أرى فيثهم في غيرهم متقسما وإيديهم من فيثهم صفرات
والتاع الامام الرضا (ع) فجعل يقاب يديه وهو يقول :
« انها - والله - لصفرات » وقد أقض مضاجع العلويين منهم
من الخمس باعتباره أحد المصادر الرئيسية لحياتهم الاقتصادية .
ولعل الامام الحسين قد استهدف بنهضته ارجاع هذا الحق
السليب لأهل البيت (ع) .

١٤ - الأمر بالمعروف :

ومن أوكد الأسباب التي ثار من أجلها أبي الضيم (ع) اقامة
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانها من مقومات هذا الدين ، والامام
بالدرجة الأولى مسؤول عنها . وقد أدلى (ع) بذلك في وصيته لأخيه
ابن الحنفية التي أعلن فيها عن اسباب خروجه على يزيد ، فقال (ع)
« اني لم اخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا ظالماً ، ولا مفسداً ، وانما خرجت
لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر » .
لقد انطلق (ع) الى ميادين الجهاد ليقيم هذا الصرح الشامخ الذي
بنيت عليه الحياة الكريمة في الاسلام ، وقد انهارت دعائمه أيام الحكم
الأموي فقد أصبح المعروف في عهدهم منكراً ، والمنكر معروفاً ، وقد

انكر عليهم الامام في كثير من المواقف ، والتي كان منها خطابه الرائع امام المهاجرين والأنصار ، فقد شجب فيه تخاذلهم عن نصرة الحق ودحض الباطل ، واثارهم للعافية ، وقد ذكرناه في الحلقة الأولى من هذا الكتاب :

ومما قاله (ع) في هذا المجال امام اصحابه واهل بيته يوم الطف :
« الاترون الى الحق لا يعمل به ، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه ، لقد آثر الموت على الحياة ، لأنه يرى الحق قد تلاشى والباطل قد استشرى .

١٥ - امانة البدع :

وعند الحكم الأموي الى نشر البدع بين المسلمين ، التي لم يقصد منها إلا محق الاسلام ، والحاق المزيمة به ، وقد اشار الامام (ع) . إلى ذلك في رسالته التي بعثها لأهل البصرة يقول (ع) : « فان السنة قد اميتت والبدعة قد احييت » (١) .

لقد ثار (ع) ليقضي على البدع الجاهلية التي تبناها الأمويون ، ويحيي سنة جده التي امانوها ، فكانت نهضته الخالدة من اجل امانة الجاهلية ونشر راية الاسلام .

(١) الطبري ٦ / ٢٠٠ .

١٦ - العهد النبوي :

واستشف النبي (ص) من وراء الغيب ما يبنى به الاسلام من الأخطار الهائلة على أيدي الأمويين ، وانه لا يمكن بأي حال تجديد رسالته وتخليد مبادئه إلا بتضحية ولده الامام الحسين (ع) فانه هو الذي يكون الدرع الواقى لصيانة الاسلام فعهد إليه بالتضحية والفداء ، وقد أدلى الحسين بذلك حينما عدله المشفقون عليه من الخروج الى العراق فقال (ع) لهم :

« أمرني رسول الله (ص) بأمر وأنا ماض إليه . . . » .

ويقول المؤرخون : ان النبي (ص) كان قد نعى الحسين الى المسلمين وأحاطهم علماً بشهادته وما يعانيه من أهوال المصائب ، وكان - باستمرار - يتجمع عليه ويلعن قاتله ، وكذلك أخبر الامام أمير المؤمنين (ع) بشهادته وما يجرى عليه ، وقد ذكرنا في الحلقة الأولى من هذا الكتاب الأخبار المتواترة بذلك . . . وكان الامام الحسين (ع) على علم وثيق بما يجرى عليه فقد سمع ذلك من جده وأبيه وقد أيقن بالشهادة ، ولم يكن له أي أمل في الحياة فمشى إلى الموت بهزم وتصميم امثالاً لأمر جده الذي عهد إليه بذلك :

١٧ - العزة والكرامة :

ومن أوثق الأسباب التي ثار من أجلها ابوالأحرار هو العزة والكرامة فقد أراد الأمويون ارغامه على الذل ، والخنوع ، فأبى إلا أن يعيش عزيزاً تحت ظلال السيوف والرماح ، وقد أعلن سلام الله عليه ذلك يوم الطف بقوله :

« الا وان الدهي ابن الدهي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة ،

وهيهات منا الذلة يأتي الله لنا ذلك ورسوله ، ونفوس أبية ، وانوف حمية
من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام
وقال (ع) :

« لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما . . . »
لقد عانق الموت بثغر باسم في سبيل ابائه وعزته ، وضحي بكل
شيء من أجل حرите وكرامته .

١٨ - غدر الأمويين وفتكهم :

وايقن الامام الحسين (ع) ان الأمويين لا يتركونه ، ولا تكف
أيديهم عن الغدر والفتك به حتى لو سالمهم وبايعهم ، وذلك لما يلي :
١ - ان الامام كان ألمع شخصية في العالم الاسلامي ، وقد عقد له
المسلمون في دخائل نفوسهم خالص الود والولاء لأنه حفيد نبيهم وسيد
شباب أهل الجنة ، ومن الطبيعي انه لا يروق للأمويين وجود شخصية
تتمتع بنفوذ قوي ، ومكانة مرموقة في جميع الأوساط فانها تشكل خطراً
على سلطانهم وملكهم .

٢ - ان الأمويين كانوا حاقدين على النبي (ص) لأنه وارههم في
واقعة بدر ، وألحق بهم الهزيمة والعار ، وكان يزيد يتربص الفرص للانتقام
من أهل بيت النبي (ص) ليأخذ ثارات بدر منهم ، ويقول الرواة إنه
كان يقول :

لست من خندف إن لم التقم من بني احمد ما كان فعل
ولما استوفى ثأره وروى احقاده بآبادتهم أخذ يترنم ويقول :
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه بسدر فاعادل

٣ - ان الأمويين قد عرفوا بالغدر ونقض العهود ، فقد صالح الحسن معاوية ، وسلم إليه الخلافة ومع ذلك فقد غدر معاوية به فهدس إليه سماً فقتله ، واعطوا الأمان لمسلم بن عقيل فخانوا به . . وقد ذكرنا في البحوث السابقة مجموعة من الشخصيات التي اغتالها معاوية خشية منهم .

وقد اعلن الامام الحسين (ع) ان بني أمية لا يتركونه يقول (ع) لأخيه محمد بن الحنفية : « لو دخلت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلونني » وقال (ع) لجعلر بن سليمان الضبيعي : « والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة - يعني قلبه الشريف - من جوفي » .

واختار (ع) أن يعلن عليهم الحرب ويموت ميتة كريمة تهز عروشهم وتقضي على جبروتهم وطغيانهم .

هذه بعض الأسباب التي حفزت أبا الأحرار إلى الثورة على حكم يزيد

رأي رخيص :

ووصفت جماعة من المتعصبين لبني أمية خروج الامام على يزيد بأنه كان من اجل الملك والظفر ببحيرات البلاد ، وهذا الرأي ينم عن حقدهم على الامام بما احرزه من الانتصارات الرائعة في نهضته المباركة التي لم يظفر بمثل معطياتها أي مصلح اجتماعي في الأرض ، وقد يكون لبعضهم العذر لجهلهم بواقع النهضة الحسينية ، وعدم الوقوف على اسبابها ، لقد كان الامام على يقين باخفاق ثورته في الميادين العسكرية ، لأن خصمه كان يدعه جند مكثف أولو قوة وأولو بأس شديد ، وهو لم تكن عنده أية قوة عسكرية ليحصل على الملك ، ولو كان الملك غايته - كما يقولون - لماد

إلى الحجاز او مكان آخر حينما بلغه مقتل سفيره مسلم بن عقيل ، وانقلاب الكوفة عليه ، ويعمل حيثئذ من جديد على ضمان غايته ، ونجاح مهمته لقد كان الامام على علم بأن الأوضاع السائدة كلها كانت في صالح بني امية وليس منها مما يدعمه او يعود لصالحه ، يقول ابن خلدون : « ان هزيمة الحسين كانت امراً محتماً لأن الحسين لم تكن له الشوكسة التي تمكنه من هزيمة الأمويين لأن عصبية مضر في قريش ، وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف في بني امية ، فعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس لا ينكرونه » (١) .

لقد كانت ثورة الامام من اجل غاية لا يفكر بها اولئك الذين فقدوا وعيهم ، واختيارهم فقد كان خروجه على حكم يزيد من اجل حماية المثل الاسلامية والقيم الكريمة من الأمويين الذين حملوا عليها معول الهدم . يقول بعض الكتاب المعاصرين .

« ويحق لنا أن نسأل ماذا كان هدف الحسين عليه السلام ، وماذا كانت القضية التي يعمل من اجلها ؟ أما لو كان هدفه شخصياً يتمثل في رغبته في اسقاط يزيد ليتولى هو بنفسه الخلافة التي كان يطمح إليها ، ما وجدنا فيه هذا الاصرار على التقدم نحو الكوفة رغم وضوح تفرق الناس من حوله ، واستسلامهم لابن زياد ، وحملهم السلاح في اعداد كثيرة لمواجهة والقضاء عليه .

ان أقصر الناس نظراً كان يدرك ان مصيره لن يختلف عما آل إليه فعله ، ولو كان الحسين بهذه المكانة من قصر النظر لعاد إلى مكة ليعمل من جديد للوصول إلى منصب الخلافة . . ولو كان هدفه في أول الأمر الوصول إلى منصب الخلافة ثم لما بلغه مصرع ابن عمه قورمواصلة السفر للثأر

(١) المقدمة (ص ١٥٢) .

من قائله - كما يزعم بعض الباحثين - استجابة لقضية اهله واقاربه ، لو كان هذا هدفه لأدرك ان جماعته التي خرجت معه للثأر وهي لا تزيد على التسعين رجلاً ونساءً واطفالاً ان تصل إلى شيء من ذلك من دون ان يقضى على افرادها جميعاً ، وبغير ان يضحى هو بنفسه ضحية رخيصة في ميدان الثأر . ومن ثم يكون من واجبه للثأر ان يرجع ليعيد تجميع صفوف النصارى واقربائه ، ويتقدم في الجمع العظيم من الغاصبين والموتورين .

فالقضية اذاً ليست قضية ثأر والهدف ليس هدفًا شخصياً ، وانما الأمر أمر الأمة ، والقضية كانت للحق ، والاقدام اقدم القدائي الذي أراد أن يضرب المثل بنفسه في البلد والتضحية ، ولم يكن اصرار الحسين على التقدم نحو الكوفة بعد ما علم من تحاذك أهلها وكوصهم عن الجهاد إلا ليجعل من استشهاده علماً تلتف حوله القلة التي كانت لا تزال تؤمن بالمثل وتلتمس في القادة من ينير لها طريق الجدل في الكفاح . . وتحريكاً لضمائر المتخاذلين القاعدين عن صيانة حقوقهم ورعاية صوالجهم .

والمّ هذا القول بالواقع المشرق الذي ناضل من أجله الامام الحسين فهو لم يستهدف أي مصلحة ذاتية ، وانما استهدف مصلحة الأمة وصيانتها من الأمويين .

تخطيط الثورة :

ودرس الامام الحسين (ع) أبعاد الثورة بعمق وشمول ، وخطط أساليبها بوعي وإيمان ، فرأى أن يزج بجميع ثقله في المعركة ، ويضحى بكل شيء لانقاذ الأمة من محتتها في ظل ذلك الحكم الأسود الذي تنكر لجميع متطلبات الأمة . . وقد أدرك المستشرق الألماني مارين تخطيط الامام

الحسين لثورته ، فاعتبر أن الحسين قد توخى النصر منذ اللحظة الأولى ،
وعلم النصر فيسه ، فحركة الحسين في خروجه على يزيد - كما يقول -
انما كانت عزيمة قلب كبير عز عليه الاذعان ، وعز عليه النصر العاجل ،
فخرج بأهله وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ،
ويحيي به قضية مخدولة ليس لها بغير ذلك حياة :

لقد أيقن أبو الشهداء (ع) ان القضية الاسلامية لا يمكن أن تنتصر
إلا بفخامة ما يقدمه من التضحيات فصمم بعزم وإيمان على تقديم أروع
التضحيات وهذه بعضها :

١ - التضحية بنفسه :

واعلان الامام (ع) عن عزمه على التضحية بنفسه ، فاذاغ ذلك في
مكة فأخبر المسلمين ان أوصاله سوف تتقطع بين النواويس وكرهلا ، وكان
في أثناء مسيرته الى العراق يتحدث عن مصرعه ، ويشابه بينه وبين أخيه
يحيى بن زكريا وان رأسه الشريف سوف يرفع إلى بغهي من بغايا بني أمية
كما رفع رأس يحيى إلى بغهي من بغايا بني اسرائيل .

لقد صمم على الموت واستهان بالحياة من أجل أن ترتفع راية الحق
وتعلو كلمة الله في الأرض وبقي صامداً على عزمه الجبار فلم يرتهب حينما
أحاطت به الجيوش الهائلة وهي تبعد أهل بيته وأصحابه في مجزرة رهيبة
اهتز من هولها الضمير الانساني ، وقد كان في تلك اللحظة الحازبة من أربط
الناس جأشاً ، وأمضاهم جناناً ، فلم ير قبله ولا بعده شبيهاً له في شدة بأسه
وقوة عزمته ، كما لا يعرف التاريخ في جميع مراحلها تضحية أبلغ أثراً في

حياة الناس من تضحيته عليه السلام فقدس بقيت صرخة مدوية في وجوه
الظالمين والمستبدين :

٢ - التضحية بأهل بيته :

وأقدم أبو الشهداء (ع) على أعظم تضحية لم يقدمها أي مصلح
اجتماعي في الأرض ، فقد قدم أهناه وأهل بيته وأصحابه فداءً لما يرتأيه
ضميره من تعميم العدل وإشاعة الحق والخير بين الناس .
وقد خطط هذه التضحية ، وآمن بأنها جزء من رسالته الكبرى ،
وقد أذاع ذلك وهو في يثرب حينما خملت إليه السيدة أم سلمة زوج النبي
تعلله عن الخروج ، فأخبرها عن قتله وقتل أطفاله . . وقد مضى إلى
ساحات الجهاد وهو متسلح بهذا الايمان ، فكان يشاهد الصفوة من أصحابه
الذين هم من أبلل من عرفتهم الانسانية في ولائهم للحق ، وهم يتسابقون
إلى المنية بين يديه ، ويرى الكواكب من أهل بيته وأهنامه ، وهم في
غضارة العمر وريعان الشباب ، وقد تناهبت أشلاءهم السيوف والرماح ،
فكان يامرهم بالثبات والخلود إلى الصبر قائلاً :

« صبراً يا بني عمومي ، صبراً يا أهل بيتي لا رأيتم هوانا بعد هذا
اليوم أهدأ » .

واهتزت الدنيا من هول هذه التضحية التي تمثل شرف العقيدة ، وسمو
القصد وعظمة المبادئ التي ناضل من أجلها ، وهي - من دون شك -
سبقي قائمة على عمر القرون والأجيال ، تضحية للناس الطريق ، وتمدهم
بأروغ الدروس عن التضحية في سبيل الحق والواجب .

٣- التضحية بأمواله :

وضحى أبي الضمير بجميع ما يملك فداءً للقرآن ، ووقاية لدين الله ، وقد هجمت - بعد مقتله - الوحوش الكاسرة من جيوش الأمويين على مخيمه فتناهبوا ثقله ومتاعه حتى لم يتركوا ملحمة او ازاراً على مخدرات الرسالة الا نهبوه ، ومثلوا بذلك حصة اللسان حينما يفقد ذاتياله ، ويمسخ ضميره .

٤ - حمل عقائل النبوة :

وكان من اروع ما خططه الامام العظيم (ع) في ثورته الكبرى حمله لعقائل النبوة ومخدرات الرسالة الى كربلاء ، وهو يعلم ما سيجري عليهم من النكبات والخطوب ، وقد اعلن ذلك حينما هدله ابن عباس عن حملهن معه الى العراق ، فقال له :

« قد شاء الله ان يراهن سبايا . . . » .

لقد اراد (ع) بذلك ان يستكمل اداء رسالته الخالدة في تحرير الأمة وانقاذها من الاستعباد الأموي . . . وقد قمن تلك السيدات بدور مشرق في اكمال نهضة أبي الشهداء (ع) فأيقظن المجتمع بعد سباته ، وأسقطن هيبة الحكم الأموي ، وفتحن باب الثورة عليه ، ولولاهن لم يتمكن أحد أن يفوه بكلمة واحدة أمام ذلك الطغيان الفاجر ، وقد أدرك ذلك كل من تأمل في نهضة الامام ودرس ابعادها ، وقد ألمح إليها بعض العلماء والكتاب ، وفيما يلي بعضهم :

١ - الامام كاشف الغطاء

وأكد الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في كثير من مؤلفاته أن الغاية من خروج الامام بعائلته الى كربلا اكتمالا لنهضته وبلوغاً الى هدفه في تحطيم دولة الأمويين يقول : « وهل تشك وترتاب في أن الحسين (ع) لو قتل هو وولده ، ولم يتعمقه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحديات للذهب قتله جباراً ، ولم يطلب به أحد ناراً ولضاع دمه هدراً ، فكان الحسين يعلم أن هذا عمل لا يلد منه ، وأنه لا يقوم به إلا تلك العقائل فوجب عليه حتماً أن يحملهن معه لا لأجل المظلومية بسببهن فقط ، بل لنظر سياسي وفكر عميق ، وهو تكميل الغرض ، وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد ، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على الاسلام وتعود الناس الى جاهليتها الأولى . . » (١) .

٢ - أحمد فهمي

يقول الاستاذ السيد أحمد فهمي : « وقد أدرك الحسين أنه مقتول إذ هو يعلم علم اليقين قبح طوية يزيد ، واسفاف نحيبته ، وسوء سريرته فيزيد بعد قتل الحسين ستمتد يده الى أن يؤدي النبي (ص) في سلالته من قتل الأطفال الأبرياء ، وانتهاك حرمة النساء ، وحملهن ومن بقي من الأطفال من قفرة الى قفرة ومن بلد الى بلد ، فيثير مرأى اولئك حفيظة المسلمين ، فليس ثمة اشنع ، ولا أفظع من التشفي والانتقام من النساء والأطفال بعد قتل الشباب والرجال فهو بخروجه بتلك الحالة أراد أن يثار (١) تحدث الامام كاشف الغطاء عن هذه الجهة بالتفصيل في كتابه السياسة الحسينية .

من يزيد في خلافته ، ويقتله في كرامته ، وحقاً لقد وقع ما توقعه ، فكان لما فعله يزيد وعصيته من فظيخ الأثر في نفوس المسلمين ، وزاد في اضعانهم ما عرضوا به سلالة النبوة من هتك خدر النساء ، وهن اللاتي ما عُرِفْنَ إلا بالصيانة والطهر والعز والمنعة ، مما اطلق السنة الشعراء بالهجاء والدم ، ونفر أكثر المسلمين من خلافة الأمويين ، واسخط عليهم قلوب المؤمنين ، فقد قتله الحسين أشد من قتله إياه ، (١) .

٣ - أحمد محمود صبحي

يقول الدكتور احمد محمود صبحي : ثم رفض - يعني الحسين - إلا أن يصحب أهله ليشهد الناس على ما يقترفه اعداؤه بما لا يبرره دين ولا وازع من انسانية ، فلا تضيع قضيته مع دمه المراق في الصحراء فيفتري عليه أشد الافتراء حين يعدم الشاهد العادل على كل ما جرى بينه وبين أعدائه ، تقول الدكتورة بنت الشاطيء : افسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لدة النصر ، وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس الظافرين وان كل الأحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدواة الأموية وقيام الدولة العباسية ثم تأصل مذهب الشيعة انما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته (٢) .

أريد أن أقول ما إذا يكون الحال لو قتل الحسين ومن معه جميعاً من الرجال الا أن يسجل التاريخ هذه الحادثة الخطيرة من وجهة نظر أعدائه

(١) ربحانة الرسول (ص ١٦٧) .

(٢) بطاقة كربلاء (ص ١٧٦ و ١٨٠) .

فيضيع كل اثر لقضيته مع دمه المسفوك في الصحراء . . . (١) :

هذه بعض الآراء التي تدعم ما ذكرناه من أن خروج الحسين (ع) بهائلته لم يكن الغرض منه إلا بلورة الرأي العام ، وابطحاق المقاصد الرفيعة التي ثار من أجلها ومن أهمها القضاء على دولة الأمويين التي كانت تشكل خطراً مباشراً على العقيدة الإسلامية وهناك رأي آخر أدلى به العلامة المغفور له الشيخ عبد الواحد المظفر ، وهو ان الحسين لما خرج بهائلته خوفاً عليها من اعتقال الأمويين وزجها في سجونهم قال : « الحسين لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السلطة الأموية عليها الحجر ، لا بل اعتقلتنا علناً وزجتها في ظلمات السجون ، ولا بد له حينئذ من أحد أمرين خطيرين كل منهما يشل أعضاء نهضته المقدسة !

اما الاستسلام لأعدائه واعطاء صفقته لهم طائماً ليستنقذ العائلة المصونة وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده ، وفرض على نفسه القيام به مهما كلفه الأمر من الأخطار ، أو يمضي في سبيل احياء دعوته ، ويترك المخدرات اللواتي ضرب عليهن الوحي سترأ من العظمة والاجلال ، وهذا مالا تطبيق احتمال نفسه الحسين الغيور ولا يردع امية رادع من الحياء ، ولا يزجرها زاجر من الاسلام .

ان امية لا يهدها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدها ، وادراك غاياتها فتوصل الى غرضها ولو هارتكاب أقيح المنكرات الدينية والعقلية .

ألم يطرق سمعك سجن الأمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي ، وزوجة عبيد الله بن الحر الجعفي واخيراً زوجة الكميث الأشدي ، (٢) .

(١) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية (ص ٣٤٣) .

(٢) توضيح الغامض من اسرار السنن والفرائض (ص ٢٩٧ -

وعلى أي حال فقد حطم الامام بخروجه لعائلته جميع مخططات السياسة الأموية ونسف جميع ما أقامه معاوية من معالم الظلم ، فقد قمن عقائل الوحي بدور فعال يبث الوعي الاجتماعي ، وتعريف المجتمع بواقم الأمويين وتجريدهم من الاطار الديني ، ولولا هن لاندركت معالم ثورة الحسين ، وذهبت ادراج الرياح .

إن من ألمع الأسباب في استمرار خلود مأساة الامام الحسين (ع) واستمرار فعاليتها في بث الاصلاح الاجتماعي على امتداد التاريخ هو حمل و دائع الرسالة وعقائل الوحي مع الامام فقد قمن بدور مشرق ببلورة الرأي العام ، فحملن راية الايمان التي حملها الامام العظيم ، ونشرن مبادئه العليا التي استشهد من أجلها ، فقد انبرت حفيذة الرسول (ص) وشقيقة الحسين السيدة زينب بنت اميرالمؤمنين (ع) الى ساحات الجهاد ، وهي تدك حصون الظالمين ، وتدمر جميع ما احرزوه من الانتصارات في قتل اخيها ، وتلحق بهم المزيمة والعار ، وتملاً بيوتهم مأساة وحزناً .

لقد اقبلت قائدة المسيرة الحسينية عقيلة الوحي زينب (ع) الى ساحة المعركة وهي تشق صفوف الجيش تفتش عن جثمان اخيها الامام العظيم فلما وقفت عليه شخصت لها ابصار الجيش ، واستحال الى سمع فماذا تقول أمام هذه الخطوب المذهلة التي تواكبت عليها ؟ انها وقفت عليه غير مدهوشة لم تدهلها الرزايا التي تميد منها الجبال ، فشخصت ببصرها الى السماء ؟ وهي تقول بحماسة الايمان وحرارة العقيدة قائلة :

« اللهم تقبل منا هذا القربان » .

واطلقت بذلك أول شرارة للثورة على الحكم الأموي بعد أخيها ، وود الجيش أن تسبخ به الأرض فقد استبان له عظم ما اقترفه من الاثم وانه قد أباد

عناصر الاسلام ، ومراكز الوعي والايمان .

ولما اقتربت سبايا اهل البيت (ع) الى الكوفة خرجت الجماهير الحاشدة لاستقبال السبايا فخطبت فيهم عقيلة الوحي خطاباً مثيراً ومداهلاً واذا بالناس حيارى لا يعون ولا يدرون قد استحالت بيوتهم إلى ماتم وهم يندبون حظهم التعيس ويكون على ما اقترفوه من الجرم ، وحينما انتهت الى دار الامارة استقبلها الطاغية متشلياً بأحط وانحس ما يكون التشلي قائلاً :

« كيف رأيت صنع الله بأخيك ؟ » :

وانطلقت عقيلة بني هاشم ببسالة وصمود فأجابته بكلمات النصر والظفر قائلة :

« مارأيت إلا جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن اللج يومئذ تكلفك أمك يا بن مرجانة » .

واخذت هذه الكلمات ابن مرجانه فكانت اشق عليه من ضرب السيوف وطعن الرماح ، ولما انتهت إلى الشام هزت العرش الأموي بخطابها المثير الرائع ، وحققت بذلك من النصر ما لم تحققه الجيوش . . . لقد كان حمل الامام الحسين لعائلته قائماً على أساس من الوعي العميق الذي احرز به الفتح والنصر .

وهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض اسباب الثورة الحسينية ومخططاتها .

فَمَكَّة

وبعدما اهلن الامام الحسين (ع) رفضه السكامل لبيعة يزيد اتجه مع اهل بيته إلى مكة التي هي حرم الله ، وحرم رسوله ، عائداً ببيتها الحرام الذي فرض فيه تعالى الأمن والطمأنينة لجميع العباد .

لقد اتجه إلى هذا البلد الأمين ليكون بمأمن من شرور الأمويين واعتداءاتهم ، ويقول المؤرخون : إنه خرج ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة (٦٠ هـ) (١) وقد خيم الدعر على المدنيين حيناً رؤوا آل النبي (ص) ينزحون عنهم إلى غير مأب .

وفصل الركب من يثرب ، وهو جاد في مسيرته ، وكان الامام (ع) يتلو قوله تعالى :

« رب نجني من القوم الظالمين »

لقد شبه خروجه بخروج موسى على فرعون زمانه ، وكذلك قد خرج على طاغية زمانه فرعون هذه الأمة ليقيم الحق ، ويبني صروح العدل وسالك الطريق العام الذي يسلكه الناس من دون أن يتجنب عنه ، وأشار عليه بعض اصحابه ان يجيد عنه - كما فعل ابن الزبير - مخافة أن يدركه الطلب من السلطة في يثرب ، فأجاهه عليه السلام بكل بساطة وثقة في النفس قائلاً :

(لا والله لا فارقت هذا الطريق اهدأ او انظر إلى آيات مكة ، أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى . . .)

لقد رضي بكل قضاء يبرمه الله ، ولم يضعف ، ولم توهن عزيمته الأحداث الهائلة التي لا يطيقها اى انسان ، وكان يتمثل في اثناء مسيرته

(١) خطط المقرئزي ٢ / ٢٨٥ ، المنتظم لابن الجوزي ، الافادة في تاريخ الأئمة السادة وفي الفتوح ٥ / ٣٤ انه خرج لثلاث ليال مضين من شعبان .

بشعر يزيد بن المفرغ :
لا ذعرت السوام في فلق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم اعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا ترصدني أن احيدا (١)
لقد كان على ثقة ان المنايا ترصده ما دام مصمماً على عزمه الجبار
في أن يعيش عزيزاً لا يضمام ولا يلك ولا يخضع لحكم يزيد . . ويقول بعض
الرواة انه كان في مسيرته ينشد هذه الأبيات :
إذا المرء لم يحم بنيه وعمره ونسوته كان اللثيم المسبباً
وفي دون ما يبغى يزيد بنا غداً نخوض حياض الموت شرقاً ومغرباً
ونضرب كالطريق مقسداً إذا مارأه ضيغم راح هارباً
وذلك هذا الشعر على مدى عزمه على أن يخوض حياض الموت سواء
أكلت في المشرق أم في المغرب ولا يبائع يزيد بن معاوية :

مع عبد الله بن مطيع :

واستقبله في أثناء الطريق عبد الله بن مطيع العدوي ، فقال له :
- ابن يزيد أبا عبد الله ، جعلني الله فداك ؟
- أما في وقتي هذا أريد مكة ، فإذا صرت إليها استخرت الله في
أمري بعد ذلك .
- خار الله لك ، يا ابن بنت رسول الله فيما قد عزمت عليه ، اني
أشير عليك بمشورة فاقبلها مني .
- ما هي ؟

(١) تاريخ الطبري .

- اذا آليت مكة فاحذر أن يفرك أهل الكوفة ، فيها قُتل أبوك
واخوك طعنوه بطعنة كادت أن تأتي على نفسه ، فالزم الحرم فانك سيد
العرب في دمرك ، فوالله لئن هلكت ليهلكن اهل بيتك بهلاكك .
وشكره الامام وودعه ودعا له بخير (١) وسار موكب الامام بجد السير
لا يلبوي على شيء حتى انتهى إلى مكة فلما نظر الامام إلى جبالها تلا
قوله تعالى : « ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء
السبيل » (٢) .

(١) المنتظم لأبن الجوزي الجزء الخامس ، الفتوح ٥ / ٣٤ وجاء في
تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٥٥ ان الحسين مر بابن مطيع وهو يحفر بئراً ،
فقال له : إلى ابن فداك أبي وأمي ، فقال له : أردت مكة ، وذكر له
كتب أهل الكوفة إليه ، فقال ابن مطيع : فداك ابي وامي متعنا بتفلسك
ولا تسر إليهم ، فأبى الحسين ثم قال له ابن مطيع : إن بئري هذه قد
رسحتها وهذا اليوم أو ان تمامها قد خرج إلينا في الدلو شيء من مائها ، فلو
دعوت الله لنا فيها بالبركة ، فقال (ع) : هات من مائها فأتاه منه فشرب
منه ، وتمضمض ورده في البئر فغلب ماؤها ، وجاء في وسيلة المال في
عقد مناقب الآل (ص ١٨٥) لصلبي الدين : ان عبد الله لقي الحسين
فقال له : جعلت فداك أين تريد ؟ فقال : أما الآن فمكة ، وأما بعدها
فأستخبر الله ، فقال : خار الله لك وجعلنا فداك الزم الحرم فانك سيد
العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً ، وتنداعى إليك الناس من كل
جانب ، لانفارق الحرم فداك عمي وخالتي ، فوالله ان هلكت المسترقن
بعدك .

(٢) الفتوح ٥ / ٣٧ .

لقد كانت هجرته إلى مكة كهجرة موسى إلى مدين ، فكل منهما قد فر من فرعون زمانه ، وهاجر لمقاومة الظلم ومناهضة الطغيان .

في مكة :

وانتهى الامام إلى مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال مضين من شعبان (١) وقد حط رحله في دارالعباس بن عبدالمطلب (٢) وقد استقبل استقبالاً حافلاً من المكيين ، وجعلوا يخلفون إليه بكرة وعشية ، وهم يسألونه عن أحكام دينهم ، واحاديث نبيهم ، يقول ابن كثير : « وعكف الناس بمكة يلهون إليه ، ويجلسون حواله ، ويستمعون كلامه ، وينتظرون بما يسمعون منه ، ويضبطون ما يروون عنه ، (٣) لقد كان يجاذبته الروحية مهوى القلوب ، وندي الأفتدة ، وقد حامت حوله النفوس تزوي غليلها من نعيم علومه التي هي امتداد من علوم جده منجبر العلم والنور في الأرض .

احتراف الحجاج والمعتمرين به :

وأخذ القادمون إلى بيت الله من الحجاج والمعتمرين من سائر الآفاق يخلفون إليه (٤) ويهتفون بالدعوة إليه ، ويطوفون حوله ، هذا يلتمس

(١) المنتظم لابن الجوزي ، الافادة في تأريخ الأئمة السادة .

(٢) تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٦٨ ، وفي الأخبار الطوال (ص ٢٠٩)

انه لزل في شعب علي . (٣) البداية والنهاية

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ (١٧٠) وسيلة المال في عهد

مناقب الآل (١٨٥) :

منه العلم والحديث ، وذاك يقتبس منه الحكم النافعة ، والكلم الجامعة ليهندي بأنوارهما في ظلمات الحياة (١) ولم يترك الامام ثانياً من وقته تمر دون أن يبيث الوعي الاجتماعي ، ويدعو الى اليقظة والحذر من السياسة الأموية الهادفة إلى استعباد المسلمين واذلالهم .

فزع ابن الزبير :

وكان ابن الزبير لاجئاً الى مكة فراراً من البيعة ليزيد ، وقد نقل عليه اختلاف الناس على الامام الحسين (ع) واجماعهم على تعظيمه وتبجيله وزهد الناس وانصرافهم عنه لأنه لم يكن يتمتع بصفة مجبوبة ، ولا بنزعة كريمة ، يقول زيد بن علي الجذعاني : « وكانت فيه خلال لا تصلح معها الخلافة لأنه كان بخيلاً ضيق العطن (٢) سيء الخلق ، حسوداً كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية ، ونفى عبد الله بن عباس الى الطائف ، (٣) ومن مظاهر ذاتياته الشح والبخل ، وفيه يقول الشاعر :

رأيت أبا بكر وربك غالب على أمره يبقي الخلافة بالتمر (٤)

وقد عانى الشعب في أيام حكمه القصير الجوع والحرمان ، كما عانت الموالى التي بالغت في نصرته أشد ألوان الضيق ، وقد عبر شاعرهم عن خيبة أملهم في نصرته يقول :

(١) نهضة الحسين (ص ٧٣) .

(٢) العطن : مبرك الابل ، ومربض الغنم :

(٣) فوات الوفيات ١ / ٤٤٨ .

(٤) المعارف لابن قتيبة (ص ٧٦) .

إن الموالى أمست وهي عابسة على الخليفة تشكو الجوع والسفها
ماذا علينا وماذا كان يرزونا أي الملوك على من حولنا غلبا (١)
واظهر ابن الزبير النسك والطاعة والتكشف تصنعا لصيد البسطاء
واغراء السلج ، وقد وصفه الامام امير المؤمنين (ع) بقوله : « ينصب
حياة الدين لاصطفاء الدنيا » (٢) .

ومن المؤكد أنه لم يكن يبغى في خروجه على سلطان بني أمية وجه الله
وانما كان يبغى الملك والسلطان ، وقد أدلى بذلك عبد الله بن عمر حينما
ألحت عليه زوجته في مبايعته ، وذكرت له طاهته وتقواه فقال لها :
« أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحج عليها الشهباء ؟ فان ابن
الزبير ما يريد غيرهن » (٣) .

وعلى أي حال فان ابن الزبير لم يكن شيء اثقل عليه من أمر الحسين
لعلمه بأنه لا يبايعه احد مع وجود الحسين (ع) لأنه ابن رسول الله (ص)
فليس على وجه الأرض أحد يساميه ولا يساويه - كما يقول ابن كثير - (٤)
واكد ذلك (اوكلي) قال : ان ابن الزبير كان مقتنعا تماما بأن كل
جهوده ستضيع عبثا طالما بقي الحسين على قيد الحياة ، ولكن اذا أصابه
مكروه فان طريق الخلافة سيكون ممهداً له .

(١) مروج الذهب ٣ / ٢٢ .

(٢) شرح النهج ٧ / ٢٤ .

(٣) المختار (ص ٩٥) .

(٤) البداية والنهاية ١٥٠/٨ وجاء في وسيلة المآل (ص ١٨٥) وقد
ثقلت وطأة الحسين على ابن الزبير لأن اسهل الحجاز لا يبايعونه ما دام
الحسين بالبلد ، ولا يتهيأ له ما يطلب منهم مع وجود الحسين .

وكان يشبر على الامام بالخروج إلى العراق للتخلص منه ، ويقول له :
« ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك ؟ فوالله لو أن لي مثلهم ما توجهت
إلا إليهم » (١) :

ولم يمنع ابن الزبير النصيحة للامام ، ولم يخلص له في الرأي ، وإنما
أراد أن يستريح منه ، ولم تخف على الامام دوافعه ، فراح يقول لأصحابه :
« إن هذا - وأشار إلى ابن الزبير - ليس شيء من الدنيا أحب إليه
من أن اخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لا يعدلونه في فود أني
خرجت حتى يخلو له » (٢) .

ولم تحفل السلطة الأموية بابن الزبير وإنما وجهت جميع اهتمامها
لحو الامام الحسين .

رأي الغزالي :

واستبعد الشيخ محمد الغزالي أن ابن الزبير قد أشار على الحسين
بالخروج إلى العراق ليستريح منه ، قال : « فعبد الله بن الزبير اتقى لله
وأعرق في الاسلام من أن يقترف هذه الدلية » (٣) .

وهذا الرأي بعيد عن الواقع فإن ابن الزبير لم تكن له أية حريجة في
الدين فهو الذي أجاج نار الفتنة في حرب الجمل وزج أهاه فيها ، وقد
تهالك على السلطان ، وضحى بكل شيء في سبيله ، وقد كان من

(١) تأريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٢٦٨ .

(٢) تأريخ ابن الأثير ٤ / ١٦ ، الطبري ٦ / ٢١٦ .

(٣) من معالم الحق (ص ١٣١) ،

أعدى الناس للعترة الطاهرة ، ومن كان هذا شأنه فهل يكون تقياً وعريقاً
في الاسلام ؟ .

رأي رخيصة :

من الآراء الرخيصة ما ذهب إليه أنيس زكريا المعروف بنزعته الأموية
ان من أهم الأسباب التي أدت إلى قتل الامام الحسين (ع) تشجيع ابن
الزبير له في الخروج إلى العراق ، فقد كان له أثره المهم في نفسه (١)
وهذا القول من أهزل الآراء فان الامام الحسين (ع) لم يتأثر بقول ابن
الزبير ، ولم ينخدع بتشجيعه له ، وإنما كانت هناك عوامل أخرى حفزته
إلى الخروج إلى العراق ، وقد ذكرناهما بالتفصيل في البحوث السابقة .

فزع السلطة المحلية :

وذعرت السلطة المحلية في مكة من قدوم الامام إليها ، وخافت أن
يتخذها مقراً سياسياً لدعوته ، ومنطلقاً لإعلان الثورة على حكومة دمشق ،
وقد خفت حاكم مكة عمرو بن سعيد الأشدق وهو ملصق فقال الامام ،
فقال له :

- ما أقدمك ؟

- عائداً بالله ، وبهذا البيت . . (٢) :

(١) الدولة الأموية في الشام (ص ٥٤) .

(٢) تذكرة الخواص (ص ٢٤٨) .

لقد جاء الامام عائداً ببيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً ،
وكان محصناً من كل ظلم واحتداء .
ولم يحفل الأشدق بكلام الامام وانما رفع رسالة إلى يزيد أحاطه بها
علماء بمجئ الامام إلى مكة ، واختلاف الناس إليه ، وازدحامهم على
مجلسه ، واجتماعهم على تعظيمه ، وأخبره ان ذلك بشكل خطراً على
الدولة الأموية .

قلق يزيد :

واضطرب يزيد كأشد ما يكون الاضطراب حينما وافته الأنباء بامتناع
الحسين عن بيعته وهجرته إلى مكة ، واتخاذها مركزاً لدعوته ، وارسال
العراق الوفود والرسائل إلى الدعوة لبيعته ، فكتب إلى عبد الله بن عباس
رسالة ، وهذا نصها :

« أما بعد : فان ابن عمك حسيناً ، وعدو الله ابن الزبير التوبيا
بييعني ولحقا بمكة مرصدين للفتنة ، معرضين أنفسهم للهلكة ، فأما ابن
الزبير فانه صريع القنا ، وقتيل السيف غداً ، وأما الحسين فقد أحببت
الأعداء إليكم أهل البيت مما كان منه ، وقد بلغني أن رجلاً من شيعته
من أهل العراق يكاتبونه ، ويكاتبهم ، وبمنونه الخلافة ، ويمنهم الامرة ،
وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام ،
وقد قطع ذلك الحسين ، وبته ، وأنت زعيم أهل بيتك ، وسيد بلادك ،
فألقه فارده عن السعي في الفتنة ، فان قبل منك وألأب فله عندي
الأمان ، والكرامة الراضعة ، وأجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه
وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أديك ، وأنفذ ضمانك ، وأقوم له بذلك

وله علي الأيمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ، ويعتمد
في كل الأمور عليه ، عجل بجواب كتابي ، وبكل حاجة لك قبلي والسلام
وختم كتابه بهذه الأبيات :

يا أيها الراكب العادي مطيته	على خدافرة في سيرها فحسم
ابلق قريشا على نأي المزار بها	بيني وبين الحسين الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده	عهد الاله غداً وما توفي به الدم
عنيتم قومكم فخراً بأمكم	أم لعمرى حصان عفة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد	بنت الرسول وخير الناس قد علموا
اني لأعلم أو ظناً كعالمه	والظن يصمدق أحياناً فيلتظم
ان سوف يترككم ما تدعون بها	قتلى تهاداكم العقبان والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إذ سكنت	وامسكوا بجبال السلم واعتصموا
قد جرب الحرب من قد كان قبلكم	من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصروا قومكم لا تهلكوا برحاً	فرب ذي برح زلت به القدم

ودلت هذه الرسالة على غباوة يزيد فقد حسب ان الامام يطلب المال
والثراء في خروجه عليه ، ولم يعلم أنه انما ناهضه لا يبغى بذلك إلا الله
والتناس الأجر في الدار الآخرة .

جواب ابن عباس :

وأجابه ابن عباس : أما بعد : فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق
الحسين وابن الزبير بمكة ، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه
يكتامنا مع ذلك اضغاثاً يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد ، لافك
الله أسيرها فارى في أمره ما انت راء . . واما الحسين فإنه لما نزل مكة

وترك حرم جسده ، ومنازل آباءه سألته عن مقدمه فأخبرني ان عمالك بالمدينة أساؤا إليه ، وعجلوا عليه بالكلام الفاحش ، فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به ، وسألقاه فيما اشرت إليه ، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة ، ويطفىء به النائرة ، ويحمد به الفتنة ، ويحقن به دماء الأمة ، فاتق الله في السر والعلانية ، ولا تبيتن ليلة وأنت تزيد لمسلم قائمة ، ولا ترصده بمظلمة ، ولا تحفر له مهراة (١) فكم من حافر لغيره حفرأ وقع فيه ، وكم من مؤمل أملا لم يؤث أمله ، وخذ يحظك من تلاوة القرآن ، ونشر السنة ، وعليك بالصيام والقيام لانشغلك عنها ملاهي الدنيا وأباطيلها فان كل ما اشتغلت به عن الله يضر ويفنى وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى . والسلام . . . (٢) .

وحفلت هذه الرسالة بما يلي :

- ١ - إنه لا علاقة لبني هاشم بابن الزبير ، ولا هم مسؤولون عن تصرفاته ، فقد كان عدواً لهم يتربص بهم الدوائر ، ويبغى لهم الغوائل .
- ٢ - ان الامام الحسين انما نزع من يثرب إلى مكة لا لاثارة الفتنة وانما لاسائة عمال يزيد له ، وقد قدم إلى مكة ليستجير ببيتها الحرام .

اقصاء حاكم المدينة :

كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والياً على يثرب بعد عزل مروان عنها ، وكان - فيما يقول المؤرخون - فظناً ذكياً يحب العافية ويكره الفتنة ، ولما امتنع الامام الحسين (ع) من البيعة ليزيد لم يتخذ معه

(١) المهراة : الحفرة

(٢) تذكرة الخواص (ص ٢٤٨ - ٢٥٠) تأريخ ابن عساكر ١٣ / ٧٠

الاجراءات الصارمة ، ولم يكرمه على ما لا يحب ، وانما فسح له المجال في الرحيل إلى مكة من دون أن يعوقه عنها ، في حين أنه قد اصر عليه مروان بالتكبير به فرفض ذلك ، وقد نقل الأمويون موقفه المتسم باللين والتسامح مع الحسين الى يزيد فغضب عليه وعزله عن ولايته (١) ، وقد عهد بها إلى جبار من جبابرة الأمويين عمرو بن سعيد الأشدق (٢) وقد عرف بالقسوة والغلظة ، قدم إلى المدينة في رمضان بعد أن تسلم ولايته عليها فصلى ، بالناس صلاة العتمة ، وفي الصباح خرج على الناس وعليه قميص احمر وعمامة حمراء فرماه الناس بأبصارهم منكبين ما هو عليه ، فصعد المنبر فقال :

« يا اهل المدينة ، مالكم ترمولنا بأبصاركم كأنكم تقروننا سيوفكم ؟ انسيتم ما فعلتم ! أما لو انتقم في الأولى ما عدتم إلى الثانية ، اغرکم اذ قتلتم عثمان فوجدتموه صابراً حليماً ، واماماً ، فذهب غضبه ، وذهبت ذاته ، فاغتنموا انفسكم ، فقد وليكم امام بالشباب المقتبل البعيد الأمل ، وقد اعتدل جسمه ، واشتد عظمه ، ورمى الدهر ببصره ، واستقبله بأسره ، فهو إن عض لمس ، وان وطىء فرس ، لا يقلقه الحصى ، ولا تفرع له العصا ، وعرض في خطابه لابن الزبير فقال :

« فو الله لنغزونه ، ثم لئن دخل الكعبة لنحرقنها عليه ، على رغم

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٤٨ .

(٢) الأشدق : لقب بذلك لتشادقه الكلام ، وقيل انما لقب بذلك لأنه كان افقم مائل الذقن ، جاء ذلك في البيان والتبيين ١ / ٣١٥ ، وقيل انما لقب بذلك لأنه أصابه اعوجاج في حلقة لاغراقه في شتم علي جاء ذلك في معجم الشعراء (ص ٢٣١) .

انف من رغم . . . (١) .
ورعف الطاغية على المنبر فألقى إليه رجل عمامة فمسح بها دمه
فقال رجل من خثعم : « دم على المنبر في عمامة ، فتنة عمت وعلا ذكرها
ورب الكعبة » (٢) .
وقد أثر عن رسول الله (ص) أنه قال : « ليرعلن على منبري
جبار من جبابرة بني أمية فيسيل رعافه » (٣) :
وعزم الأشدق على مقابلة الجبهة المعارضة بالقوة والبطش ، وقد
حلفه إلى ذلك ما حل بسلفه الوليد من الاقصاء وسلب الثقة عنه نتيجة
تساهله مع الحسين (ع) ، ولعل من أوثق الأسباب التي دعت الامام
الحسين (ع) إلى مغادرة الحجاز هو الخدر من بطش هذا الطاغية به ،
والخوف من اغتياله وهو في الحرم .

الحسين مع ابن عمر وابن عباس :

وكان عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر مقيمين في مكة حينما
أقبل الامام الحسين إليها ، وقد خفا لاستقباله والتشرف بخدمته ، وكانا قد
عزما على مغادرة مكة ، فقال له ابن عمر !
« أبا عبد الله ، رحمك الله ، اتق الله الذي إليه معادك ، فقد عرفت
من عدواة أهل هذا البيت - يعني بني أمية - لكم ، وقد ولي الناس هذا
الرجل يزيد بن معاوية ، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصغراء

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٢ / ٢٦٨ .

(٢) سمط النجوم العوالي ٣ / ٥٧ .

(٣) مجمع الزوائد ٥ / ٢٤٠ .

والبيضاء ، فيقتلونك ، ويهلك فيك بشر كثير ، فإني قد سمعت رسول الله (ص) يقول :

« حسين مقتول ، ولئن قتلوه وخذلوه ، ولن ينصروه ليخلفهم الله إلى يوم القيامة ، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل ، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين . »

فقال له ابي الضميم :

« أنا أبايع يزيد ، وأدخل في صلحه ؟ ! ! وقد قال النبي (ص) فيه وفي أبيه ما قال : »

وانبرى ابن عباس فقال له :

« صدقت أبا عبد الله قال النبي (ص) في حياته : « مالي وليزيد لا بارك الله في يزيد ، وإنه يقتل ولدي ، وولد ابنتي الحسين ، والذي نفسي بيده ، لا يقتل ولدي بين ظهرائي قوم فلا يمنعونني الا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم . »

وهي ابن عباس والحسين ، والتفت إليه قائلاً :

« يا ابن عباس أتعلم أني ابن بنت رسول الله (ص) ؟ » .
« اللهم نعم . . نعلم ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله غيرك وان نصرك لفرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة التي لا يقبل أحدهما دون الأخرى . . . »

فقال له الحسين :

« يا ابن عباس ، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله (ص) من داره ، وقراره ، ومولده ، وحرم رسوله ، ومجاورة قبره ، ومسجده وموضع مهاجره ، فتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار ، ولا يأوي في

موطن ، يريدون في ذلك قتله ، وسلك دمه ، وهو لم يشرك بالله ولا
 اتخذ من دونه ولياً ، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله (ص) .
 وانبرى ابن عباس يؤيد كلامه ، ويدهم قوله قائلاً :
 « ما أقول : فيهم الا انهم كفروا بالله ورسوله ، ولا يأتون الصلاة
 الا وهم كسالى براءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ملبدين لا إلى
 هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يظلم الله فلن تجد له سبيلا ، وعلى مثل هؤلاء
 تنزل البطشة الكبرى ، وأما أنت يا بن رسول الله فانك رأس الفخار
 برسول الله ، فلا تظن يا بن بنت رسول الله أن الله غافل عما يفعل الظالمون
 وأنا اشهد أن من رغب عن مجاورتك ، وطمح في محاربتك ، ومحاربة نبيك
 محمد فماله من خلاق . . . » .

وانبرى الامام الحسين فصدق قوله قائلاً : « اللهم نعم »
 وانطلق ابن عباس يظهر له الاستعداد للقيام بنصرته قائلاً :
 « جعلت فداك يا بن بنت رسول الله ، كأنك تريدني إلى نفسك ،
 وتريد مني أن أنصرك ، والله الذي لا إله إلا هو ان لو ضربت بين يديك
 بسيفي هذا يدي حتى انخلما جميعاً من كفي لما كنت ممن وفى من حقلك
 عشر العشر ، وها أنا بين يديك مرني بأمرك . »
 وقطع ابن عمر كلامه ، وأقبل على الحسين فقال له :

« مهلا عما قد عزمت عليه ، وارجع من هنا الى المدينة ، وادخل
 في صلح القوم ، ولا تغب عن وطنك ، وحرم جدك رسول الله (ص)
 ولا تجعل هؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة ، وسبيلا ، وإن
 أحببت أن لا تباع فأنت متروك حتى ترى رأيك ، فان يزيد بن معاوية
 عسى أن لا يعيش إلا قليلا فيكفيك الله أمره . »
 وزجره الامام ، ورد عليه قوله قائلاً :

« اف لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض ، اسألك
يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري ؟ فان كنت على خطأ ردني فأنا
أخضع ، وأسمع وأطيع » :

فقال ابن عمر :

« اللهم لا ، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسول الله على خطأ
وليس مثلك من طهارته وصلواته من رسول الله (ص) على مثل يزيد
ابن معاوية ، ولكن أخشى أن يضرهم وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف
وترى من هذه الأمة مالا تحب ، فارجع معنا إلى المدينة ، وان لم تحب
أن تباع ، فلا تباع أبداً ، واقعد في منزلك »

« والتفت إليه الامام فأخبره عن خبث الأمويين ، وسوء نواياهم
نحوه قائلاً :

« هيهات يا بن عمر ان القوم لا يتركوني ، وإن أصابوني ، وان لم
يصيبوني ، فلا يزالون حتى أباع وأنا كاره ، أو يقتلوني ، أما تعلم يا عبد الله
ان من هوان الدنيا على الله تعالى أنه أتني برأس يحيى بن زكريا لى
بغى من بغايا بني اسرائيل ، والرأس ينطق بالحجة عليهم ؟ ! ! أما تعلم
يا أبا عبد الرحمن ان بني اسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع
الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم
لم يصنعوا شيئاً ، فلم يعجل الله عليهم ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز
مقتدر . ، (١) .

وكشلت هذه المحاوره عن تصميمه على الثورة ، وعزمه على مناجزة
يزيد لأنه لا يتركه وشأنه ، فأما أن يباع ، وبذلك هو ويدل الاسلام

وتستباح حرمانه ، وأما أن يقتل عزيزاً كريماً ، فاختار المنية للحفاظ على كرامته وكرامة الأمة ومقدساتها .

وصيته لابن عباس :

وأقبل الحسين على ابن عباس ، فعهد إليه بهذه الوصية قائلا :
« وأنت يا ابن عباس ابن عم أبي ، لم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك ،
وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد ، وقد كان أبي يستصحبك
ويستصحبك ويستشيرك ، وتشير عليه بالصواب ، فامض إلى المدينة في
حفظ الله ، ولا تخف علي شيئاً من أخبارك ، فإني مستوطن هذا الحرم ،
ومقيم به ما رأيت أهله يجيئونني ، وينصرونني ، فإذا هم خذلوني استبدلت
بهم غيرهم ، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم ألقى في النار
(حسي الله ونعم الوكيل ، فكانت النار عليه برداً وسلاماً . .) (١) .

رسائله الى زعماء البصرة :

وكتب الامام الى رؤساء الاخماس بالبصرة يستنهضهم على نصرته
والأخذ بحقه وقد كتب إلى الاشراف ومن بينهم :

١ - مالك بن مسمع البكري

٢ - الأحنف بن قيس

٣ - المنذر بن الجارود

٤ - مسعود بن عمرو

(١) مقتل الخوارزمي ١ / ١٩٣ :

• - قيس بن الهيثم

٦ - عمر بن عبید الله بن معمر (١)

وقد أرسل كتاباً إليهم بنسخة واحدة وهذا نصه :

« أما بعد : فإن الله اصطفى محمداً (ص) من خلقه ، وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه إليه ، وقد نصح لعباده ، وبلغ ما أرسل به ، وكنا أهله وأولياؤه وأوصياؤه وورثته ، وأحق الناس بمقامه فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرضينا ، وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه : وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، والبدعة قد أحييت فإن تسمعوا قولي : اهدمكم إلى سبيل الرشاد . . . » (٢) .

والقت هذه الرسالة الأضواء على الخلافة الإسلامية فهي - حسب تصريح الامام - حق لأهل البيت (ع) لأنهم الصق الناس برسول الله (ص) وأكثرهم وعياً لأهدافه إلا أن القوم استأثروا بها ، فلم يسم العترة الطاهرة إلا الصبر كراهة للفتنة وحفظاً على وحدة المسلمين . . . كما حملت هذه الرسالة بالدعوة إلى الحق بجميع رحابه ومفاهيمه ، فهدت إلى احياء كتاب الله وسنة نبيه فإن الحكم الأموي عمد إلى اقصائها عن واقع الحياة . . . وعلق بعض الكتاب على دعوة الامام لأهل البصرة لبيعته فقال :

« ان رسالة الحسين إلى أهل البصرة ترهنا كيف كان يعرف مسؤوليته ورضي معها ، فأهل البصرة لم يكتبوا إليه ؛ ولم يدعوه الى بلدهم ، كما فعل أهل الكوفة ، ومع هذا فهو يكتب إليهم ، ويعدهم للمجابهة المحتومة

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٠ .

ذلك أنه حين قرر أن ينهض بتبعات دينه وأمته ، كان قراره هذا آتياً من أعماق روحه وضميره ، وليس من حركة أهل الكوفة ودعوتهم لإياه ، وعلى أي حال فقد بعث الامام كتيبه لأهل البصرة بيد مولى له يقال له سليمان ، ويكنى أبارزين ، وقد جد في السير حتى انتهى الى البصرة فسلم الكتب الى أربابها .

جواب الأحنف بن قيس :

وأجاب الأحنف بن قيس زعيم العراق الامام برسالة كتب فيها هذه الآية الكريمة ولم يزد عليها ، فاصبر ان وعد الله حق ، ولا يستخفنك الدين لا يوقنون ، (١) وقد طلب من الامام الخلود الى الصبر ، ولا يستخفه الدين لا يوقنون بالله ولا يرجون له وقاراً .

جريمة المنذر :

أما المنذر بن الجارود العبدي فقد كان من اجلاف العرب وحقرائهم فقد عمد إلى رسول الامام فبعثه مخفوراً الى ابن زياد ، وكان زوج ابنته ليظهر له الاخلاص والولاء ، فقتله ابن مرجانة وصلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة (٢) واعتذر بعض المؤرخين عن المنذر أو هو اعتذر عن نفسه بأنه خشى أن يكون الرسول من قبل ابن مرجانة

(١) سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٠٠ :

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٠ .

لاختباره فلذا سلمه إليه وهو اعتدار مهلهل ، فان اللازم كان اجراء التحقيق معه حتى يستبين له الأمر .

استجابة يزيد بن مسعود :

واستجاب الزعيم الكبير يزيد بن مسعود النهشلي إلى تلبية نداء الحق فاندفع بوحى من إيمانه وعقيدته إلى نصرة الامام ، فعقد مؤتمراً عاماً دعا فيه القبائل العربية الموالية له وهي :

١ - بنو تميم

٢ - بنو حنظلة

٣ - بنو سعد

ولما اجتمعت هذه القبائل ، انبرى فيهم خطيباً ، فوجه خطابه أولاً إلى بني تميم فقال لهم :

« يا بني تميم ! كيف ترون موضعي فيكم ، وحسبي منكم ؟ ! »
وتعالت أصوات بني تميم ، وهي تعلن ولاءها المطلق ، واكبارها له قائلين بلسان واحد :

« بخ بخ ! أنت والله فقرة الظهر ، ورأس المخر حلت في الشرف وسطا ، وتقدمت فيه فرطاً . . »
وسره تأييدهم فانطلق يقول :

« إني جمعتمكم لأمر أريد أن اشاوركم ، وأستعين بكم عليه : . . »
واندفعوا جميعاً يظهررون له الولاء والطاعة قائلين :
« إنا والله نمنحك النصيحة ، ونجهد لك الرأي فقل حتى نسمع ،

وتناولت الاعناق ، واشرايت النفوس لتسمع ما يقول ! الزعيم
الكبير ، وانبرى قائلا :

« إن معاوية مات ، فأهون به - والله - هالكا ومفقوداً ، الا انه
قد انكسر باب الجور والإثم ، وتضعفت أركان الظلم ، وكان قد احدث
بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه ، وهيهات الذي أراد ! ! اجتهد
والله ففشل ، وشاور فخذل ، وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس اللجور
يدهي الخلافة على المسلمين ، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم
وقلة علم ، لا يعرف من الحق موطأ قدميه ، فأقسم بالله قسماً مبروراً
لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين :

وهذا الحسين بن علي ، وابن رسول الله (ص) ذو الشرف الأصيل
والرأي الأئيل (١) له فضل لا يوصف ، وعلم لا ينزف ، وهو أولى
بهذا الامر لسابقته وسنه ، وقدمه وقربته ، يعطف على الصغير ، ويحسن
إلى الكبير ، فآكرم به راعي رعية ، وامام قوم وجبت لله به الحجية
وبلغت به الموعظة ، فلا تشوا عن نور الحق ، ولا تسكعوا في وهد
الباطل ، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل فاطسلوها
بمخرجكم إلى ابن رسول الله (ص) ونصرته ، والله لا يقصر أحدكم عن
نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده ، والقلة في عشيرته .

وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها ، وادرعت لها بدرعها ، من
لم يُقتل يموت ، ومن يهرب لم يلت ، فاحسنوا رحمكم الله رد الجواب «
وجلل هذا الخطاب الرائع بأمور بالغة الأهمية وهي :
أولا - : الاستهانة بهلاك معاوية ، وانه قد الكسر بموته باب
الظلم والجور .

(١) الرأي الأئيل : الأصيل

ثانياً - : القدح في بيعة معاوية ليزيد :
ثالثاً - : عرض الصفات الشريفة الماثلة في يزيد من الادمان على
الحمر ، وفقد الحلم ، وعدم العلم ، وعدم التبصر بالحق .
رابعاً - : الدعوة إلى الالتفاف حول الامام الحسين (ع) وذلك
لما يتمتع به من الصفات الشريفة كاصالة الفكر ، وهزارة العلم ، وكبر
السن ، والعطف على الكبير والصغير وغير ذلك من النزعات الكريمة
التي تجعله أهلاً لامامة المسلمين .

خامساً - : انه عرض للجماهير عن استعدادة الكامل للقيام بنصرة
الامام والذب عنه :

ولما أنهى الزعيم العظيم خطابه انبرى وجهاء بني حنظلة فاظهروا
الدعم الكامل له قائلين :

« يا أبا خالد : نحن نبل كنانتك ، وفرسان عشيرتك . إن رميت
بنا أصبت ، وإن غزوت بنا فتحت . لا نخوض والله غمرة الا خضناها
ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها نصرك بأسياقنا ونقيك بأبداننا اذا شئت ،
وكان منطلقاً مشرفاً دل على تعاطفهم ، ووقوفهم إلى جانبه ، رقام
من بعدهم بنو عامر فاعربوا عن ولائهم العميق له قائلين :
« يا أبا خالد نحن بنو أبيك ، وحلفائك لا نرضى إن غضبت ،
ولا نبقي ان ظمنت والأمر اليك فادعنا اذا شئت . . . » .

وأما بنو سعد فاظهروا التردد وعدم الرغبة فيما دعاهم اليه ، قائلين :
« يا أبا خالد : ان اهفص الأشياء ينسا خلافك ، والخروج عن
رأيك ، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل ، فحمدنا
أمرنا ، وبقي عزنا فينا ، فامهلنا نراجع المشورة ، ونأتيك برأينا : » .
وساء تمخاذهم فالدفع يتدد بهم قائلًا :

« لئن فعلتموها لارفع الله السيوف عنكم أبداً ، ولا زال سيفكم فيكم . . . »

جوابه للامام :

ورفع يزيد بن مسعود رسالة للامام دلت على شرفه وبلبه ، واستجابته لدعوته ، وهذا نصها :

« أما بعد : فقد وصل إلي كتابك ، وفهمت مانديتني إليه ، ودعوتي له من الأخذ بحظي من طاعتك ، والفوز بنصبي من نصرتك . . وان الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير ، ودليل على سبيل نجاة ، وانتم حجة الله على خلقه ، ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وانتم فرعها ، فاقدم سعديت بأسعد طائر فقد ذلت لك اعناق بني تميم ، وتركتمهم أشد تتاباً في طاعتك من الأبل الظماء لورود الماء يوم خمسها (١) وقد ذلت لك رقاب بني سعد ، وغسلت درن قلوبها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمح . . . »

وحفلت هذه الرسالة بسمو أدبه ، وكريم طباعه ، وتقديره البالغ للامام ، ويقول بعض المؤرخين انها انتهت الى الامام في اليوم العاشر من المحرم بعد مقتل أصحابه وأهل بيته ، وهو وحيد فريد قد أحاطت به القوى الغادرة ، فلما قرأ الرسالة طفق يقول :

« مالك ، آمنك الله من الخوف ، وارواك يوم العطش الأكبر »

ولما تجهز ابن مسعود لنصرة الامام بلغه قتله فجزع لذلك وذهبت

(١) خمسها : بالكسر الأهل الضماء التي ترعى ثلاثة أيام وزد الرابع

نفسه أسى وحسرات (١) .

استجابة يزيد البصري :

ولبي نداء الحق يزيد بن نبيط البصري ، وكان - فيما يقول المؤرخون - يتردد إلى دار مارية ابنة سعد أو منقلد ، وكانت دارها من منتديات الشيعة ، وفيها تداخ فضائل أهل البيت (ع) وتُنشر ما تُرهم ، ولما وجه الامام دعوته الى أهل البصرة لنصرته استجاب لها يزيد بن نبيط ، ولحق به من أولاده العشرة عبد الله وعبيد الله ، وخاف عليه أصحابه أن يدركه الطلب من شرطة ابن زياد ، فقال لهم : لو استوت اخفافها بالجدد لمان علي طلب من طلبي (٢) واستوى على جواده مع ولديه ، وصحبه مولاة عامر ، وسيف بن مالك والادم بن أمية فلحقوا بالامام في مكة وصحبوه الى العراق واستشهدوا بين يديه في كربلاء (٣) .

نقمة العراق على الأمويين :

وكره العراقيون بصورة عامة حكم الأمويين ، وبغضوا سلطانهم ، وفيما نحسب ان الاسباب في ذلك ما يلي ١
١ - ان العراق أيام معاوية أصبح يساس بالروح العسكرية والأحكام العرفية التي لا تنقيد بالقانون خصوصاً أيام زياد بن سمية ففسد كان يأخذ

(١) اللهوف (ص ١٦ - ١٩)

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٨ ،

(٣) مقتل المقرم (ص ١٥٨) نقلاً عن ذخيرة الدارين (ص ٢٢٤)

البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، ويقتل على الظنة والتهمة ، مما أدى إلى اشاعة الكراهية للأمويين .

٢ - ان الكوفة كانت في عهد الامام أمير المؤمنين (ع) عاصمة الدولة الاسلامية ، وفي أيام معاوية أصبحت دمشق العاصمة ومركز الحكم وأصبح العراق مصراً كسائر الامصار ، وانتقلت عنه الخزينة المركزية ، وقد أخذ الكوفيون يندبون حظهم التعميس بعد تحول الخلافة عنهم وأصبح اسم الامام عندهم رمزاً الى دولتهم المفقودة ، وتعلقت آمالهم بابناء الامام فكانوا ينظرون إليهم انهم الابطال لاستقلال بلادهم السياسي وتحررها من التبعية لدمشق فقد كره أهل العراق الخضوع لأهل الشام ، كما كره أهل الشام الخضوع والسيطرة لأهل العراق وقد صور شاعر الشام هذه النزعة بقوله :

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهونا

وقالوا : علي امام لنا فقلنا : رضينا ابن هند رضينا

وصور شاعر العراق هذه النزعة السائدة عند العراقيين بقوله مخاطباً

أهل الشام :

أناكم علي بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

فان يكره القوم ملك العراق فقلنا رضينا الذي تكرهونا (١)

وكانت الثورات المتلاحقة التي قام بها العراق انما هي لكراهية أهل الشام والتخلص من حكم الأمويين .

٣ - ان السياسة الخاطئة التي تبناها معاوية مع زعماء الشيعة الذين تبناوا القضايا المصيرية للشعب العراقي وكافة الشعوب الاسلامية وما عانوه من القتل والتنكيل قد هزت مشاعر الكوفيين ، وأوغرت صدورهم بالحق

(١) الأخبار الطوال (ص ٧٠) طبع ليدن

على الأمويين ، كما ان سب الامام على المنابر قد زاد في بغضهم للأمويين وأشعل جدوة المعارضة في نفوسهم .
٤ - ان الأمويين كانوا ينظرون الى أهل الكوفة انهم الجبهة المعارضة لحكمهم وانهم المصدر الخطير الذي يهدد دولتهم فقابلوهم بمزيد من القسوة والارهاب ، مما دعى الكوفيين إلى العمل المستمر لمناهضة الحكم الأموي وتقويض سلطانه . . . هذه بعض الأسباب التي أدت إلى نقمة العراق على الحكم الأموي وبغضهم له ،

اعلان التمرد في العراق :

وبعد هلاك معاوية أيقن العراقيون بانهياء الدولة الأموية ، وقد رؤوا أن في تقليد يزيد مهام الخلافة انما هو استمرار للحكم الأموي الذي جهد على اذلالهم وقهرهم .
وقد أجمعت الشيعة في الكوفة على مناجزته والخروج على سلطانه ورؤوا أن في كفاحهم له جهاداً دينياً ، حسب ما يقول جولدتسبير ، (١) وبرى (كرىمر) ان الاخيار والصلحاء من الشيعة كانوا ينظرون إلى يزيد نظرتهم إلى ورثة أعداء الاسلام وخلفاء أبي سفيان (٢) :
وعلى أي حال فان شيعة الكوفة لم ترض بحكم يزيد ، وأجمعت على خلعه ، والبيعة للامام الحسين (ع) وقد قاموا بما يلي :

(١) (٢) العقيدة والشريعة في الاسلام (ص ٦٩) :

المؤتمر العام :

وعقدت الشيعة بعد هلاك معاوية مؤتمراً عاماً في بيت أكبر زعمائها سليمان بن صرد الخزاعي ، واندفعوا اندفاعاً كلياً في القاء الخطب الحماسية التي تظهر مساوئ الحكم الاموي وفضائحه ، كما أشادوا بالامام الحسين ودعوا إلى البيعة له .

خطبة سليمان :

واعمل سليمان بن صرد منصة الخطابة ، فافتتح اولى جلساتهم بهذا الخطاب ، وقد جاء فيه :

« ان معاوية قد هلك ، وان حسيناً قسد قبض على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة وأنتم شيعته ، وشيعة أبيه فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وان خلفتم الوهن والشل فلأتغروا الرجل من نفسه . . . »

وتعالت أصواتهم من كل جانب وهم يقولون بحماس بالغ :

« نقتل أنلسنا دونه . . . »

« لا بل نقاتل عدوه . . . » (١) .

وأظهروا رغبتهم الملحة ودعمهم الكامل للامام ، وقرروا ما يلي :

١ - خلع بيعة يزيد

٢ - ارسال وفد للامام يدعونه للقُدوم إليهم

(١) الارشاد (ص ٢٢٣ - ٢٢٤) .

٣ - بحث الرسائل للإمام من مختلف الطبقات الشعبية التي تمثل
رهبة الجماهير الحاشدة لحكم الامام .

وفد الكوفة :

وأوفدت الكوفة وفداً إلى الامام يدهوه إلى القسوم إليهم ، ومن
بين ذلك الوفد عهد الله الجدي (١) ولما مثل الوفد عند الامام عرض عليه
اجماع أهل الكوفة على نصرته والاخلد بحقه ، وانه ليس لهم امام غيره ،
وحنوه على القسوم إليهم .

الرسائل :

وعمد أهل الكوفة بعد مؤتمهم فكتبوا الرسائل إلى الامام (ع) وهي
تعرب عن اخلاصهم وولائهم له ، وتحثه على القسوم إليهم ليتولى قيادة الأمة
وهذه بعضها .

١ - قد جاء فيها بعد البسمة ما نصه :

« من سليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة بن شداد ،
وحبيب بن مظاهر ، وشيعته والمسلمين من أهل الكوفة .

أما بعد : فالحمد لله الذي قسم هدوك الجبار العنيد - يعني معاوية -
الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها ، واغتصبها فيثها ، وتآمر عليها
بغير رضی منها ، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة
بن جابرته وأغنياتها فبعداً له كما بعُدت ثمود . . . إنه ليس علينا امام

(١) مقاتل الطالبين (ص ٩٥) .

فاقبل لعن الله يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة
لسنا نجتمع معه في جمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو بلغنا أنك قد
أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله
وبركاته . . . (١) :

وكتبته هذه الرسالة في أواخر شهر شعبان ، وحملها عبد الله الحمداني ،
وعبد الله بن وائل الحمداني وقد أمروهما بالاسراع والحذر من العدو ،
وأخذوا يجذبان في السير لا يلويان على شيء وقدما مكة لعشر مضين من
رمضان (٢) وسلمنا الرسالة للامام وعرفاه بشوق الناس الى قدومه :
وقد عرضت هذه الرسالة مساويء الحكم الأموي ، فوصلت معاوية
بالجبار العنيد ، وانه ابتز أمر الأمة بالقهر والغلبة ، وتأمراً عليها بغير رضى
منها ، وقد قتل خيارها وصلحاءها وجعل العطاء خاصة للأغنياء والوجوه ،
وحرم منه بقية طوائف الشعب ، كما عرضت الى مقاطعة الشيعة لحاكم
الكوفة النعمان بن بشير ، وانهم اذا بلغهم قدوم الامام قاموا باقصائه عن
الكوفة والحاقه بدمشق .

٢ - وقد أرسل الرسالة الثانية جماعة من أهل الكوفة وهذا نصها :
« إلى الحسين بن علي من شيعته والمسلمين ، أما بعد ! فحيّ هلا (٣)
فان الناس ينتظرونك ولا رأي لهم خيرك (٤) فالعجل ثم العجل والسلام ، (٥)

(١) أنساب الأشراف (ق ١ ج ١) الامامة والسياسة ٢ / ٣ - ٤
الطبري .

(٢) الفتوح ٥ / ٤٤ .

(٣) حيّ هلا : اسم فعل بمعنى اقبل وعجل

(٤) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢١٥ ، لا امام لهم خيرك .

(٥) الارشاد (ص ٢٢٤)

وحمل هذه الرسالة قيس بن مسهر الصيداوي من بني أسد ، وعبد الرحمن ابن عبد الله الارجبي وعمارة بن عبد الله السلولي ، كما حملوا معهم نحواً من خمسين صحيفة من الرجل والائنين والثلاثة والأربعة (١) وهي تحت الامام على الاسراع إليهم والترحيب بقدمه ، وتعلن دعمهم الكامل له .

٣ - وأرسل هذه الرسالة جماعة من الانتهازيين الذين لا يؤمنون بالله ، وهم شيبث بن رهمي اليربوعي ومحمد بن عمر العميمي ، وحجار بن ابجر العجلي ، ويزيد بن الحارث الشيباني ، وعزرة بن قيس الاحمسي ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، وهذا نصها :

« أما بعد ، فقد اخضر الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمت الجمام (٢) فأقدم على جندك مهيمة والسلام عليك ، . . ، (٣) .

وأعريت هذه الرسالة عن شيوع الأمل وازدهار الحياة ، وتهيئة البلاد عسكرياً للأخذ بحق الامام ، ومناجزة خصومه ، وقد وقعها أولئك الأشخاص الذين كانوا في طليعة القوى التي زجها ابن مرجانة لحرب الامام ومن المؤكد أنهم لم يكونوا مؤمنين بحقه ، والما اندفعوا لمساومة السلطة الأموية ، والحصول منها على الأموال وتمتع الحياة ، كما صرح الامام الحسين بذلك أمام أصحابه .

٤ - ومن بين تلك الرسائل « انا قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة ، فأقدم علينا فنحن في مائة ألف سيف ، فقد فشا فينا الجور ، وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه ، ونرجوا أن يجمعنا

(١) أنساب الاشراف ق ١ ج ٤ .

(٢) الجمام : الآبار .

(٣) أنساب الاشراف ق ١ ج ١ مطالب السؤل في مناقب آل

الرسول (ص ٧٤) .

الله بك على الحق ، وينفي عنك الظلم ، فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذي غصب الأمة ، وشرب الخمر ، ولعب بالقرد والطنابير ، وتلاعب بالدين ، (١) .

٥ - وكتب جمهور أهل الكوفة الرسالة الآتية ووقعوها وهذا نصها :
« للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعة أبيه (ع) أما بعد :
فإن الناس ينتظرونك لأرأي لهم في غيرك المعجل العجل يابن رسول الله (ص)
لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد بك المسلمين والاسلام . . . بعد
أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته ، (٢) .

٦ - وكتب إليه جماعة هذه الرسالة الموجزة : « انا معك ، ومعنا
مائة ألف سيف ، (٣) .

٧ - وكانت آخر الرسائل التي وصلت إليه هذه الرسالة : « عجل
القدوم يابن رسول الله فان لك بالكوفة مائة الف سيف فلا تتأخر ، (٤) .
وقد تناهت عليه الرسائل ماملأ منها خرجين ، ويقول المؤرخون : إنه
اجتمع عنده في زوب متفرقة اثنا عشر الف كتاب (٥) وورده إليه قائمة
فيها مائة وأربعون الف اسم يعربون عن نصرتهم له حال ما يصل إلى

(١) تذكرة الخواص (ص ٢٤٨) الصراط للسوي في مناقب آل
النبي للسيد محمود القادي من مصورات مكتبة الامام أميرالمؤمنين ، وبصورة
موجزة رواه المسعودي في مروج الذهب ٣ / ٤ .

(٢) وسيلة المآل (ص ١٨٥) المصنوع المهمة لابن الصباغ (ص ١٧٠)

(٣) أنساب الاشراف ق ١ ج ١ .

(٤) بحار الانوار ١٠ / ١٨٠ .

(٥) اللهوف (ص ١٩) .

الكوفة (١) كما وردت عليه في يوم واحد ستائة كتاب (٢) .
وعلى أي حال فقد كثرت كتب أهل الكوفة إلى الامام وقد وقع
فيها الأشريف وقراء المصر وهي تمثل تعطشهم لقدم الامام ليكون منقلاً
لهم من طغمة الحكم الأموي ولكن بمزيد الأسف فقد انطوت صحيفة
ذلك الأمل ، وانقلب الوضع وتغيرت الحالة ، واذا بالكوفة تنتظر الحسين
لتسقي سيوفها من دمه ، وتطعم نبالها من لحمه . . تريد أن تحتضن جسد
الحسين لتوزعه السيوف ، وتطعمه الرماح ، وتسحقه الخيول بحوافرها :
الكوفة تنتظر الحسين لتثب عليه وثبة الأسد ، وتنشب أظفارها بذلك
الجسد الطاهر، الكوفة تنتظر الحسين لتسبي عياله بدل أن تحميمهم ، وتروع
أطفاله بدل أن تؤويهم (٣) .

وهكذا شاءت المقادير ، ولاراد لأمر الله على نكث القوم لبيعة الامام
واجتماعهم على حربه ويقول المؤرخون ان الامام بعدما وافته هذه الرسائل
هزم على أن يلبي أهل الكوفة ويوفد إليهم ممثله العظيم مسلم بن عقيل .

(١) الوافي في المسألة الشرقية ١ / ٤٣ .

(٢) الدر المنلوک فی احوال الانبياء والأوصياء ١ / ١٠٧ من
مخطوطات مكتبة الامام الحكيم .

(٣) مع الحسين في نهضته (ص ١٥٧) .

إيفاد مُسلم إلى العراق

وتتابعت كتب أهل الكوفة - كالسبل - الى الامام الحسين ، وهي تحثه على المسير والقدوم إليهم لانقاذهم من ظلم الأمويين وعنتهم ، وكانت بعض تلك الرسائل تحمله المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر عن اجابتهم . ورأى الامام - قبل كل شيء - أن يختار للقيام سفيراً له يعرفه بانجاهاهم ، وصدق نياتهم ، فان رأى منهم نية صادقة ، وعزيمة مصممة فيأخذ البيعة منهم ، ثم يتوجه إليهم بعد ذلك ، وقد اختار لسفارته ثقتَه وكبير أهل بيته ، والمبرز بالفضل فيهم مسلم بن عقيل ، وهو من أفذاذ التاريخ ، ومن أمهر الساسة ، وأكثرهم قابلية على مواجهة الظروف ، والصمود أمام الأحداث ، وعرض عليه الامام القيام بهذه المهمة : فاستجاب له عن رضى ورغبة ، وزوده برسالة رويت بصور متعددة وهي :

الأولى : رواها ابر حنيفة الدينوري وهذا نصها :

« من الحسين بن علي الى من بلغه كتابي هذا من اوليائه وشيعته بالكوفة ، سلام عليكم ، أما بعد : فقد أتتني كتبكم ، وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدمي عليكم ، وأنا باحث إليكم بأخي وابن عمي ، وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل ليعلم لي كنهه أمركم ، ويكتب إلي بما يتبين له من اجتماعكم فان كان أمركم على ما أتتني به كتبكم ، واخبرتني به رسلكم أسرعتم القدوم إليكم ان شاء الله والسلام . . . (١) .

الثانية : رواها صفى الدين وقد جاء فيها بعد البسملة :

« أما بعد فقد وصلتني كتبكم ، وفهمت ما اقتضته آراؤكم ، وقد بعثت إليكم ثقتي وابن عمي مسلم بن عقيل ، وسأقدم عليكم وشيكا في أثره إن شاء الله . . . (٢) .

(١) الأخبار الطوال (ص ٢١٠) .

(٢) وسيلة المال (ص ١٨٦) من مصورات مكتبة الامام الحكيم .

وهذه الرواية شاذة إذ لم يذكر فيها مهمة مسلم في إيضاحه إليهم من أخذ البيعة له ، وغير ذلك مما هو من صميم الموضوع في ارساك مسلم .
الثالثة : رواها الطبري وقد جاء فيها بعد البسملة :

« من الحسين بن علي الى الملا من المؤمنين والمسلمين أما بعد : فان هائلاً وسعيداً (١) قدما علي بكتيكم ، وكأنا آخر من قدم علي من رسلكم وقد فهمت كل الذي اقتصصتم ، وذكرتم ومقالة جللكم ، أنه ليس علينا امام فاقبل لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق .

وقد بعثت لكم أخي وابن عمي ، وثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إلي بحالكم وأمركم ورأيكم ، فان كتب أنه قد اجتمع رأي ملاكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم ، وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله ، فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق ، والحابس نفسه على ذات الله والسلام . . . (٢) .

وحفلت هذه الرسالة - حسب نص الطبري - بالأمور التالية :
١ - توثيق مسلم والتدليل على سمو مكانته ، فهو ثقة الحسين .
٢ - تحديد صلاحية مسلم باكتشاف الأوضاع الراهنة ، ومعرفة التيارات السياسية ، ومدى صدق القوم في دعوهم ، ومن الطبيعي أنه لا تناط معرفة هذه الأمور الحساسة إلا بمن كانت له المعرفة التامة بشؤون المجتمع وأحوال الناس :

٣ - انه أوقف قدومه عليهم بتعريف مسلم له باجماع الجماهير ورجال الفكر على بيعته ، فلا يقدم عليهم حتى يعرفه سفيره بذلك .

(١) هما : هانيء بن هانيء السبيعي ، وسعيد بن عبد الله الحنفي .
(٢) الطبري ٦ / ١٩٧ .

٤ - انه تحدث عما يجب أن يتصف به الامام ، والقائد لمسيرة
الامة من الصفات وهي :
أ - العمل بكتاب الله
ب - الأخذ بالقسط
ج - الإذاعة بالحق
د - حبس النفس على ذات الله
ولم تتوفر هذه الصفات الرفيعة إلا في شخصيته الكريمة التي تحكي
اتجاهات الرسول (ص) ونزعاته .

وتسلم مسلم هذه الرسالة ، وقد أوصاه الامام بتقوى الله ، وكنمان
أمره (١) وغادر مسلم مكة ليلة النصف من رمضان (٢) وخرج في طريقه
على يثرب فصلى في مسجد الرسول (ص) وطاف بضيئجه ، وودع أهله
وأصحابه (٣) وكان ذلك هو الوداع الأخير لهم ، واتجه صوب العراق
وكان معه قيس بن مسهر الصيداوي ، وعمارة بن عبد الله السلولي ،
وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي ، واستأجر من يثرب دليلين من قيس
يدلانه على الطريق (٤) .

وسارت قافلة مسلم تجرد في السير لا تلوي على شيء ، يتقدمها الدليلان
وهما يتنكبان الطريق خوفاً من الطلب ، فضلاً عن الطريق ، ولم يهتديا له
وقد اعياهما السير واشتد بهما العطش ، فأشارا الى مسلم بسنن الطريق بعد

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧

(٢) مروج الذهب ٢ / ٨٦

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٨

(٤) الأخبار الطوال (ص ٢٣١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧

أن هان لهما ، وتوفيا في ذلك المكان حسبا بقوله المؤرخون (١) وسار مسلم مع رفقاته حتى افضوا إلى الطريق ، ووجدوا ماء فأقاموا فيه ليستريحوا مما ألم بهم من عظيم الجهد والعناء .

رسالة مسلم للحسين :

ويقول المؤرخون ان مسلم تخوف من سفره وتطير بعد أن أصابه من الجهد وموت الدليلين ، فرفع للامام رسالة يرجو فيها الاستقالة من سفارته وهذا نصها :

« أما بعد : فاني أقبلت من المدينة مع دليلين ، فجازا (٢) عن الطريق فضلا واشتد عليها العطش فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الحب ، وقد تطيرت من توجهي هذا فان رأيت احفيتني منه ، وهئت غيري والسلام . . . »

جواب الحسين :

وكتب الامام الحسين جوابا لرسالة مسلم ندد فيه بموقفه ، واتهمه بالجن وهذا نصه :

« أما بعد : فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعلاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن ، فامض لوجهك الذي

(١) الارشاد (ص ٢٢٧)

(٢) جازا عن الطريق : أي تركاه خلفها

وجهتك فيه والسلام . . . (١) .

اضواء على الموضوع :

واكبر الظن ان رسالة مسلم مع جواب الامام من الموضوعات ، ولا نصيب لها من الصحة وذلك لما يلي :

١ - ان مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم رسالته إلى الامام يقع ما بين مكة والمدينة حسب ما نص عليه الحموي (٢) في حين أن الرواية تنص على أنه استأجر الدليلين من يثرب ، وخرجوا الى العراق فضلوا عن الطريق ، وماتا الدليلان ، ومن الطبيعي ان هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة والعراق ولم تقع ما بين مكة والمدينة .

٢ - انه لو كان هناك مكان يُدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب والعراق لم يذكره الحموي فان السفر منه الى مكة ذهابا وايابا يستوعب زمانا يزيد على عشرة أيام في حين أن سفر مسلم من مكة الى العراق قد حدده المؤرخون فقالوا : انه سافر من مكة في اليوم الخامس عشر من رمضان ، وقدم إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال فيكون مجموع سفره عشرين يوماً ، وهي أسرع مدة يقطعها المسافر من مكة الى المدينة فان المسافة بينها تزيد على الف وستائة كيلو متر ، واذا استثنينا من هذه المدة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه ، فان مدة سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام ويستحيل عادة قطع تلك

(١) الارشاد (ص ٢٢٦) وفي الحدائق الوردية ١ / ١١٧ خرج مسلم من مكة حتى أتى المدينة وأخذ منها دليلين فمرا به في البرية فأصابهما عطش فمات أحد الدليلين فكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه الحسين ان امض إلى الكوفة . (٢) معجم البلدان ٢ / ٣٤٣

المسافة بهذه الفترة من الزمن .

٣ - ان الامام اتهم مسلماً - في رسالته - بالجبن ، وهو يتناقض
توثيقه له من أنه ثقته وكبير أهل بيته ، والمبرز بالفضل عليهم ، ومع
اتصافه بهذه الصفات كيف يتهمه بالجبن ١٩ .

٤ - ان اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته ، فقد أبدى هذا البطل
العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول فانه حينما انقلبت عليه
جموع أهل الكوفة قائلها وحده من دون أن يعينه او يقف الى جنبه أي
أحد ، وقد أشاع في تلك الجيوش المكثفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً
ولما جيء به اسيراً إلى ابن زياد لم يظهر عليه أي ذل أو انكسار ، ويقول
فيه البلاذري انه أشجع بني عقيل وأرجلهم (١) بل هو أشجع هاشمي
عرفه التاريخ بعد أئمة أهل البيت عليهم السلام . ان هذا الحديث من
المفتريات الذي وضع للحط من قيمة هذا القائد العظيم الذي هو من ملاخر
الأمة العربية والاسلامية .

في بيت المختار :

وسار مسلم يطوي البيداء حتى دخل الكوفة فاختار النزول في بيت
المختار الثقفي (٢) وهو من أشهر أعلام الشيعة وأحد سيوفهم ، ومن
أحب الناس وأنصحهم للامام الحسين .

(١) أنساب الأشراف ق ١ ج ١ .

(٢) الارشاد (ص ٢٢٦) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧ ، وقيل نزل
مسلم في بيت مسلم بن عوسجة ، وقيل نزل في بيت هانيء بن عروة جاء
ذلك في كل من الاصابة ١ / ٣٣٢ وتهذيب التهذيب .

لقد اختار مسلم النزول في بيت المختار دون غيره من زعماء الشيعة وذلك لوثوقه باخلاصه للامام الحسين ، وتفاليه في حبه ، كما أن هناك عاملاً آخر له أهميته ، فقد كان المختار زوجاً لعمرة بنت النعمان بن بشير حاكم الكوفة ، ولا شك أن يده لن تمتد إلى مسلم طالما كان مقيماً في بيت صهره المختار ، وقد دل ذلك على احاطة مسلم بالشؤون الاجتماعية .

وفتح المختار أبواب داره لمسلم ، وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم ودعا الشيعة الى مقابلته فاقبلوا إليه من كل حذب وصوب ، وهم يظهرون له الولاء والطاعة .

ابتهاج الكوفة :

وعمت الافراح بمقدم مسلم جميع الأوساط الشيعية في الكوفة ، وقد وجد منهم مسلم ترحيباً حاراً ، وتأييداً شاملاً ، وكان يقرأ عليهم رسالة الحسين ، وهم يبكون ، ويبدون التعطش لفسدومه ، والتفاني في نصرته ، لينقلهم من جور الأمويين وظلمهم ، ويعيد في مصرهم حكم الامام امير المؤمنين مؤسس العدالة الكبرى في الأرض ، وكان مسلم يوصيهم بتقوى الله ، وكتمان أمرهم حتى يقدم إليهم الامام الحسين .

البيعة للحسين :

وانتالت الشيعة على مسلم تبايعه للامام الحسين ، وكانت صيغة البيعة الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وجهاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين واعطاء المحرومين ، وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسوية ، ورد المظالم الى

أهلها ، ونصرة أهل البيت ، والمسألة لمن سالموا ، والمحاربة لمن حاربوا
وقد شبه السيد المكرم هذه البيعة ببيعة الأوس والخزرج للنبي (ص) (١)
وكان حبيب بن مظاهر الأسدي يأخذ البيعة منهم للحسين (٢) .

كلمة عابس الشاكري :

وانبرى المؤمن الفسد عابس بن شبيب الشاكري فاعرب لمسلم عن
ولائه الشخصي واستعداده للموت في سبيل الدعوة الا انه لم يتعهد له بأي
أحد من أهل مصره قائلا :
« أما بعد : فاني لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما في أنفسهم ،
وما أحرك منهم ، والله إنني محدثك عما أنا موطن عليه نفسي ، والله
لأجيبنكم اذا دعوتم ، ولأقاتلن معكم عدوكم ، ولأضربن بسيفي دونكم حتى
القي الله ، لا أريد بذلك الا ما عند الله . . . »
وقد صدق عابس ما عاهد عليه الله ، فلم يخن ضميره فقلدى بنفسه
ريحانة رسول الله (ص) واستشهد بين يديه في كربلاء . وانبرى حبيب
ابن مظاهر فخاطب عابساً قائلاً له :
« رحمك الله ، فقد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك ، وانا
والله الذي لا إله الا هو على مثل ما أنت عليه . »
واندفع سعيد الخنفي فأيد مقالة صاحبيه (٣) وهؤلاء الابطال من

(١) الشهيد مسلم بن عقيل (ص ١٠٣) .

(٢) الحدائق الوردية ١ / ١٢٥ من مخطوطات مكتبة الامام كاشف

الغطاء العامة .

(٣) تاريخ الطبري ٦ / ١٩٩ .

أنبل من عرفهم التاريخ صدقاً ووفاءً ، فقد بدلوا أرواحهم بسخاء إلى
الامام الحسين ، واستشهدوا بين يديه في كربلا .

عدد المبايعين :

- وتسابت جماهير الكوفة الى بيعة الحسين على يد سفيره مسلم بن
عقيل ، وقد اختلف المؤرخون في عدد من بايعه ، وهذه بعض الأقوال :
- ١ - أربعون ألفاً (١) .
 - ٢ - ثلاثون ألفاً ومن بينهم حاكم الكوفة النعمان بن بشير (٢) :
 - ٣ - ثمانية وعشرون ألفاً (٣)
 - ٤ - ثمانية عشر ألفاً ، حسب ما جاء في رسالة مسلم إلى الحسين يقول
فيها : « وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الاقبال ، (٤)

-
- (١) شرح شافية أبي فراس ١ / ٩٠ من مصورات مكتبة الامام الحكيم
مثير الاحزان لابن نما (ص ١١) .
- (٢) دائرة معارف وجدي ٣ / ٤٤٤ ، حقائق الأخبار عن دول
البحار ، روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان (ص ٦٧) لمحمد بن
أبي بكر المتوفي سنة (٧٣٠ هـ) من مصورات مكتبة الحكيم ، مناقب
الامام علي بن أبي طالب (ص ١٣) وجاء فيه ان النعمان قال : يا أهل
الكوفة ابن بنت رسول الله (ص) احب إليكم من ابن بنت جددك .
- (٣) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٠٠
- (٤) تاريخ الطبري ٦ / ٢٢٤

٥ - اثنا عشر الفا . . (١) .

رسالة مسلم للحسين :

وازداد مسلم ايمانا ووثوقاً بنجاح الدعوة حينما بايعه ذلك العدد الهائل من أهل الكوفة ، فكتب للامام رسالة يستحثه فيها على القدوم إليهم ، وكان قد كتبها قبل شهادته ببضع وعشرين ليلة (٢) وهذا نصها :

« أما بعد : فان الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر الفا (٣) فعجل حين يأتيك كتابي ، فان الناس كلهم معك ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هوى » (٤) .

لقد كتب مسلم هذه الرسالة لأنه لم ير أية مقاومة لدعوته ، وانما رأى إجماعاً شاملاً على بيعة الامام ، وتلهفاً حاراً لرؤيته ، وحمل الكتاب جماعة من أهل الكوفة ، وعلمهم البطل العظيم عابس الشاكري ، وقدم الوفد مكة المكرمة ، وسلم الرسالة الى الامام ، وقد امتحنوه على القدوم الى الكوفة ، وذكروا اجماع أهلها على بيعته ، ومالاقاه مسلم من الخفاوة البالغة منهم ، وعند ذلك تهيأ الامام إلى السفر للكوفة .

(١) « روج الذهب ٣ / ٤ ، الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٨٦) من مصورات مكتبة الامام الحكيم ، تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥٠ الاصابة ١ / ٣٣٢ ، الحدائق الوردية ١ / ١١٧ .

(٢) انساب الأشراف ق ١ ج ١

(٣) وفي رواية البلاذري « ان جميع أهل الكوفة معك » .

(٤) الطبري ٦ / ٢٢٤ .

موقف النعمان بن بشير :

كان موقف النعمان بن بشير (١) من الثورة موقفاً يتسم باللين والتسامح وقد اتهمه الجذب الأموي بالضعف ، أو التضاعف في حفظ مصلحة الدولة والاهتمام بسلامتها فأجابهم .

« لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله أحب إلي من أن أكون قويا في معصية الله ، وما كنت لأهتك سراً ستره الله ، (٢) .
وقد اعطى الشيعة بموقفه هذا قوة ، وشجعهم على العمل ضد الحكومة علنا ، ولعل سبب ذلك يعود لأمرين :

١ - ان مسلم بن عقيل كان ضيفا عند المختار وهو زوج ابنته عمرة فلم يعرض للثوار بسوء رعاية للمختار .

(١) النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي كان قد ولاء معاوية الكوفة بعد عبد الرحمن بن الحكم ، وكان عثماني الموى يجاهر ببغض علي ويسيء القول فيه ، وقد حاربه يوم الجمل وصفين ، وسعى باخلاص لتوطيد الملك إلى معاوية ، وهو الذي قاد بعض الحملات الارهابية على بعض المناطق العراقية ، ويقول المحققون : إنه كان ناقماً على يزيد ، ويتمنى زوال الملك عنه شريطة أن لا تعود الخلافة لآل علي ، ومن الغريب في شأن هذا الرجل أن يزيد لما اوقع بأهل المدينة وأباحها لجنده ثلاثة أيام لم يثار النعمان لكرامة وطنه وقومه ، وفي الاصابة ٣ / ٥٣٠ انه لما هلك يزيد دعا النعمان إلى ابن الزبير ثم دعا إلى نفسه فقاتله مروان ، فقتل وذلك في سنة (٦٥ هـ) وكان شاعراً مجيداً له ديوان شعر طبع حديثاً .

(٢) سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٠٦ .

٢ - ان النعمان كان ناقماً على يزيد وذلك لبغضه للانصار فقد أغرى الأخطل الشاعر الميحي في هجائهم فنأر لهم النعمان كما ألمعنا إلى ذلك في البحوث السابقة ، ولعل لهذا ولغيره لم يتخذ النعمان أي اجراء مضاد للثورة .

خطبة النعمان :

وأعطى النعمان للشيعة قوة في ترتيب الثورة وتنظيمها ، وهياً لهم الفرص في احكام قواعدها مما ساء الحزب الأموي ، فانكروا عليه ذلك ، وحرصوه على ضرب الشيعة فخرج النعمان ، وصعد المنبر فأعلن للناس سياسته المتسمة بالرفق ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه .

و أما بعد : فاتقوا الله عباد الله ، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة فان فيها تهلك الرجال وتسفك الدماء ، وتغصب الأموال . اني لم اقاتل من لم يقاتلني ، ولا أثب على من لا يثب علي ، ولا اشاتمكم ، ولا اتعرش بكم ، ولا آخذ بالقرف (١) ولا الظنة ولا التهمة ، ولكنكم إن أهديتهم صلحتكم لي ، وتكثمت ببيعتكم ، ونخالفتم امامكم فوالله الذي لا إله إلا هو لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لم يكن لي منكم ناصر ، أما اني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم اكثر ممن يرديه الباطل ، (٢) . وليس في هذا الخطاب أي ركون إلى وسائل العنف والشدة ، وإنما كان فيه تحذير من مغبة الفتنة وحب للعافية ، وعدم التعرض لمن لا يثب على السلطة ، وعدم أخذ الناس بالظنة والتهمة كما كان يفعل زياد بن أبيه

(١) القرف : التهمة

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧ .

والي العراق ، وعلق انيس زكريا على خطاب النعمان بقوله :
« ولنا من خطبه - أي خطب النعمان - في الكوفة برهان آخر على
أنه كان يرى الفتنة يقضى ، ولا بد أن نشتمل ، وانه لن يهاجم القائم بها
قبل أن يهاجموه ، فجعل لانصارها قوة وطيدة الاركان ، وبدأ فعالة
في ترتيب المؤامرة وتنظيمها على الأسس المتينة » (١) :

سخط الحزب الأموي :

وأغضبت سياسة النعمان عملاء الحكم الأموي فانبرى إليه عبد الله بن
مسلم الحضرمي حليف بني امية ، فانكر خطته قائلاً :
(إنه لا يصلح ما ترى الا الغشم (٢) ان هذا الذي أنت عليه
فيا بينك وبين عدوك رأي المستضعفين ؟ (٣) .
ودافع النعمان عن نفسه بأنه لا يعتمد على أية وسيلة تبعده عن الله
ولا يسلك طريقاً يتجافى مع دينه ، وقد استبان للحزب الأموي ضعف
النعمان ، وانهباره أمام الثورة .

اتصال الحزب الأموي بدمشق :

وفزع الحزب الأموي من تجاوب الرأي العام مع مسلم ، واتساع
نطاق الثورة في حين أن السلطة المحلية اغضت النظر عن مجريات الأحداث

(١) الدولة الأموية في الشام (ص ٤١)

(٢) الغشم : الظلم

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧

وقد انهمتها بالضعف أو بالتواطؤ مع الثوار ، وقام الحزب الاموي باتصال سريع بحكومة دمشق ، وطلبوا منها اتخاذ الاجراءات الفورية قبل أن يتسع نطاق الثورة ، ويأخذ العراق استقلاله ، وينفصل عن التبعية لدمشق ، ومن بين الرسائل التي وفدت على يزيد رسالة عبد الله الحضرمي ، جاء فيها :

« أما بعد : فان مسلم بن عقيل ، قدم الكوفة ، وبايعته الشيعة للحسين بن علي ، فان كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قويا ينفذ أمرك ، ويعمل مثلي عملك في عدوك فان النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف . » (١) .

وتدعو هذه الرسالة الى اقصاء النعمان عن مركزه ، واستعمال شخص آخر مكانه قوي البطش ليتمكن من القضاء على الثورة ، فان النعمان لا يصلح للقضاء عليها ، وكتب إليه بمثل ذلك عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر ابن سعد .

فزع يزيد :

وفزع يزيد حينما توافدت عليه رسائل عملائه في الكوفة بمبايعة أهلها للحسين ، فراودته الهواجس ، وظل ينفق ليله ساهراً يطيل التفكير في الأمر فهو يعلم ان العراق مركز القوة في العالم الاسلامي وهو يبغضه ويحقد على أبيه ، فقد أصبح موثقاً منهم لما صبوه عليه من الظلم والجور ، وان كراهية أهل العراق ليزيد لا تقل عن كراهيتهم لأبيه ، كما انه على

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٧

يقين ان الأغلبية الساحقة في العالم الاسلامي تنعطش لحكم الامام الحسين
لأنه الممثل الشرعي لجدّه وأبيه ، ولا يرضون بغيره بديلاً .

استشارته لسرجون :

وأحاطت المواجهس يزيد ، وشعر بالخطر الذي يهدد ملكه فاستدعى
سرجون الرومي ، وكان مستودع أسرار أبيه ، ومن ادهى النامس ، فعرض
عليه الأمر ، وقال له :

« ما رأيك ان حسيناً قد توجه إلى الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة
يبايح للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضعف وقول سيء ، فما ترى من
استعمل على الكوفة ؟ » .

وتأمل سرجون ، واخذ يطيل التفكير فقال له :

« أرايت أن معاوية لو نشر أكنت آخذاً رأيه ؟ »

فقال يزيد : نعم

فأخرج سرجون عهد معاوية لعبيد الله بن زياد على الكوفة ، وقال :

« هذا رأي معاوية وقد مات ، وقد أمر بهذا الكتاب ، (١) أما دوافع
سرجون في ترشيح ابن زياد لولاية الكوفة فهي لا تخلو من أمرين :

١ - إنه يعرف قسوة ابن زياد وبطشه وأنه لا يقوى أحد على اخضاع
العراق لغيره فهو الذي يتمكن من القضاء على الثورة بما يملك من وسائل
الارهاب والعنف .

٢ - انه قد دفعته العصبية القومية لهذا الترشيح فان ابن زياد رومي

النسب وسرجون رومي .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٨ .

ولاية ابن زياد على الكوفة :

وكان يزيد ناقماً على ابن زياد كاشد ما تكون النقمة ، وأراد عزله عن البصرة (١) وذلك لمعارضة أبيه في البيعة له ، إلا انه استجاب لرأي سرجون فقد رأى فيه الحفاظ على مصلحة دولته ، فعهد له بولاية الكوفة والبصرة ، وبذلك فقد خضع العراق بأسره لحكمه ، وكتب إليه هذه الرسالة :

« أما بعد : فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين ، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقله فتوثقه أو تقتله أو تنليه ، والسلام » .

وأشارت هذه الرسالة إلى مدى قلق السلطة في دمشق وفزعها من مسلم ابن عقيل ، وقد شددت على ابن زياد في الإسراع بالسفر إلى الكوفة لالتقاء القبض عليه ، وتنص بعض المصادر ان يزيد كتب إلى ابن زياد « ان كان لك جناحان فطر الى الكوفة » (٢) وهذا مما ينبئ عن الخوف الذي ألم بيزيد من الثورة في العراق .

وحمل مسلم بن عمرو الباهلي العهد لابن زياد بولاية الكوفة مع تلك الرسالة ، ويقول المؤرخون ان الباهلي كان من عيون بني أمية في الكوفة ومن أهم عملائهم ، كما كان من أجلاف العرب وهو الذي ظن على مسلم أن يشرب جرعة من الماء حينما جيء به أسيراً الى ابن زياد .

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٥٢ .

(٢) سير اعلام النبلاء ٣ / ٢٠١ .

وتسلم ابن زياد من الباهلي العهد له بولاية الكوفة ، وقد طار فرحاً
فقد تم له الحكم على جميع أنحاء العراق بعدما كان مهدداً بالعزل عن ولاية
البصرة ، وقد سر بما حولته دمشق من الحكم المطلق على العراق ؛
وبما سوغت له من استعمال الشدة والقسوة وسفك الدماء لكل من
لا يدخل في طاعة يزيد أو يشترك بأية مؤامرة ضده ، وكان هذا التفويض
المطلق في استعمال القسوة على الناس مما يتفق مع رغبات ابن زياد وميوله
فقد كان من عوامل استمتاعه النفسية حب الجريمة والاسائة إلى الناس ،
وعدم التردد في سفك الدماء .

خطبة ابن زياد في البصرة :

ولهياً ابن زياد لمغادرة البصرة والتوجه إلى الكوفة ، وقبل مغادرته
لها جمع الناس ، وعطب فيهم خطابها قاسياً جاء فيه :
« ان أمير المؤمنين يزيد ولاني الكوفة ، وأنا هاد اليها الهداة ،
فو الله إنني ما تقرن بي الصعبة ، ولا يقعقم لي بالشنان ، واني لنكل لمن
هاداني ، وسم لمن حارمني ، انصفت القارة من رامها .
يا أهل البصرة قد استخللت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان ،
وإياكم والخلاف والارجاف فو الله الذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل
منكم خلاف لأقتلنه وعرينه (١) ووليه ، ولأخذن الأذن بالاقصى حتى
تسمعوا لي ، ولا يكون فيكم مخالفت ولا مشاق . . . أنا ابن زهاد اشبهه

(١) العرين ، الجماعة

بين من وطأ الحصى ، ولم ينتزعي شبه خال ولا ابن عم ، (١) .
ما أهون سفك الدماء عند اولئك البرابرة الوحوش من ولاية بني
أمية ! لقد تحدث الطاغية عن نفسيته الشريرة التي توغلت في الأثم ،
فهو يأخذ البريء بالسقيم ، والمقبل بالمدير ، والادنى بالأقصى ، ويقتل على
الظنة والتهمة كما كان يفعل أبوه زهاد الذي اشاع القتل في ربوع العراق .

سفر الطاغية الى الكوفة :

وسار الخبيث الدنس من البصرة متجهاً الى الكوفة ليقترف أعظم موهبة
لم يقترفها شقي غيره ، وقد صحبه من أهل البصرة خمسمائة رجل فيهم
عبد الله بن الحارث بن نوفل وشريك بن الأعور الحارثي (٢) وهو من
اخلص اصحاب الامام الحسين ، وقد صحب ابن زياد ليكون عيناً عليه ،
ويتعرف على خططه ، وقد صحب ابن زياد هذا العدد ليستعين بهم على
بث الارهاب ، واذاعة الخوف بين الناس والالتصاع بزعماء الكوفة
لصرفهم عن الثورة .

وعلى أي حال فقد أخذ ابن زياد يجد في السير لا يلوي على شيء
قد واصل السير الى الكوفة مخافة أن يسبقه الحسين اليها ، وقد جهد
اصحابه ، واعياهم المسير فسقط منهم جماعة منهم عبد الله بن الحارث فلم
يعبأ بهم ، ولما ورد القادسية سقط مولاه (مهران) فقال له ابن زياد :
« إن امسكت على هذا الحال فتنظر الى القصر فلك مائة الف »
فقال له مهران : لا والله لا استطيع ، ونزل الطاغية فلبس ثياباً

(١) الطبري ٦ / ٢٠٠

(٢) الطبري ٦ / ١٩٩

بمانيّة وعمامة سوداء وتلثم ، ليوهم من رآه أنّه الحسين وسار وحده فدخل الكوفة بما يلي النجف (١) وكان قلبه كجناح طائر من شدة الخوف ، وار كانت عنده مسكة من البسالة والشجاعة لما تنكر وغير بزته ، وأوهم على الناس أنّه الحسين . . وقد تدرع الجبان بهذه الوسائل لحماية نفسه ، وتنص بعض المصادر انه حبس نفسه عن الكلام خوفاً من أن يعرفه الناس فتأخذه سيوفهم .

في قصر الامارة :

وأسرع الخبيث نحو قصر الامارة (٢) وقد علاه الفزع . وساءه كأشد ما يكون الاستياء من تبشير الناس وفرحهم بقدم الامام الحسين ،

(١) مقتل الحسين للمقرم (ص ١٦٥)

(٢) قصر الامارة : هو أقدم بناية حكومية شيدت في الاسلام بناها سعد بن أبي وقاص ، وقد اندثرت معالمه ، كما اندثرت جميع معالم الكوفة ماعدا الجامع ، وقد اهتمت مديرية الآثار العامة في العراق بالتعرف عليه ، فكشفت في مواسم مختلفة اسمه ، وقد اظهرت نتائج الحفائر التي اجريت عليه انه يتألف من سور خارجي يضم أربعة جدران تقريباً طولها ١٧٠ متراً ومعدن سمكها ٤ امتار ، وتدعم كل ضلع من الخارج ستة ابراج نصف دائرية باستثناء الضلع الشمالي ، حيث يدعمها برجان فقط ، والمسافة ما بين كل برج وآخر ٢٤ متر و ٦٥ سنتيمتر ، وارتفاع هذا السور بابراجه يصل الى ما يقرب من عشرين متراً ، وقد بني القصر بناء محكماً ، وصممت هندسته على غاية حربية ليكون في حماية آمنة من كل فزو خارجي جاء ذلك في تخطيط مدينة الكوفة للدكتور كاظم الجنايبي (ص ١٣٥ - ١٥٥) -

ولما انتهى إلى باب القصر وجده مغلقاً ، والنعمان بن بشير مشرف من اعلا القصر ، وكان قد توهم أن القادم هو الحسين لأن اصوات الناس قد تعالت بالترحيب به والحناف بحياته ، فانبرى يخاطبه .
« ما أنا بمؤد إليك امانتي يا بن رسول الله ، ومالي في قتالك من

ارب . . . »

ولس ابن مرجانة في كلام النعمان الضعف والانهيار فصاح به بنبرات تقطر غيظا .

« افتح لا فتحت فقد طال ليالك » .

ولما تكلم حرفه بعض من كان خلفه فصاح بالناس : « انه ابن مرجانة ورب الكعبة » ومن الغريب أن ذلك المجتمع لم يميز بين الامام الحسين وبين ابن مرجانة ، مع أن كلا منها قد عاش فترة في ديارهم ، ولعل الذي أوقعهم في ذلك تغير ابن زياد لبزته ، ولبسه للعامة السوداء .
وعلى أي حال فان الناس حينما علموا انه ابن زياد جملوا وخطوا مسرعين إلى دورهم ، وهم يتحدثون عما عانوه من الظلم والجور أيام أبيه وقد أوجسوا من عبيد الله الشر . . . وهادر ابن زياد في ليلته فاستولى على المال والسلاح ، وانلق ليله ساهراً قد جمع حوله عملاء الحكم الأموي فاخذوا يحدثونه عن الثورة ويعرفونه بأعضائها البارزين ، ويضعون معه المخططات للقضاء عليها .

= وقد وقلت عليه غير مرة ، وتطلعت الى كثير من معالمه ، ففني بعض ابوابه الرئيسية مظلات لحراس القصر قد ردمت ولم يبق منها إلا بعض معالمها ، وفي جانب منه بعض الغرف التي اعدت للسجن ، وقد صممت بشكل غريب ، وفي جانب منه مطابخ القصر ولم يشر الاستاذ الجنابي اليها وقد احكم بناء القصر حتى كان من المتعذر اقتحامه والاستيلاء عليه .

خطابه في الكوفة :

وهندما انبثق نور الصبح أمر ابن مرجانة بجمع الناس في المسجد الأعظم ، فاجتمعت الجماهير ، وقد خيم عليها الدهر والخوف ، وخرج ابن زياد متقلداً سيفه ومعتماً بعمامة ، فاعتلى اعواد المنبر ، وخطب الناس فقال :

« أما بعد ، فإن امير المؤمنين - أصلحه الله - ولاني مصركم وثركم وفيثكم ، وأمرني بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم ، وبالأحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدة على مريبكم ، فانا لمطيعكم كالوالد البر الشفيق وسيطلي وسوطي على من ترك أمري ، وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه الصديق ينهى عنك لا الوعيد . . . » (١) :

وحفل هذا الخطاب بما يلي :

١ - اعلام أهل الكوفة بولايته على مصرهم ، وعزل النعمان بن

بشير عنه .

٢ - تعريضهم أن حكومة دمشق قد عهدت له بالأحسان على من

يتبع السلطة ، ولم يتمرد عليها واستعمال الشدة والقسوة على الخارجين عليها .

ولم يعرض ابن مرجانة في خطابه للامام الحسين وسفيره مسلم خروفاً

من انتفاضة الجماهير عليه وهو بعد لم يحكم أمره .

(١) مقاتل الطالبين (ص ٩٧)

نشر الارهاب :

وعمد ابن زياد الى نشر الارهاب ، واذاعة الخوف ، ويقول بعض المؤرخين : انه لما أصبح ابن زياد بعد قدومه الى الكوفة صال وجال ، وارعد وابق ، وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة (١) وقد عمد الى ذلك لامائة الاعصاب ، وصرف الناس عن الثورة .

وفي اليوم التالي أمر بجمع الناس في المسجد . وخرج إليهم بزي غير ما كان يخرج به ، فخطب فيهم خطابا عنيفا يهدد فيه وتوعد ، فقد قال بعد حمد الله والثناء عليه :

« أما بعد : فانه لا يصلح هذا الأمر الا في شدة من غير عنف ، ولين من غير ضعف ، وان أخذ البريء بالسقيم ، والشاهد بالغايب ، والولي بالولي . . »

فانبرى إليه رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبد الله المري فرد عليه :

« أيها الأمير ، إن الله تبارك وتعالى يقول : « ولا تزر وزارة وزر أخرى » ألما المرء بجسده والسيوف بحده ، والفرس بشده ، وعليك أن تقول : وعلينا أن نسمع ، فلا نقدم فينا السيئة قبل الحسنة . . » وافحم ابن زياد فنزل عن المنبر ودخل قصر الامارة (٢) .

(١) الفصول المهمة (ص ١٩٧) وسيلة المآل (ص ١٨٦)

(٢) الفتوح ٥ / ٦٧

تحول مسلم الى دار هانيء :

واضطر مسلم إلى تغيير مقره ، واحاطة نشاطه السياسي بكثير من السر والكتان ، فقد شعر بالخطر الذي داهمه حينما قدم الطاغية إلى الكوفة فهو يعلم بنبث هذا الوغد ، وانه لا يرجو لله وقاراً ولا يتحرج من اقرار الاثم ، وقد أجمع أمره على مغادرة دار المختار لأنه لم تكن عنده قوة تصميه ولم يكن يأوي الى ركن شديد ، فالتجأ الى دار هانيء بن هروة فهو سيّد مصر وزعيم مراد ، وصنّده من القوة ما يضمن حماية الثورة والتغلب على الأحداث ، فقد كان فيما يقول المؤرخون : اذا ركب يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل ، فاذا اجابتها احلافها من كئنة وظهرها كان في ثلاثين الف دارع (١) كما كانت له الطاف واياذ بيضاء على أسرته مما جعلتهم يكونون له أعمق الود والاخلاص ،

ومضى مسلم الى دار هذا الزعيم العربي الكبير فرحب به ، واستقبله بمفاوة بالغة ، وتنص بعض المصادر (٢) انه قد نقل حل هانيء استجابة مسلم به ، وعظم عليه أن يتخذ داره مقلاً للثورة ، ومركزاً للتجمعات ضد الدولة ، فانه بذلك يعرض نفسه للنقمة والبلاء الا أنه استجاب لمسلم على كره خضوعاً للعادات العربية التي لا تطرد اللاجئ إليها ، وان عانت من ذلك أعظم المصاعب والمشاكل . . والذي نراه انه لا صحة لذلك فان مسلماً لو شعر منه عدم الرضا ، والقبول لما ركن إليه ، وتخرج كأشد ما يكون التحرج من دخول داره وذلك لما توفرت في مسلم من الطاقات التربوية الدينية ، وما عُرِف به من الشمم والاباء الذي يبعده كل البعد من

(١) مروج الذهب ٢ / ٨٩

(٢) الأخبار الطوال (ص ٢١٣)

سلوك أي طريق فيه حرج أو تكلف على الناس ، وبالإضافة الى ذلك فان مسلماً لو لم يحرز منه التجاوب التام ، والايمان الخالص بدعوته لما التجأ اليه في تلك الفترة العصيبة التي تحيط به .

ان من المؤكد ان هانياً لم يستجيب لحماية مسلم والدفاع عنه على كرهه أو حياء ، وانما استجاب له عن رضى وایمان ووحى من دينه وعقيدته . وعلى أي حال فقد استقر مسلم في دار هانيء واتخذها مقراً للثورة ، وقد احتف به هانيء ، ودعا القبائل لمبايعته ، فبايعه في منزله ثمانية عشر ألفاً (١) وقد عرف مسلم هانياً بشؤون الثورة ، وأحاطه علماً بدعاتها وأعضائها البارزين ،

امتناع مسلم من اعتيال ابن زياد :

وذهب معظم المؤرخين إلى أن شريك بن الأعور مرض مرضاً شديداً في بيت هانيء بن عروة أو في بيته (٢) فانتهى خبره الى ابن زياد فأرسل إليه رسولا يعلمه أنه آت لعبادته ، فاغتم شريك هذه الفرصة فقال لمسلم : و انما غايتك وغاية شيعتك هلاك هذا الطاغية ، وقد أمكنك الله منه وهو صائر إلي ليعودني فقم فادخل الخزانة حتى اذا اطمان هندي فاخرج إليه فاقتله ، ثم صر الى قصر الامارة فاجلس فيه فانه لا ينازعك فيه أحد من الناس ، وان رزقي الله العافية صرت إلى البصرة فكلهيتك أمرها ، وبايع

(١) الأخبار الطوال (ص ٢١٤)

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٥٣ ، والمشهور بين المؤرخين ان شريكاً كان في بيت هانيء لا في بيته فقد كان مقيماً بالبصرة ، وجاء مع ابن زياد الى الكوفة .

لك أهلها ، (١) .

وكره هانيء أن يقتل ابن زياد في داره تمسكاً بالعادات العربية
التي لا تبيح قتل الضيف والقاصد إليها في بيوتها (٢) فقال له :
« ما أحب أن يقتل في داري »

فقال له شريك : « ولم فوالله ان قتله لقرهان الى الله »

ولم يعن شريك بهانيء والتفت الى مسلم يحثه على اغتيال ابن زياد
قائلاً له : « لا تقصر في ذلك » وبينما هم في الحديث واذا بالضجة على
الباب فقد أقبل ابن مرجانة مع حاشيته ، فقام مسلم ودخل الخزانة مختبئاً
بها ، ودخل ابن زياد فجعل يسأل شريكا عن مرضه ، وشريك يجيبه ،
ولما استبطأ شريك خروج مسلم جعل يقول :

ما الانتظار بسلمى أن تحيوها حيوا سليمى وحيوا من يحيها

كأس المنية بالتهجيل فاسقوها (٣)

(١) الأخبار الطوال (ص ٢١٤) مقاتل الطالبين (ص ٩٨)
تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٩ ، وذهب بعض المؤرخين الى أن الذي دعا مسلماً
لاغتيال ابن زياد هو هانيء بن عروة كما في الامامة والسياسة ٢ / ٤ .
(٢) يشير الى ذلك ما جاء في مقاتل الطالبين (ص ٩٨) ان هانئاً
استقبح قتل ابن زياد في داره .

(٣) مقاتل الطالبين (ص ٩٨) وفي مقتل أبي مخنف أنه أنشد

هذه الأبيات :

ما تنظرون بسلمى لا تحيوها	حيوا سليمى وحيوا من يحيها
هل شربة عذبة اسقى على ظمأ	ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وان تخشيت من سلمى مراقبة	فلمست تأمن يوماً من دواهيها -

ورفع صوته لسمع مسلما قائلا :
« لله أبوك استغنيها وان كانت فيها نفسي » (١)
وخلف ابن زياد عن مراده ، وظن أنه يهجر فقال لهانيء :
- أيهجر ؟

- نعم أصلح الله الأمير لم يزل هكذا منذ أصبح (٢)
وفطن مهران مولى ابن زياد ، وكان ذكيا الى مادبر لسيدته ، فقمزه
ونهبه به سريرا فقال له شريك : أيها الأمير إنني أريد أن أوصي إليك
فقال له ابن زياد : الي اهود إليك والتفت مهران وهو مدعور الى ابن
زياد ، فقال له :
« انه أراد قتلك »

فبهر ابن زياد ، وقال «
« كيف مع اكرامي له ؟ ! ! وفي بيت هانيء ويد أبي عنده ! »
ولما ولي الطاغية خرج مسلم من الحجرة ، فالتفت إليه شريك وقلبه
يلذوب أسى وحسرات قال له :

« مامنك من قتله ؟ » (٣)
فقال مسلم : منعي منه خلتان : احدهما كراهية هانيء لقتله في

- وفي الفتوح ٥ / ٧٢ والأخبار الطوال (ص ٢١٤) انه أنشد
هذا البيت :

ما ينظرون بسلمي عند فرصتها فقدوني ودها واستوسق الصبرم

(١) مقاتل الطالبين (ص ٩٩)

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٠ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠

منزله ، والأخرى قول رسول الله (ص) : ان الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن ، فقال له شريك : أما والله لو قتلته لاستقام لك أمرك ، واستوسق لك سلطانك (١) .

ولم يلبث شريك بعد الحادثة الا ثلاثة أيام حتى توفي ، فعلى عليه ابن زياد ودفنه بالثوية ، ولما تبين له ما دبره له شريك طفق يقول : والله لا أصلي على جنازة عراقي ، ولولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً (٢)

أضواء على الموقف :

ويتساءل الكثيرون من الناس عن موقف مسلم ، فيلقون عليه اللوم والتقريع ، ويحملونه مسؤولية ما وقع من الأحداث ، فلو اغتال الطاغية لأنفذ المسلمين من شر عظيم ، ومأمني المسلمون بتلك الأزمات الموجهة التي أهرقتهم في الحن والخطوب . . . أما هذا النقد فليس موضوعياً ، ولا يحمل أي طابع من التوازن والتحقيق ، وذلك لعدم التقائه بسيرة مسلم ولا بواقع شخصيته ، فقد كان الرجل فداً من أفذاذ الاسلام في ورعه وتقواه ، وتحرجه في الدين ، فقد تربى في بيت عمه أمير المؤمنين (ع) وحمل اتجاهاته الفكرية ، واتخذ سيرته المشرقة منهاجاً يسير على أضوائها

(١) الأخبار الطوال (ص ٢١٤) وفي تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٠ ان هانئاً قال لمسلم : لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً هادراً ، وذكر ابن لما ان امرأة هانئ تملقت بمسلم ، وأسمت عليه بالله ان لا يقتل ابن زياد في دارها ، فلما علم هانئ قال : يا ويلها قتلتنى وقتلت نفسها والذي فرث منه وقعت فيه .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٢ ، الاغانى ٦ / ٥٩ .

في حياته ، وقد بنى الامام أمير المؤمنين (ع) واقع حياته على الحق المحض الذي لا التواء فيه ، ونحرج كاعظم ما يكون التحرج في سلوكه فلم يرتكب أي شيء شذ عن هدي الاسلام وواقعه وهو القائل : « قد يرى الحول القلب وجه الخيلة ودونها حاجز من تقوى الله » :

وعلى ضوء هذه السيرة بنى ابن عقيل حياته الفكرية ، وتكاد أن تكون هذه السيرة هي المنهاج البارز في سلوك العلويين يقول الدكتور محمد طاهر دروش :

« كان للهاشميين مجال يحيون فيه ، ولا يعرفون سواه ، فهم منذ جاهليتهم للرياسة الدينية قد طبعوا على ما توحى به من الايمان والصراحة والصدق والعلية والشرف والفضيلة ، والترفع والخلائق المثالية والمزايا الأدبية والشمال الديلية والآداب النبوية » (١) .

ان مسلماً لم يقدم على اغتيال عدوه الماكر لأن الايمان قيد الفتنك ، ولا يفتك مؤمن ، وعلق هبة الدين على هذه الكلمة بقوله : « كلمة كبيرة المفزى ، بعيدة المدى فان آل علي من قوة تمسكهم بالحق والصدق نبذوا الغدر والمكر حتى لدى الضرورة ، واختاروا النصر الآجل بقوة الحق على النصر العاجل بالخديعة ، شلشنة فيهم معروفة عن اسلافهم ، وموروثة في اخلاقهم ، كأنهم مخلوقون لاقامة حكم العدل والفضيلة في قلوب العرفاء الاصلياء ، وقد حفظ التاريخ لهم الكراسي في القلوب » (٢) .
ويقول الشيخ احمد فهمي :

« فهذا عبيد الله بن زياد ، وهو من هو في دهائه ، وشدة مراسه امكنت مسلماً الفرصة منه اذ كان بين يديه ، ورأسه قريب المنال منه ،

(١) الخطابة في صدر الاسلام ٢ / ١٣ .

(٢) نهضة الحسين (ص ٨٤) :

وكان في استطاعته قتله واو انه فعل ذلك لحرم يزيد نفساً جبارة ، وبدأ فتاكة ، وقوة لا يستهان بها ، ولكن مسلماً متأثر بهدي ابن عمه عاف هذا المسلك وصان نفسه من أن يقتله خيلة ومكرراً ، (١) .

ان مهمة مسلم التي عهد بها إليه هي أخذ البيعة من الناس والتعرف على مجريات الأحداث ، ولم يعهد إليه بأكثر من ذلك ، ولو قام باختيار الطاغية لخرج عن حدود مسؤولياته . . على أن الحكومة التي جاء ممثلاً لها العا هي حكومة دينية تعني قبل كل شيء بمبادئ الدين والالتزام بتطبيق سننه وأحكامه ، وليس من الاسلام في شيء القيام بعملية الاختيار .

وقد كان أهل البيت (ع) يتخرجون كأشد ما يكون التخرج من السلوك في المنعطلات ، وكانوا ينعون على الأمويين شلوذ أعمالهم التي لا تتفق مع نوااميس الدين ، وما قام الحسين بنهضته الكبرى الا لتصحيح الأوضاع الراهنة واعادة المنهج الاسلامي الى الناس . . وماذا يقول مسلم للاختيار والمتخرجين في دينهم لو قام بهذه العملية التي لا يقرها الدين . وعلى أي حال فقد استمسك مسلم بفضائل دينه وشرفه من اغتيال ابن زياد ، وكان تحت قبضته ، وان من أهزل الأقوال وأوهنها القول بأن عدم فتكه به ناشيء عن ضعفه وخوره ، فان هذا أمر لا يمكن أن يصفى إليه فقد أثبت في مواقفه البطولية في الكوفة حينما خدر به أهلها ما لم يشاهد التاريخ له نظيراً في جميع مراحلها ، فقد صمد أمام ذلك الزحف الهائل من الجيوش فقاتلها وحده ولم تظهر عليه أي بادرة من الخوف والوهن ، فقد قام بهزم ثابت يحصد الرؤوس ويحطم الجيوش حتى ضمجت الكوفة من كثرة من قتل منها ، فكيف يتهم بطـل هاشم وفخر عدنان بالوهن والضعف ؟

(١) ریحالة الرسول (ص ١٧٨)

المخططات الرهيبة :

وأدت المخططات الرهيبة التي صممها الطاغية الى نجاحه في الميادين السياسية وتغلبه على الأحداث ، فبعد أن كانت الكوفة تحت قبضة مسلم انقلبت عليه رأساً على عقب ، فزج بها الماكر الحبيث الى حرب مسلم ، والقضاء عليه ، ومن بين هذه المخططات .

١ - التجسس على مسلم :

وأول بادرة سلكها ابن زياد هي التجسس على مسلم ، ومعرفة جميع نشاطاته السياسية والوقوف على نقاط القوة والضعف عنده ، وقد اختار للقيام بهذه المهمة مولاة معقلا ، وكان من صنائعه ، وتربى في كتفه ، ودرس طباعه ، ووثق باخلاصه ، وكان فطناً ذكياً ، فأعطاه ثلاثة آلاف درهم ، وأمره أن يتصل بالشيعة ، ويعرفهم أذه من أهل الشام ، وأنه مولى لذي الكلاع الجميري ، وكانت الصبغة السائدة على الموالي هي الاخلاص لأهل البيت (ع) ولذا أمره بالانتساب الى الموالي ، حتى ينلني الشك والريب عنه ، وقال له : انه اذا التقى بهم فليعرفهم بأنه ممن انعم الله عليه بحب أهل البيت (ع) وقد بلغه قدوم رجل الى الكوفة يدعو للامام الحسين ، وعنده مال يريد أن يلقاه ليوصله إليه حتى يستعين به على حرب عدوه ، ومضى معقل في مهمته فدخل الجامع ، وجعل يلجس ويسأل عن له معرفة بمسلم ، فأرشد الى مسلم بن عوسجة ، فأنبرى إليه ، وهو يظهر الاخلاص والولاء للعترة الطاهرة قائلاً له :

« إنني أتيتك لتقبض مني هذا المال ، وتدلني على صاحبك لأبأيه ،

وان شئت أخذت بيعتي قبل لقائي اياه

فقال مسلم : لقد سرني لقاءك اباي لتناك الذي تُحِب ، وينصر الله بك أهل نبيه ، وقد ساني معرفة الناس اباي من قبل أن يتم مخافة هذا الطاغية ومطوته ، ثم أخذ منه البيعة وأخذ منه المواثيق المغلظة على النصيحة وكتبان الأمر (١) وفي اليوم الثاني أدخله على مسلم فبايعه وأخذ منه المال وأعطاه إلى أبي ثمامة الصائدي ، وكان قد عينه لقبض المال ليشتري به السلاح والكرام ، وكان معقل فيما يقول المؤرخون : أول من يدخل على مسلم ، وآخر من يخرج منه ، وجميع البوادر والاحداث التي تصدر ينقلها بتحفظ في المساء إلى ابن زياد (٢) حتى وقف على جميع اسرار الثورة .
مع أعضاء الثورة

والذي يواجه أعضاء الثورة من المؤاخذات ما يلي :

أولاً : ان معقل كان من أهل الشام الذي عرفوا بالبغض والكرهية لأهل البيت (ع) والولاء لبني أمية والتفاني في حبههم فما معنى الركون إليه ؟
ثانياً : ان اللازم التريب حينما أعطى المال لمسلم بن عوسجة وهو يبكي ، فما معنى بكائه أو تباكيه ؟ اليس ذلك مما يوجب الريب في شأنه .
ثالثاً : انه حينما اتصل بهم كان أول داخل وآخر خارج ، فما معنى هذا الاستمرار والمكث الطويل في مقر القيادة العامة ؟ اليس ذلك مما يوجب الشك في أمره ؟ .

لقد كان الأولى بالقوم التحرز منه ، ولكن القوم قد خدعتهم المظاهر المزيفة ، ومن الحق ان هذا الجاسوس كان ماهراً في صناعته ، وخبيراً فيما انتدب إليه

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٦٩

(٢) الأخبار الطوال (ص ٢١٥)

وعلى أي حال فإن ابن زياد قد استفاد من عملية التجسس أموراً بالغة الخطورة فقد عرف العناصر الفعالة في الثورة ، وعرف مواطن الضعف فيها ، وغير ذلك من الأمور التي ساعدته على التغلب على الأحداث

٢ - رشوة الزعماء والوجوه :

ووقف ابن زياد على نبض الكوفة ، وعرف كيف يستدرج أهلها فبادر إلى ارشاء الوجوه والزعماء فبذل لهم المال بسخاء فاستمالوهم ، واستولى على قلوبهم فصارت السننهم تكيل له المدح والثناء ، وكانوا ساعده القوي في تشتيت شمل الناس وتفريق جموعهم عن مسلم .

لقد استعبدهم ابن مرجانة بما بذله من الأموال فأخلصوا له ومنحوه النصيحة وخانوا بهودهم وموائيقهم التي أعطوها لمسلم ، وقد أخبر بعض أهل الكوفة الامام عن هذه الظاهرة حينما التقى به في أثناء الطريق فقال له : « أما اشرف الناس فقد عظمت رشوتهم ، وملئت خرائرهم ، يستمالوهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، وأما سائر الناس فإن أفئدتهم تهوى إليك ، وسيوفهم خدأ مشهورة عليك » (١) .

لقد تناسى الكوفيون كتبهم التي أرسلوها للامام وبيعتهم له على يد سفيره من أجل الأموال التي أخذتها عليهم السلطة ، يقول بعض الكتاب : « ان الجماعات التي أقامها التكبير على بني أمية ، وراسلت الحسين وأكدت له اخلاصها ، وذرفت أمام مسلم أعز دموعها هي الجماعات التي ابتاعها عبيد الله بن زياد بالدرهم والدينار ، وقد ابتاعها فيما بعد مصعب

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٣٣ .

ابن الزبير فتحوا عن المختار ، وتركوه وحيداً يلقي حتفه ثم اشتراها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فتحلوا عن مصعب ، وتركوه يلقي مصيره على يد عبد الملك بن مروان ، (١) .

الاحجام عن كبس دار هانيء :

وعلم الطاغية ان هانثاً هو العضو البارز في الثورة ، فقد اطلمه الجاسوس الخطير معقل على الدور الفعال الذي يقوم به هانيء في دعم الثورة ، ومساندتها بجميع قدراته ، وعرفه أن داره اصبحت المركز العام للشعبة ، والمقر الرئيسي لسفير الحسين مسلم . . . فلماذا لم يتم بكبسها وتطويرها بالجيش ليقتضي بذلك على الثورة ، وانما احجم عن ذلك لعجزه عسكرياً ، وعدم مقدرته على فتح باب الحرب فان دار هانيء مع الدور التي كانت محيطة بها كانت تضم أربعة آلاف مقاتل ممن بايعوا مسلماً بالاضافة الى اتباع هانيء ومكانته المرموقة في مصر ، فلماذا لم يستطع ابن زياد من القيام بذلك نظراً للمضامات السيئة .

رسل الغدر :

وانفق ابن زياد لياليه ساهراً يطيل التفكير ، ويطيل البحث مع حاشيته في شأن هانيء ، فهو أعز من في مصر ، وأقوى شخصية يستطيع القيام بحماية الثورة ، ولا يدع مسلماً فريسة لأعدائه ، فاذا قضى عليه فقد استأصل الثورة من جذورها ، وقد عرضوا عن القاء القبض عليه ،

(١) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي (ص ٦٩ - ٧٠)

وتطويق داره فان ذلك ليس بالأمر الممكن ، وقد اتفق رأيهم على خديعته
بارسال وفد اليه من قبل السلطة يعرض عليه رغبة ابن زياد في زيارته ،
فاذا وقع تحت قبضته فقد تم كل شيء ، ويكون تشبث اتباعه ليس بالأمر
العسير ، وشكلوا وهدأ لدعوته وهم :

١ - حسان بن اسماء بن خارجة زعيم فزارة

٢ - محمد بن الأشعث زعيم كندة

٣ - عمرو بن الحجاج

ولم يكن لحسان بن أسماء علم بالمؤامرة التي دبرت ضد هانيء ،
وانما كان يعلم بها محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج ، وقد أمرهم ابن
زياد أن يحملوا له عواطفه ورغبته الملحة في زيارته ، ويعلموا جاهدين
على اقناعه .

اعتقال هانيء :

واسرع الوفد إلى هانيء عشية فوجدوه جالساً على باب داره فسلموا
عليه ، وقالوا له :

« ما يمنعك من لقاء الأمير فانه قد قسد ذكرك ؟ » وقال : لو أعلم أنه
شاك لعدته .

فقال لهم : الشكوى تمنعني

واهللوا هذا الزعم وقالوا له : إنه قد بلغه انك تجلس كل عشية
على باب دارك ، وقسد استبطاك ، والابطاء والجلء لا يحتمله السلطان ،
أقسمنا عليك لما ركبت معنا .

وأخذوا يلحون عليه في زيارته فاستجاب لهم على كره فدها هشاها

فليسها ، ودعا ببغلة فركبها فلما كان قريباً من القصر احست نفسه بالشر فعزم على الانصراف وقال لحسان بن سماء : يا ابن الأخ إلي والله لخائف من هذا الرجل فما ترى ؟ فقال حسان : يا عم والله ما اتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلاً ؟ واتخذ القوم يلحون عليه حتى ادخلوه على ابن مرجانة ، فاستقبله بعنف وشرامة ، وقال :

« أنتك بخائن رجلاه »

وكان شريخ الى جانبه ، فقال له :

أريد حياته (١) ويريد قتلي هذيرك من خيلك من مراد

وذعر هانيء فقال له :

« ما ذاك أيها الأمير ؟ »

فصاح به الطاغية بعنف

« ايه يا هانيء ما هذه الأمور التي تترهبص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ؟ جئت بمسلم بن عقيل فادخلته دارك ، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وظننت أن ذلك يحلني علي ؟ » .

فأنكر ذلك هانيء وقال :

« ما فعلت ذلك وما مسلم عندي »

« بلى قد فعلت »

وطال النزاع واحتدم الجدل بينهما ، فرأى ابن زياد ان يحسم النزاع فدعا معقلا الذي جملة عيناً عليهم فلما مثل عنده قال لهانيء

« اتعرف هذا ؟ »

« نعم »

(١) يروى (حيااه) من المعطاء

واسقط ماني يدي هانيء ، واطرق برأسه الى الأرض ، ولكن سرعان
ما سيطرت شجاعته على الموقف ، فانفض كالأسد ، وقال لابن مرجانة :
« قد كان الذي بلغك ، وان اضيغ يدك عندي (١) تشخص لأهل
الشام انت واهل بيتك سالمين بأموالكم ، فانه جاء حق من هو أحق من
حقك وحق صاحبك . . . » (٢) .

فثار ابن زياد وصاح به :

« والله لا تفارقني حتى تأتيني به »

وسخر منه هانيء ، وانكر عليه قائلاً له مقالة الرجل الشريف :
« لا آتيك بضيئي ابدا »

ولما طاك الجدل بينها انبرى الى هانيء مسلم بن عمر الباهلي وهو من
خدام السلطة ، ولم يكن رجل في المجلس غريب غيره فطلب من ابن زياد
أن يحتلي بهانيء ، ليمنعه فأذن له ، فقام وخلا به ناحية بحيث يراها ابن
زياد ويسمع صوتها اذا علا ، وحاول الباهلي اقناع هانيء فحذره من
نقمة السلطان وان السلطة لا تنوي السوء بمسلم قائلاً :

« يا هانيء أنشدك الله ان تقتل نفسك ، وتدخل البلاء على قومك ،
إن هذا الرجل - يعني مسلماً - ابن عم القوم ، وليسوا بمقاتليه ، ولا
ضائريه ، فأدفعه إليه فليس عليك بذلك مخزاة ، ولا متقصبة انما تدفعه
إلى السلطان . . . »

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١ .

(٢) مروج الذهب ٣ / ٧ ، سمط النجوم العوالي ٣ / ٦١ تاريخ
الاسلام للذهبي ٢ / ٢٦٩ وروي كلامه بصورة أخرى وهي تخالف
ما رواه مشهور المؤرخين .

ولم يخف على هانيء هذا المنطق الرخيص ، فهو يعلم ان السلطة اذا ظفرت بمسلم فسوف تنكل به ، ولا تدعه حياً وان ذلك يعود عليه بالعار والخزي ان سلم ضيفه وافد آل محمد فريسة لهم قاتلا :
« بلى والله عليّ في ذلك أعظم العار أن يكون مسلم في جواري وضيبي وهو رسول ابن بنت رسول الله (ص) وأنا حي صحيح الساعدين كثير الأعداء ، والله لو لم اكن إلا وحدي لما سلمته أبداً . »
وحفل هذا الكلام بمنطق الأحرار الذين يهبون حياتهم للمثل العليا ولا يتحذرون لما يخل بشرفهم .

ولما يش الباهلي من افتناع هانيء انطلق نحو ابن زياد فقال له :

« أيها الأمير قد أبي ان يسلم مسلماً أو يقتل » (١) .
وصاح الطاغية بهانيء :

« أتأبيني به أو لأضرب عنقك »

فلم يعبأ به هانيء وقال :

« اذن تكثر البارقة حولك »

فثار الطاغية وانتلخت اوداجه وقال :

« والهلا عليك أبا لبارقة تخوفني » (٢)

وصاح بغلامه مهران وقال : خذوه ، فأخذ بضفيرتي هانيء ، وأخذ ابن زياد القضيب فاستعرض به وجهه ، وضربه ضرباً عنيفاً حتى كسر انفه ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى تحطم القضيب وسالت الدماء على ثيابه ، وعمد هانيء الى قائم سيف شرطي محاولاً اختطافه ليدافع به عن نفسه فمنعه منه ، فصاح به ابن زياد :

(١) الفتوح ٥ / ٨٣

(٢) البارقة : السيوف التي يلمع بريقها

« أحروري احللت بنفسك وحل لنا قتلك » .
و أمر ابن زياد باعتقاله في أحد بيوت القصر (١) واندفع حسان بن
اسماء بن خارجة وكان ممن أمن هانئاً وجاء به الى ابن زياد ، وقد خاف
من سطوة عشيرته ونقمته عليه ، فأنكر عليه ما فعله بهانيء قائلاً :
« أرسله ياغادر امرتنا ان نجيتك بالرجل فلما اتيناك به هسنت
وجهه ، وسيلت دماؤه وزعمت أنك تقتله »
وغضب منه ابن زياد فاوعز إلى شرطته بتأديبه فلهز وتعتق ثم ترك
وأما ابن الأشعث المتملق الحقيير فجعل يحرك رأسه ويقول لبسسم الطاغية .
« قد رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا ، انما الأمير مؤدب » (٢)
ولا يهم ابن الأشعث ما اقترفه الطاغية من جريمة في سبيل تأمين
مصالحه ورهبائه .

انتفاضة مدحج :

وانتهى خبر هانئء إلى أسرته فاندفعت بتناقل كالحشرات فقاد جمعها
الانتهازي الجبان عمرو بن الحجاج الذي لا عهد له بالشرف والمروءة ،
فأقبل ومعه مدحج وهو يرفع عقيرته لتسم السلطة مقالته قائلاً :
« أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مدحج ووجوهها لم نخلم طاعة
ولم لفارق جماعة » :
وحلل كلامه بالخنوع والمسألة للسلطة وليس فيه اندفاع لانقاذ هانئء
ولذا لم يحفل به ابن زياد فالتفت إلى شريح القاضي فقال له : ادخل على

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١ .

صاحبهم فانظر إليه ، ثم اخرج اليهم فاعلمهم أنه حي ، وخرج شريح
فدخل على هانيء فلما بصر به صاح مستجيراً .

« يا للمسلمين أهلكت عشيرتي ؟ ! ! أين أهل الدين أين أهل المصر !
أيجلدونني عدوهم (١) وكان قد سمع الأصوات وضجيج الناس فالتفت
الى شريح (٢) قائلاً :

« يا شريح : اني لاظنها أصوات مدحج وشيعتي من المسلمين ، انه
ان دخل علي عشرة أنلر انقلوني . » (٣) .

وخرج شريح وكان عليه عين لابن زياد مخافة أن يذلي بشيء على
خلاف رغبات السلطة فيلسد عليها أمرها فقال لهم :

« قد نظرت الى صاحبكم وانه حي لم يقتل ،

وبادر عمرو بن الحجاج فقال :

« إذا لم يقتل فالحمد لله » (٤) .

ولوا منتهزمين كأنما اتيح لهم الخلاص من السجن وهم يصحبون
العار والحزبي ، وظلوا مثالا للخيانة والجن على امتداد التاريخ - وفيما
احسب - أن هزيمة مدحج بهذه السرعة وعدم تأكدها من سلامة زعيمها
جاءت نتيجة اتفاق سري بين زعماء مدحج وبين ابن زياد للقضاء على

(١) في رواية الطبري : « ايجلونى وعدوهم »

(٢) شريح القاضي ينتمي لاحدى بطون كندة جاء ذلك في الكامل

للمبرد (ص ٢١) .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢٧١/٣ ، وجاء في تهذيب التهذيب ٢/٣٥١

ان هانئاً قال لشريح : يا شريح اتق الله فانه قاتلي :

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١ .

هانئء ، ولولا ذلك لثفرت ملدحج حينئذا اخرج هانئء من السجن في وضع
النهار ، ونفذ فيه حكم الاعدام في سوق الحدائين .
وعلى أي حال فقد خلدت ملدحج لذلك ، ورضيت بالهوان ، وانبرى
شاعر مجهول اخفى اسمه حذراً من نقمة الأمويين وبطشهم فرثى هانئاً
وزدد بأسرته محاولاً بذلك أن يثير في نفوسهم روح العصبية القبلية ليثأروا
لقتيلهم يقول :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري
إلى هانئء في السوق وابن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه
وأخر يهوي من طمار قتيل (١)
أصابهما أمر الأمير فأصبحا
أحاديث من يسري بكل سبيل (٢)
تري جسداً قد غير الموت لونه
ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاة حبية
واقطع من ذي شغرتين صقيل
أركب اسماء الهماليج آمناً
وقد طلبته ملدحج بلدحول (٣)

(١) الطمار : اسم لغرفة شيدت فوق قصر الامارة ، وفي اعلاها
قتل مسلم بن عقيل ، ورميت جثته إلى الأرض ، وما ذكره ابن ابى الحديد
أن الطمار هو الجدار فليس بصحيح .

(٢) وفي رواية « اصابها بغي الأمير » (٣) الهماليج : جمع
هملاج وهو نوع من البرذون ، والدحول : جمع ذحل النار

تطوف حواليه (مراد) وكلهم على رقبة من سائل ومسول
فان أنتم لم تتأروا بأخيكم فكونوا بغايا أرضيت بقليل (١)
وعلق الدكتور يوسف خليف على هذه الأبيات بقوله : « واللحن
هنا تأثير عنيف ، والتعبير فيه قوى صريح بل تصل فيه الصراحة الى درجة
الجرأة ، وشجع الشاعر على هذه الجرأة أنه كان في مأمن من بطش الأمويين
لأنه استطاع أن يخفي اسمه ، حتى أصبح شخصاً مختلفاً فيه عند بعض
الرواة ، ومجهولاً تماماً عند بعضهم ، وهو في هذا اللحن لا يتحدث عن
الحسين ، ولا عن السياسة ، وإنما كل حرصه أن يثير روح العصية القبلية
في نفوس اليمنية ليثأروا لقتيلهم وهو - من أجل هذا - أغفل متعمداً من
غير شك ذكر محمد بن الأشعث اليمني ، ولم يذكر إلا أسماء بن خارجة
الغزاري على أنه هو المسؤول عن دم هانيء مع أن كليهما كان رسول ابن
زياد إليه ، ولكن الشاعر حرص على أن يغفل ذكر ابن الأشعث حتى
لا يثير فتنة أو انقساماً بين اليمنية ، وهو في أشد الحاجة إلى أن يوحد
صفوفهم حتى يدركوا ثأرهم ، واعتمد الشاعر في قصيدته على هذه الصورة
المفرعة التي رسمها للقتيلين اللذين هشم السيف وجه أحدهما والقى بالآخر
من أعلى القصر ، واللذين أصبحا أحاديث للناس في كل مكان . وهو
حريص في هذه الصورة على أن يعرض للناس منظرين رهيبين يثيران في
نفوسهم كل عواطف الحزن والسخط والانتقام : منظر هذين الجسدين وقد

(١) في مروج الذهب ٢ / ٧٠ انها لشاعر مجهول وكذلك في
الأغاني ١٣ / ٣٥ ، وفي جمهرة الانساب (ص ٢٢٨) انها للاختل ،
وفي مقاتل الطالبين (ص ١٠٨) انها لعبد الله بن الزبير الأسدي ، وفي
الطبري انها للفرزدق ، وفي الأخبار الطوال (ص ٢١٩) انها لعبد الرحمن
ابن الزبير الأسدي وفي لسان العرب ٦ / ١٧٤ انها لسليم بن سلام الخنفي .

غير الموت من لونهما ، وهذا الدم الذي ينضح منها ويسيل كل مسيل ، ثم منظر اسماء بن خارجة وهو يمتال في طرقات الكوفة على دوابه التي تتبختر به آمناً مطمئناً ، ويسأل إلى متى سيظل هذا الرجل في امنه وخيلائه ومن حوله قبيلة القنيل تطالبه بالثأر ، فلا يجد أشد من طعنها في كرامتها ، فيقول لهم ان لم تثاروا بهتيلكم فكونوا بهغايا ببغي شرفهن بثمن بنحس دراهم معدودات (١) .

لقد تنكرت ملحج لزعيمها الكبير فلم تفت له حقوقه فتركته أسيراً بيد ابن مرجانة يعمن في ارماقه من دون أن تحرك ساكنساً في حين أنها كانت لها السيادة والسيطرة على الكوفة كما يرى ذلك فلهوزن وعلى أي حال فقد كان لاعتقال هانيء الأثر الكبير في ذبوع الفزع والخوف في نفوس الكوفيين مما أدى إلى تفرق الناس عن مسلم واخفاق الثورة

ثورة مسلم :

ولما علم مسلم بما جرى على هانيء باذر لاعلان الثورة على ابن زياد لعلمه بأنه سيلقى نفس المصير الذي لاقاه هانئاً ، فارعز إلى عبد الله بن حازم أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور ، فاجتمع إليه أربعة آلاف (٢)

(١) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة (ص ٤٦٣ - ٤٦٤) .

(٢) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٥ / ١٢٦ من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين .

أو اربعون ألفاً (١) وهم ينادون بشعار المسلمين يوم بدر .

« يا منصور أمت ، (٢) :

وقام مسلم بتنظيم جيشه ، واسند القيادات العامة في الجيش إلى من

عرفوا بالولاء والانخلاص لأهل البيت (ع) وهم :

١ - عبد الله بن عزيز الكندي ؛ جملة على ربع كندة

٢ - مسلم بن عوسجة ؛ جملة على ربع مدحج

٣ - أبو ثمامة الصائدي ؛ جملة على ربع قبائل بني تميم وهمدان

٤ - العباس بن جمعة الجدي ؛ جملة على ربع المدينة

واتجه مسلم بجيشه نحو قصر الامارة فاحاطوا به (٣) وكان ابن زياد

قد خرج من القصر ليخطب الناس على أثر اعتقاله لثانيه ، فجاأ إلى

المسجد الأعظم فاعتلى أعواد المنبر ، ثم التفت إلى أصحابه فرآهم عن يمينه

وشماله وفي أيديهم الأعمدة وقد شهبوا سيوفهم للحفاظ عليه ، فهدأ روعه

وخطب أهل الكوفة قائلاً ؛

« أما بعد ؛ يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله ، وطاعة

ائمتكم ولا تختلفوا ، ولا تفرقوا فنهلكوا ، وتدلوا ، وتندموا ، وتقهروا ،

فلا يجعان احد على نفسه سبيلا وقد اعذر من انذر .

وما أتم الطاغية خطابه حتى سمع الضجة واصوات الناس قد علت

فسأل عن ذلك فقيل له :

(١) تهذيب التهذيب ٢ / ٣٥١ ، تهذيب التهذيب ١ / ١٥٠ للذهبي

من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين .

(٢) هذا الشعار فيه تحريض للجيش على الموت في الحرب للتغلب

على الأعداء ، وفيه تفاؤل بالنصر .

(٣) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١ .

والخدر ، الخدر ، هذا مسلم بن عقيل قد اقبل في جميع من
بايعه .

واختطف الرعب لونه ، وسرت الرعدة بجميع أوصاله فاسرع الجبان
نحو القصر وهو يلهث من شدة الخوف ، فدخل القصر ، واغلق عليه
ابوابه (١) وامتأ المسجد والسوق من اصحاب مسلم ، وضامت الدنيا على
ابن زياد ، وايقن بالهلاك إذ لم تكن عنده قوة تحميه سوى ثلاثين رجلا
من الشرط ، وعشرين رجلا من الأشراف الذين هم من عملائه (٢) ،
وقد تزايد جيش مسلم حتى بلغ فيما يقول بعض المؤرخين ثمانية عشر الفا
وقد نشروا الأعلام وشهروا السيوف ، وقد ارتفعت اصواتهم بقذف ابن
زياد وشتمه ، وجرى بين اتباع ابن زياد وبين جيش مسلم قتال شديد
كما نص على ذلك بعض المؤرخين .

وامن الطاغية في اقرب الوسائل التي تمكنه من انقاذ حكومته من
الثورة فرأى ان لا طريق له سوى حرب الأعصاب ودعايات الارهاب
فسلك ذلك .

حرب الاعصاب :

واوعز الطاغية الى جماعة من وجوه اهل الكوفة ان يبادروا ببث
الدعر ونشر الخوف بين الناس ، وقد انتدب للقيام بهذه المهمة
الدوات التالية :

١ كثير بن شهاب الحارثي

(١) البداية والنهاية ٨ / ١٥٤ ، الفتوح ٥ / ٨٥

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧١

٢ - القعقاع بن شور الدهلي

٣ - شيبث بن ربهى التميمي

٤ - حجار بن ابجر

٥ - شمر بن ذي الجوشن الضبائي (١)

وانطلق هؤلاء الى صفوف جيش مسلم فاحلوا يشيعون الخوف ،
ويثون الأراجيف فيهم ويظهرون لهم الاخلاص والولاء خوفاً عليهم من
جيوش اهل الشام فكان ما قاله كثير بن شهاب :

« أيها الناس : الحقوا باهاليكم ، ولا تعجلوا الشر ، ولا تعرضوا
انفسكم للقتل ، فان هذه جنود امير المؤمنين - يعني يزيد - قد اقبلت ،
وقد اعطى الله الأمير - يعني ابن زياد - العهد لئن اقمتم على حربيه ،
ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ، ويفرق مقاتلكم في مغازي
أهل الشام من غير طمع ، وأن يأخذ البريء بالسقيم ، والشاهد بالغائب ،
ح ، لا تبقى فيكم بقية من أهل المعصية إلا ذاقها وبالك ما جرت أيديها ، (٢)
وكان هذا التهديد كالصاعقة على رؤوس أهل الكوفة فقد كان يحمل
الواناً قاسية من الارهاب وهي :

أ - التهديد بجيوش اهل الشام ، فقد زحلت إليهم ، وهي ستشيع
فيهم القتل والتكليل إن بقوا مصرين على المعصية والعتاد .

ب - حرمانهم من العطاء : وقد كانت الكوفة حامية عسكرية
تلقى جميع موارد الاقصادية من الدولة .

ج - تجبيرهم في مغازي اهل الشام ، وزجهم في ساحات الحروب

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٢

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٨

د - انهم إذا اصرروا على التمرد فان ابن زياد سيعلن الأحكام العرفية ويسوسهم بسياسة أبيه التي تحمل شارات الموت والدمار حتى يقضي على جميع الوان الشغب والمصيان .
وقام بقية عملاء السلطة بنشر الارهاب واذاعة الدعر ، وكان من جملة ما اذاعوه بين الناس .
« يا اهل الكوفة : اتقوا الله ، ولا تستمجلوا الفتنة ، ولا تشقوا عصا هذه الأمة ، ولا توردوا هلى انفسكم خيول الشام ، فقد ذقتموها ، وجريتم شوكتها . » .

أوبئة الخوف والفرع :

ومرت أوبئة الخوف والفرع في نفوس الكوفيين ، وانهارت اعصابهم وكان الموت قد خيم عليهم ، فجعل بعضهم يقول لبعض :
« ما نصنع بتعجيل الفتنة ، وغداً تأتينا جموع أهل الشام ، يلبيح لنا أن نقيم في منازلنا ، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم » (١)
وكانت المرأة تأتي ابنها او أخاها أو زوجها ، وهي مصفرة الوجه من الخوف فتتوسل إليه قائلة :
« الناس يكلونك » (٢)

وكان الرجل يأتي الى ولده وأخيه فيملاً قلبه رعباً وخوفاً ، وقد نجح ابن زياد في ذلك إلى حد بعيد فقد تغلب على الأحداث ، وسيطر على الموقف سيطرة تامة وقد خلع الكوفيون ما كانوا يرتدونه من ثياب

(١) الفتوح ٥ / ٨٧

(٢) تأريخ أبي الفداء ١ / ٣٠٠ ، تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٢

التمرد على بني أمية ولبسوا ثياب الذل والعبودية من جراء ذلك الأرهاط
الهائل والقسوة في الحكم فكانت الدماء تترقرق بين العمائم واللحم .

هزيمة الجيش :

ومُنِي جيش مسلم بهزيمة مخزية لم يحدث لها نظير في جميع فترات
التاريخ ، فقد هزمته الدعايات المضللة من دون أن تكون في قبالة أبة قوة
عسكرية ، ويقول المؤرخون : ان مسلما كلما انتهى الى زقاق انسل جماعة
من اصحابه ، وفروا منهزمين وهم يقولون :

« مالنا والدخول بين السلاطين ا ، (١) »

ولم يمض قليل من الوقت حتى انهزم معظمهم ، وقد صلى بجماعة
منهم صلاة العشاء في الجامع الأعظم فكانوا يفرون في أثناء الصلاة ،
وما انتهى ابن عقيل صلواته حتى انهزموا باجمعهم بما فيهم قادة جيشه ،
ولم يجد احداً يدلّه على الطريق ، وبقى حيراناً لا يدري إلى اين مسراه ،
ومولجه (٢) وكان قد اثنى بالجراح فيما يقوله بعض المؤرخين (٣) وقد
أسمى طريقها مشرداً لا مأوى يأوي إليه ، ولا قلب يعطف عليه .

(١) الدر المسلوک في احوال الأنبياء والأوصياء ١ / ١٠٨

(٢) مقامات الحريري ١ / ١٩٢

(٣) الفتوح ٥ / ٨٧

في ضيافة طواعة :

وسار القائد العظيم سليل هاشم وفخر عدنان متلداً في أزقة الكوفة وشوارعها ، ومضى هائماً على وجهه في جهة كندة (١) يلتمس داراً لينفق فيها بقية الليل ، وقد خلعت المدينة من المارة ، وهادت كأنها واحة موحشة ، فقد اسرع كل واحد من جيشه واعوانه ، الى داره ، واغلق عليه الأبواب مخافة ان تعرفه مباحث الأمن وعيون ابن زياد بانه كان مع ابن عقيل فتلقى عليه القبض .

واحاطت بمسلم تيارات مذهلة من الهوم ، وكاد قلبه ان ينفجر من شدة الألم وعظيم الحزن ، وقد هاله اجماع القوم على نكث بيعته وغدرهم به ، واستبان له انه ليس في المصر رجل شريف يقوم بضيافته وحمايته أو يدلّه على الطريق ، فقد كان لا يعرف مسالك البلد وطرقها . . وسار وهو حائر الفكر خائر القوى حتى انتهى الى سيدة يقال لها (طواعة) هي سيدة من في المصر رجالات ونساء بما تملكه من انسانية ونبل وكانت ام ولد للاشعث بن قيس اعتقها ، فتزوجها اسيد الحضرمي فولدت له بلالا (٢) وكانت السيدة وافلة على الباب تلتظر ابنها ، وتترقب طاواعة للأحداث الرهيبة التي حلت في المصر ، ولما رآها مسلم بادر اليها ، فسلم عليها فردت عليه السلام بتناقل ، وقالت له :

— ما حاجتك ؟

(١) الاخبار الطوال (ص ٢٤٠)

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٢ ، وفي الفتوح ٥ / ٨٨ انها كانت فيما مضى امرأة قيس الكندي ، فتزوجها رجل من بعده من حضرموت يقال له أسد بن البطين ، فاولدها ولداً يقال له أسد .

- إسقني ماءً

فبادرت إلى دارها ، وجاءته بالماء ، فشرب منه ، ثم جلس فارتابت منه فقالت له :

- ألم تشرب الماء ؟

- بلى

- اذهب الى اهلك ان مجلسك مجلس ريبة (١)

وصكت مسلم ، فاعادت عليه القول بالانصراف وهو ساكت ، وكررت عليه القول ثالثاً فلم يجها فذعرت منه ، وصاحت به ا

« سبحان الله ! ! اني لا احل لك الجلوس على بابي ا »

ولما حرمت عليه الجلوس لم يجد بُدأً من الانصراف فقال لها بصوت

خافت حزين النبرات :

« ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة ، فهل لك الى اجر

ومعروف ؟ ولعلي اكاثتك بعد اليوم . »

وشعرت المرأة بأن الرجل غريب ، وانه على شأن كبير ، وله مكانة

عظمى يستطيع أن يجازيها على معروفها واحسانها قبادرته قائلة :

« ما ذاك ؟ »

فقال لها وعيناه تفيضان دموعاً :

« أنا مسلم بن عقيل كذبتني القوم وغروني »

فقالت المرأة في دهشة واكبار :

« أنت مسلم بن عقيل »

« نعم » (٢)

(١) تذهيب التهذيب ١ / ١٥١ / للذهبي

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٢

وانبرت السيدة بكل خضوع وتقدير فسمحت لضيفها الكبير بالدخول إلى منزلها ، وقد حازت الشرف والمجد فقد آوت سليل هاشم ، وسفير ريمانة رسول الله (ص) وأدخلته في بيت في دارها غير البيت الذي كانت تأوي إليه ، وجاءته بالضيء والطعام ، فأبى أن يأكل ، فقد مزق الأسي قلبه الشريف ، وايقن بالرزء القاصم ، وتمثلت أمامه الأحداث الرهيبة التي سيواجهها ، وكان اكثر ما يفكر به كتابه للحسين بالقدوم إلى الكوفة

ولم يمض قليل من الوقت حتى جاء بلال ابن السيدة طوعة ، فرأى أمه تكثر الدخول والخروج إلى ذلك البيت لتقوم برعاية ضيفها ، فانكر عليها ذلك ، واستراب منه ، فسالها عنه ، فانكرته فالح عليها فاخبرته بالأمر بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق بكتمان الأمر . . وطارت نفس الخبيث فرحاً وسروراً ، وقد أنفق ليله ساهراً يترقب بفارغ الصبر البثاق نور الصبح ليخبر السلطة بمقام مسلم عندهم . . وقد تنكر هذا الخبيث للاخلاق العربية التي تلزم بقري الضيف وحمايته ، فقد كان هذا الخلق سائداً حتى في العصر الجاهلي . . وانا لتتخذ من هذه البادرة مقياساً عاماً وشاملاً لانهيار القيم الاخلاقية والانسانية في ذلك المجتمع الذي تنكر لجميع العادات والقيم العربية .

وعلى أي حال فقد طوى مسلم ليلته حزيناً ، قد ساورته الموم ، وتوسد الارق ، وكان فيما يقول المؤرخون قد قضى شطراً من الليل في عبادة الله ما بين الصلاة وقراءة القرآن ، وقد خفق في بعض الليل فرأى عمه امير المؤمنين (ع) فاخبره بسرعة اللحاق به فايقن عند ذلك بدنو الأجل المحتوم منه .

تأكد الطاغية من فشل الثورة :

ولما انهزمت جيوش أهل الكوفة ، وولت الأدبار تصحب معها العار والخيانة ، وقد خلا الجامع الأعظم منهم ، فلم يطمئن الطاغية الجبان من ذلك ، خوفاً من أن يكون ذلك مكيدة وخديعة ، فعهد الى اذنايه بالتأكد من انهزام جيش مسلم وأمرهم بان يشرفوا على ظلال المسجد لينتظروا هل كمن أحد من الثوار فيه ؟ واحلوا يدلون القناديل ، ويشعلون النار في القصب ، ويدلون بها بالحبال فتصل الى صحن الجامع ، وفعلوا ذلك بالظلة التي فيها المنبر ، فلم يروا انساناً ، فاخبروه بذلك ، فاطمئن بفشل الثورة وابقن بالقضاء عليها (١) .

اعلان حالة الطوارئ :

وأعلن الطاغية في الصباح الباكر حالة الطوارئ في جميع أنحاء المصر وقد شدد على المدير العام لشرطته الحصين بن تميم بتنفيذ ما يلي :

أ - تفتيش جميع الدور والمنازل في الكوفة تفتيشاً دقيقاً للبحث عن مسلم .

ب - الاحاطة بالطرق والسكك لئلا يهرب منها مسلم .

ج - الاعتقالات الواسعة لجميع المؤيدين للثورة ، وقد اقت الشرطة القبض على هؤلاء :

١ - عبد الأعلى بن يزيد الكلبي

٢ - عمارة بن صلح بن الأزدي

(١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٩ - ٢١٠

- ٣ - عبد الله بن نوفل بن الحارث
 ٤ - المختار الثقفي
 ٥ - الاصمغ بن نباتة
 ٦ - الحارث الأهور الهمداني (١)

راية الأمان :

واوعز الطاهية الى محمد بن الأشعث أن يرفع راية الأمان ، ويعلن الى الملأ ان من انضم إليها كان آمناً ، ولعل اسباب ذلك ما يلي :

١ - التعرف على العناصر الموالية لمسلم لالقاء القبض عليها
 ٢ - اعلان الانتصار والقضاء على الثورة
 ٣ - شل حركة المقاومة ، واطهار سيطرة الدولة على جميع الأوضاع في البلاد .

ورفعت راية الأمان فسارع الكوفيون الذين كانوا مع مسلم الى الانضمام إليها لنفي التهمة واطهار اخلاصهم للحكم القائم آنذاك

اشتباه :

ومن الغريب ما ذكره ابن قتيبة (٢) والحارثي (٣) من أن مسلماً كان في بيت المختار ثم خرج لحرب ابن زياد ، وبعد فشل ثورته التجأ

(١) انساب الأشراف ٥ / ٣١٤

(٢) الامامة والسياسة ٢ / ٤

(٣) الدر المنلوک ١ / ١٠٨

الى بيت هانيء ، فاجاره هانيء ، وقال له : ان ابن زياد يدخل داري
فاضرب عنقه ، فامتنع مسلم من الفتك به ، وقام ابن زياد باعتقال هانيء
ثم أرسل شرطه لالتقاء القبض على مسلم فقاتلهم حتى ضعف عن المقاومة
فوقع اسيراً بأيديهم ، وهذا الذي أفاداه لم يذهب إليه احد من المؤرخين
فان تفصيل الحادثة حسب ما ذكرناه ، وما عداه فهو من الأقوال الشاذة
التي نشأت من قلة التبع .

خطبة ابن زياد :

ولما ايقن الطاغية بمشغل ثورة مسلم ، وتفلل قواته المسلحة أمر بجمع
الناس في الجامع ، فتوافدت الجماهير ، وقد خيم عليها الدهر والخوف
فجاء الطاغية ، وهو يردد ويبرق ويتهدد ويتوعد فصعد المنبر ، فقال :
« ايها الناس : ان مسلماً بن عقيل أتى هذه البلاد ، وأظهر العناد ،
وشق العصا ، وقد برئت الدمة من رجل اصبناه في داره . . ومن جاء به
فله دينه ، اتقوا الله عباد الله ، والزموا طاعتكم وبيعتمكم ، ولا تجعلوا على
أنفسكم سييلاً ، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم ، والمنزلة
الرفيعة من يزيد بن معاوية ، وله في كل يوم حاجة مقضية » (١) :
وحفل هذا الخطاب بالقسوة والصرامة وفيه هذه النقاط التالية :
أ - الحكم بالاعدام على كل من آوى مسلماً مهما كانت لذلك الشخص
من مكانة اجتماعية في المصر .

ب - إن دية مسلم تكون لمن جاء به

ج - ان من ظفر بمسلم تمنحه السلطة عشرة آلاف درهم

(١) الفتوح ٤ / ٩٠

د - ان من يأتي به يكون من المقربين عند يزيد ، وينال ثقته
ه - تكافىء السلطة من جاء به بقضاء حاجة له في كل يوم
وتنمى اكثر اولئك الاوغاد الظفر بمسلم لينالوا المكافأة من ابن مرجانة
والنقرب الى يزيد بن معاوية .

الافشاء بمسلم :

وطالت تلك الليلة على بلال ابن السيدة الكريمة طوعة التي آوت
مسلماً ، ففسد ظل يترقب بفارغ الصبر طلوع الصبح ليخبر السلطة بمقام
مسلم عندهم ، ولم يرقد تلك الليلة من الفرح والسرور ، فقد تمت - فيما
يحسب - بوارق آماله واحلامه ، ولما طلع الصبح بادر الى القصر بحالة
تلفت النظر إليها من الدهشة ، فقصد عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،
وهو من الأسرة الخبيثة التي لا عهد لها بالشرف والمروءة فساره ، واعلمه
بمكان مسلم عنده ، فأمره عبد الرحمن بالسكوت لثلا يسمع غيره فيبادر
باخبار ابن زياد فينال الجائزة منه ، وامرع عبد الرحمن الى أبيه محمد بن
الأشعث ، فاخبره بالأمر ، وفتن ابن زياد الى خطورة الأمر فبادر يسأل
ابن الأشعث قائلاً :

- ما قال لك : عبد الرحمن ؟
- أصلح الله الأمير البشارة العظمى !
- ما ذاك ؟ مثلك من بشر بخير
- ان ابني هذا يخبرني أن مسلماً بن عقيل في دار طوعة
وسر ابن زياد ، ولم يملك أهابه من الفرح ، فانبرى يمني ابن الأشعث
بالمال والجاه قائلاً :

« قم فأنتي به ، ولك ما أردت من الجائزة والحظ الأوفى ، »
لقد تمكن ابن مرجانة من الظفر بسليل هاشم ليجعله قرهناً الى
امويته اللصيقة التي نحر في سبيلها هو وابوه جميع القيم الالسانية ، واستباحا
كل ما حرمه الله من اثم وفساد .

الهجوم على مسلم :

ونذب الطاغية لحرب مسلم عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطته
ومعمداً بن الأشعث (١) وضم إليهما ثلثائة رجل من صناديد الكوفة
وفرسانها ، واقبلت تلك الوحوش الكاسرة لحرب القائد العظيم الذي أراد
أن يحورها من الذل والعبودية ، وينقلها من الظلم والجور . . ولما سمع
وقم حوافر الخيل وزعقات الرجال علم أنه قد أتى إليه فبادر الى فرسه
فأسرجه واجلمه وصب عليه درعه ، وتقلد سيفه ، والتفت الى السيدة
الكريمة طوعة فشكرها على ضيافتها ، وأخبرها أنه انما أتى إليه من قبل
ابنها الباغي اللثيم قائلا :

« رحمك الله ، وجزاك عني خيراً . . . اعلمي انما أليت من قبل
ابنك . . . » (٢) .

واقترح الجيش عليه الدار فشد عليهم يضربهم بسيفه ، ففروا
منهزمين ، ثم عادوا إليه فاخرجهم منها وانطلق نحوهم في السكة شاهراً
سيفه لم يحتاج في قلبه خوف ولا رعب ، فجعل يحمدهم رؤوسهم بسيفه
وقد أهدى من البطولات النادرة ما لم يشاهد لها التاريخ نظيراً في جميع

(١) تلهيب التهذيب ١ / ١٥١ .

(٢) الفتوح ٥ / ٩٢ - ٩٣

عمليات الحروب ، وكان يقانلهم وهو يرتجز :
هو الموت فاصنع ويك ما أنت صناعم
فأنت بكأس الموت لا شك جارح
فصبراً لأمر الله جلّ جلاله

فحكم قضاء الله في الخلق ذابح (١)

وابدى سليل هاشم من الشجاعة وقوة البأس ما حير الألباب ، وابهر
العقول ، فقد قتل منهم فيما يقول بعض المؤرخين واحداً وأربعين رجلاً (٢)
ما عدا الجرحى ، وكان من قوته النادرة أنه يأخذ الرجل بيده ويرمي به
من فوق البيت (٣) وليس في تاريخ الانسانية مثل هذه البطولة ، ولا
مثل هذه القوة وليس هذا قريباً عليه فعمه علي بن أبي طالب اشجع الناس
واقواهم بأساً ، واشدهم عزيمة .

واستعمل معه الجبناء من انذاك اهل الكوفة الواثماً قاسية وشاذة من
الحرب فقد اعتلوا سطوح بيوتهم ، وجعلوا يرمونه بالحجارة وقذائف
النار (٤) ولو كانت في ميدان فسيح لأتى عليهم ولكنها كانت في الأزقة
والشوارع .

فشل الجيوش :

وفشلت جيوش أهل الكوفة ، وعجزت عن مقاومة البطل العظيم
فقد اشاع فيهم القتل ، والحق بهم خسائر فادحة وأسرع الخائن الجبان

(١) (٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٢١٢

(٣) الدر النضيد (ص ١٦٤) نفس المهموم (ص ٥٧)

(٤) المحاسن والمسارى للبيهقي ١ / ٤٣

محمد بن الأشعث يطلب من سيده ابن مرجانة أن يمدّه بالخيل والرجال
فقد عجز عن مقاومة مسلم ، ولامه الطاغية قائلاً :

« سبحان الله !! بعثتاك إلى رجل واحد تأيننا به ، فلم في اصحابك
هذه الثلثة العظيمة » (١) .

وثقل هذا التقرير على ابن الأشعث ، فراح يشيد بابن عقيل قائلاً :
« اتظن أنك أرسلتني إلى بقال من بقالي الكوفة أو جرمقاني من
جرامقة (٢) الحيرة (٣) وانما بعثتني الى أسد ضرغام وسيف حسام في
كفت بطل همام من آل خير الأنام » (٤) .

وأمدّه ابن زياد بقوى مكثفة من الجيش ، فجعل البطل العظيم يقاتل
وحده وهو يرتجز :

أقسمت لا اقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكراً
أو يخلط البارد سخناً مرا رد شعاع الشمس فاستقراً
كل امرئ يوماً يلاقي شراً أخاف أن اكذب أو اغرأ (٥)

لقد كنت يا بن عقيل سيد الأحرار ، فقد رفعت لواء العزة والكرامة
ورفعت شعار الحرية والاباء ، واما خصومك الحقرء فهم العبيد الذين
رضوا بذلك والموان . . . وحلل الدكتور يوسف خليف هذا الرجز
بقوله : « هو رجز - من الناحية النفسية - صادق كل الصديق ، معبراً

(١) الفتوح ٥ / ٦٣

(٢) الجرامقة : قوم من المعجم صاروا الى الموصل

(٣) مقتل الحسين للمقرم (ص ١٨٠)

(٤) الفتوح ٥ / ٩٣

(٥) تاريخ الطبري

تعبيراً دقيقاً عن الموجات النفسية التي كانت تندفع في نفس الشاعر ، وهو في موقفه الضيق الحرج ، فهو قبل كل شيء مصمم على أن يحتفظ بحريته ولو أدى هذا الى قتله ، وهو يعلن في صراحة وصدق أن الموت شيء منكر ولا يقول هذا كما يقوله غيره ممن يغالطون أنفسهم أن الموت شيء محبب الى نفسه ، وإنما يعبر عن نفسيته تعبيراً صادقاً ، فالموت شيء لا يحبه ، ولكنه لا يفر منه ما دام قد صمم على الاحتفاظ بحريته . ثم يحاول أن يهدىء من روعه ، ويجعل هذه الموجة العالية الرهيبة تنحسر عن نفسه دون أن يجدها في تيارات من الهلع والفزع ، فيحدث عن نفسه بان الدنيا متقلبة ، وكل امرئ فيها لا بد أن يلاقى ما يسوؤه ، وهو يعرض هذا الحديث النفسي في صورة فنية رائعة .

وأضاف يقول : انه حريص على الحياة ، ولكنه حريص على الحرية يجعله متردداً لأنه يخشى - بل يخاف - أن يكذب عليه اعداؤه او يخذلوه فيقتلوه دون محاولة منه لتنفيذ عهده بأن يموت في سبيل حريته ، أو يأسروه فيلقده حريته التي يحرص عليها حرصه على الحياة . أرأيت كيف استطاع أن يصور موقفه الضيق الحرج هذا التصوير الفني الرائع الذي يشمل روعته من تعبده عن نفسيته تعبيراً صادقاً لا رياء فيه ولا تضليل ؟ ان هذا هو السر الذي يجعل هذه الشطور القليلة تؤثر في نفوسنا تأثيراً يجعلنا نشعر بما كان يعالیه قائلها من صراع داخلي هائل لا يعدله الا صراعه الخارجي مع أعدائه ، (١) .

(١) حياة الشعر في الكوفة (ص ٣٧١ - ٣٧٢)

أمان ابن الأشعث :

ولما سمع محمد بن الأشعث رجز مسلم الذي أقسم فيه أن يموت ميتة الأحرار ، وأن لا يخدع ولا يغر انبرى إليه قائلاً : « انك لا تكذب ولا تخدع ان القوم بنو عمك وليسوا بقائليك ولا ضاربك » (١) .
فلم يعتن به مسلم ، وانما مضى يقاتلهم أعنف القتال وأشدّه ، ففروا منهزمين من بين يديه ، واعتلوا فوق بؤاهم يرمونه بالحجارة ، فانكر عليهم مسلم ذلك قائلاً :

« ويلكم ! ! مالكم ترمونني بالحجارة ، كما تُرمى الكفار ! !
وأنا من أهل بيت الأبرار ، ويلكم أما ترعون حق رسول الله (ص)
وذريته . . . » .

ولم يستطيعوا مقابله وجبنوا عن مقاتلته ، وضاق بابن الأشعث أمره فصاح بالجيش : ذروه حتى أكلمه ، ودنا منه ، فخطابه :

« يا بن عقيل ، لا تقتل نفسك ، أنت آمن ، ودمك في عنقي »
ولم يخفل به مسلم فانه على علم بان الأشعث لم يمر في تاريخه ولا في تاريخ أسرته أي معنى من معاني الشرف والنبيل والوفاء ، فالدفع يقول له :
« يا بن الأشعث ، لا أعطي بيدي أبداً ، وأنا أقدر على القتال ،
والله لا كان ذلك أبداً . . . » .

وحمل مسلم على ابن الأشعث ففر الجبان يلهث كانه الكلب ، وأخذ العطش القاسي من مسلم مأخذاً عظيماً فجعل يقول :
« اللهم ان العطش قد بلغ مني » .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٣

وتكاثر الجنود عليه الا انها مُنيت بالدعر والجبن ، وصاح بهم
ابن الأشعث :

« إن هذا هو العار والفشل ان تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع
احلوا عليه باجمعكم حملة واحدة » (١) .

وحلوا عليه حملة واحدة فضربه بكبير بن حمران الأحمري ضربة منكرة
على شفته العليا ، وأسرع السيف الى السفلى ، وضربه مسلم ضربة أردته
الى الأرض .

أسره :

وبعدما أئخذ مسلم بالجراح ، واعياه نزيه الدم ، انهارت قواه ،
وضعف عن المقاومة فوق أسيراً بأيدي اولئك الأوغاد ، فتسابقوا الى ابن
زيد يحملون له البشري بأسرهم للقائد العظيم الذي جاء ليحررهم من ذلك
والعبودية ، وقد طار الطاهية فرحاً ، فقد ظفر بخصمه ، وتم له القضاء على
الثوره . . . أما كيفية أسره فقد اختلفت فيها أقوال المؤرخين ،
وهذه بعضها :

١ - ما ذكره ابن اعثم الكوفي أن مسلماً وقف ليستريح مما ألمَّ به
من الجروح ، فطعنه من خلفه رجل من أهل الكوفة طعنة غادرة فسقط
إلى الأرض فأسرعوا الى أسره (٢)

٢ - ما ذكره الشيخ المفيد ان مسلماً لما ائخذ بالحجارة وعجز عن
القتال اسند ظهره الى جنب دار فقال له ابن الأشعث : لك الأمان !

(١) الفتوح ٥ / ٩٤ - ٩٥

(٢) الفتوح ٥ / ٥٩

فقال مسلم : أمن ؟ قال : نعم ، فقال للقوم الذين معه : لي الأمان ؟ قالوا نعم : إلا عبيد الله بن العباس السلمي فإنه قال : لا نأق له في هذا ولا جمل ، وتنحى ، فقال مسلم : أما لو لم تؤمنولي ما وضعت يدي في أيديكم ، وأني ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا حوله ، وانتزعوا سيفه فكانه عند ذلك أيس ، فقال : هذا أول الغدر (١) :

٣ - ما ذكره ابو مخنف انهم عملوا له حفيرة وستروها بالتراب ، ثم انكشفوا بين يديه ، فحمل عليهم فانكشفوا بين يديه ، فلما انتهى إليها سقط فيها فازدحموا عليه وأسروه (٢) وهذا القول لم يذهب إليه غير أبي مخنف .

مع عبيد الله السلمي :

ولم يفكر مسلم في تلك الساعة الحرجة بما سيعانيه من القتل والتنكيل على يد الطاهية ابن مرجانة ، وانما شغل فكره ما كتبه للامام الحسين بالقدوم الى هذا المصر ، فقد أيقن أنه سيلاقي نفس المصير الذي لاقاه ، فدمعت عيناه ، وظن عبيد الله بن العباس السلمي أنه يبكي لما صار إليه ، من الأسر ، فانكر عليه ذلك وقال له :
« ان من يطلب مثل الذي تطلب ، إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك : : » .

فرد عليه مسلم ما توهمه فيه قائلا :

-
- (١) الارشاد (ص ٢٣٨) تاريخ ابن الاثير ٣ / ٢٧٣
(٢) مقتل أبي مخنف مخطوط بمكتبة السيد محمد سعيد ثابت في كربلا ، وذكر ذلك الطريحي في المنتخب (ص ٢٩٩) .

« إني والله ما لتفسي بكيت ، ولا لها من القتل ارثي ، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلمأ ، ولكن أبكي لأهلي المقباين . . . أبكي لحسين . . . » (١) .

وازدحمت الشوارع والأزقة بالجماهير الحاشدة لتتنظر ما يؤك إليه أمر القائد العظيم وما سيلقيه من الأمويين ، ولم يستطع أحد منهم أن ينبس ببينة شفة حدراً من السلطة العاتية .

مع الباهلي :

وجيء بمسلم أسيراً تحف به الشرطة وقد شهرت عليه السيوف ، فلما انتهى به إلى قصر الامارة رأى جرة فيها ماء بارد ، وقد أخذ العطش منه مأخذاً يماً ، فالتفت إلى من حوله قائلاً :

« اسقوني من هذا الماء »

فانبرى إليه اللثيم الدنس مسلم بن عمرو الباهلي فقال له :

« أترأها ما أبردها ؟ والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم . »

ولا حد لظلم الانسان ، ولا منتهى لوحشيته وجفائه ، فما يضر اولئك الجلعاة لوسقوه الماء وهو أسير بين أيديهم لا يملك من أمره شيئاً ، وكان هذا السم من التردى وسقوط الاخلاق قد عرف به جميع السفلة الساقطين من قتلة المصلحين . . فانبرى مسلم فاراد التعرف على هذا الانسان الممسوخ الذي تنكر لأبسط القيم الانسانية قائلاً له :

« من أنت ؟ »

(١) الارشاد (ص ٢٣٨)

فاجابه مفتخراً بأنه من عملاء السلطة الأموية واذاهاها قائلاً :
 و أنا من حرف الحق إذ تركته ، ونصح الأمة ، والامام إذ غششته
 وسمع وأطاع اذ عصيته . . أنا مسلم بن عمرو ،
 أي حق عرفه الباهلي ؟ وأي نصيحة أسداها للأمة هذا الجلف
 الجاني ؟ الذي ارتطم في الباطل وماج في الضلال لقد كان منتهى ما يفخر به
 تماريه في خدمة ابن مرجانة الذي هو صفة عار وخزي على الانسانية في
 جميع مراحل التاريخ ورد عليه مسلم بمنطقة الفياض قائلاً :
 و لأمك النكل ، ما أجفك وأفذك واقسى قلبك واغلظك ؟ ! !
 أنت يا بن هائلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني .
 واستحيا عمارة بن عقبة (١) من جفوة الباهلي وقسوته ، فدعا بماء
 بارد ، فصبه في قدح فأخذ مسلم كلما أراد أن يشرب يمشطه القدح دما
 وفعل ذلك ثلاثاً فقال وقد ذاب قلبه من الظماً .
 « لو كان من الرزق المقسوم لشربته » (٢) .
 وهكذا شاءت المقادير أن يحرم من الماء ويموت ظامئاً ، كما حرم من
 الماء ابن عمه ربحانة الرسول (ص) وسيد شباب أهل الجنة .

مع ابن زياد :

وكان من أعظم ما رزى به مسلم ان يدخل اسيراً علي الدهمي ابن
 مرجانة ، ففسد ود أن الأرض وارته ، ولا يمثل أمامه وقد شاءت المقادير
 (١) في الارشاد (ص ٢٣٩) وبعث عمرو بن حريث غلاماً له
 فجاء بقلة عليها منديل وقدح فصب فيه ماءً ، وقال له : اشرب
 (٢) تأريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٣ .

ان يلدخل عليه وقد دخل تحف به الشرطة ، فلم يحفل البطل بابن زياد
ولم يعن به فسلم على الناس ولم يسلم عليه ، فانكر عليه الحرسى وهو من
صماليك الكوفة قائلاً :

« هلا تسلم على الأمير ؟ »

فصاح به مسلم محترماً له ولأميره :

« اسكت لا أم لك ، مالك والكلام ، والله ليس لي بأمر فأسلم عليه »
وكيف يكون ابن مرجانة أميراً على مسلم سيد الأحرار ، واحد
المستشهدين في سبيل الكرامة الانسانية ، انما هو أمير على اولئك المسوخين
الذين لم يألفوا الا الخنوع والذل والعار .

والتاع الطاغية من احتقار مسلم له ، وتبديد جبروته ، فصاح به :

« لا عليك سلمت ام لم تسلم فانك مقتول »

ولم يملك الطاغية سوى سفك الدم الحرام ، وحسب أن ذلك يخيف
مسلماً او يوجب انهياره وخضوعه له ، فانبرى إليه بطل عدلان قائلاً بكل
ثقة واعتزاز بالنفس .

« إن قتلني فقد قتل من هو شر منك من كان خيراً مني »

ولدعه هذا الكلام الصارم ، واطاح بغلوائه ، فقد الحقه مسلم
بالمجادين والسفاكين من قتلة الأحرار والمصلحين ، واندفع الطاغية
يصيح بمسلم :

« يا شاق ، يا عاقى خرجت على امام زمانك ، وشققت عصا المسلمين

والقحت الفتنة . . . »

أي امام خرج عليه مسلم وأي عصا للمسلمين شققها ، وأي فتنة
القحها ؟ انما خرج على قرين الفهود والقروذ لقد خرج لينقلد الأمة من
محنها ايام ذلك الحكم الأسود ، وانبرى مسلم يرد عليه قائلاً :

« والله ما كان معاوية خليفة باجماع الأمة ، بل تغلب على وصي النبي (ص) بالحيلة ، وأخذ منه الخلافة بالغصب ، وكذلك ابنه يزيد . .
وأما الفتنة فأنما القحتها أنت وأبوك زياد من بني علاج .
وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على بد شر برية ، فوالله ما خالفت ولا كفرت ولا بدلت ، وإنما أنا في طاعة أمير المؤمنين الحسين بن علي ونحن أولى بالخلافة من معاوية وابنه وآل زياد .
وكانت هذه الكلمات أشد على ابن مرجانة من الموت ، فقد كشفت واقعه أمام شرطته وعملائه ، وجردته من كل زعة انسانية ، وبرزته كأحقر مخلوق على وجه الأرض ، ولم يجد الدعي وسيلة يلجأ إليها سوى الافتعالات الكاذبة التي هي بضاعته وبضاعة ابيه زياد من قبل ، فأخذ يتهم مسلماً بما هو بريء منه قائلاً :

« يا فاسق ألم تكن تشرب الخمر في المدينة ؟ »

فصاح به مسلم :

« احق والله بشرب الخمر من يقتل النفس المحرمة ، وهو يلهو ويلعب كأنه لم يسمع شيئاً .
واسترد الطاغية تفكيره فرأى ان هذه الاكاذيب لا تجديه شيئاً فراح يقول له

- منتك نفسك امرأ حال الله بينك وبينه وجعله لأمله

فقال مسلم باستهزاء وسخرية :

- من أهله ؟

- يزيد بن معاوية

- الحمد لله كفى بالله حاكماً بيننا وبينكم

- اتظن ان لك من الأمر شيئاً ؟

- لا والله ما هو الظن ولكنه اليقين

- قتلني الله إن لم اقتلك

- انك لا تدع سوء القتلثة ، وقبح المثلة ، وخبث السريرة ،
والله لو كان معي عشرة ممن أتق بهم ، وقدرت على شربة ماء لطلال
عليك أن تراني في هذا القصر ، ولكن ان كنت عزمت على قتلي فاقم لي
رجلا من قریش أوصي له بما أريد (١) وسمح له الطاغية بأن يوصي
بما أمه .

وصية مسلم :

ونظر مسلم في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد فأحب أن يعهد
إليه بوصيته فقال له :
« لا أرى في المجلس قرشياً غيرك (٢) ولي إليك حاجة وهي
سر . . . (٣) » .

واستشاط ابن زياد غضباً حيث نفاه مسلم من قریش ، واهطل استلحاقه
ببني أمية فقد أبطل ذلك النسب اللصيق الذي ثبت بشهادة ابي مريم الخمار
ولم يستطع أن يقول ابن زياد شيئاً .

وامتنع ابن سعد من الاستجابة لمسلم أرضعاً لعواطف سيده ابن
مرجالة ، وكسباً لمودته ، وقد لمس ابن زياد خوره وخنوعه فأمرها في نفسه

(١) الفتوح ٥ / ٩٧ - ٩٩

(٢) جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب (ص ١٣٤)

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٤ ، الارشاد (ص ٢٣٩)

ورأى انه خليق بأن يرشحه لقيادة قواته المسلحة التي بزج بها لحرب ربحانة رسول الله (ص) .

وأمر ابن زياد عمر بن سعد بأن يقوم مع مسلم ليعهد إليه بوصيته ، وقام ابن سعد معه فإوصاه مسلم بما يلي :

١ - ان عليه ديناً بالكوفة يبلغ سبعمائة درهم ، فيبيع سيفه ودرعه ليوفيهما عنه (١) وقد دل ذلك على شدة احتياطه ونحرجه في دينه ، كما أوصى أن يعطى لطوعة ما يفضل من وفاء دينه .

٢ - أن يستوهب جنته من ابن زياد فيواربها (٢) وذلك لعلمه بخبث الأمويين ، وانهم لا يتركون المثلثة .

٣ - ان يكتب للحسين بخبره (٣) فقد شغله أمره لأنه كتب إليه بالقدوم إلى الكوفة وأقبل ابن سعد يلهث على ابن زياد فقال له :

« أتدري أيها الأمير ما قال لي ؟ انه قال كذا وكذا ، (٤) :

واتكر عليه ابن زياد ابداه السر فقال :

« لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤمن الخائن ، أما ماله فهو لك تصنع به ما شئت ، وأما الحسين فان لم يردنا لم نرده ، وإن أرادنا لم نكف عنه ، وأما جنته فاننا لن نشفعك فيها » (٥) .

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٤ ، وفي الطبري ٦ / ٢١٢ ان علي ستائة درهم ، وفي الأخبار الطوال (ص ٢٤١) ان علي الف درهم .

(٢) تاريخ الطبري ٦ / ٢١٢

(٣) الارشاد (ص ٢٣٩)

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٤

(٥) وفي الارشاد (ص ٢٣٩) اما جنته فاننا لا نبالي اذا قتلناه

ما صنع بها .

لقد ترك الطاغية شناعة ابن سعد في جثة مسلم فقد عزم على التمثيل
بها للتشفي منه ، وليتخذ من ذلك وسيلة لارهاب الناس وخوفهم .

الطاغية مع مسلم :

وصاح ابن مرجانة بمسلم فقال له : « بماذا اتيت إلى هذا البلد ؟
شئت أمرهم ، وفرقت كلمتهم ، ورميت بعضهم على بعض ، وانطلق
فخر هاشم قائلاً بكل ثقة واعتزاز بالنفس :

« لست لذلك أتيت هذا البلد ، وليكنكم اظهروتم المنكر ، ودفنتم
المعروف ، وتأمرتم على الناس من غير رضى ، وحملتوهم على غير ما أمركم
الله به ، وعملتتم فيهم باعمال كسرى وقيصر ، فاتيناهم لتأمر بالمعروف ،
وفنهي عن المنكر ، وندعوهم الى حكم الكتاب والسنة ، وكنا اهلاً لذلك
فانه لم نزل الخلافة لنا منذ قتل امير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ولا
تزال الخلافة لنا فاننا قهرنا عليها . . . انكم اول من خرج على امام
هدى ، وشق عصا المسلمين ، واخذ هذا الأمر غصبا ، ونازع أهله بالظلم
والعدوان . . . » (١) .

وأدى مسلم بهذا الحديث عن أسباب الثورة التي اعلنها الامام الحسين
على الحكم الأموي ، وقد التاع للطاغية من كلام مسلم ، وتبددت نشوة
ظفره ، فلم يجد مسلكاً ينفذ منه لاطفاء غضبه سوى السب للعترة الطاهرة
فأخذ يسب علياً والحسن والحسين ، وثار مسلم في وجهه فقال له :
« أنت وأهلك أحق بالشتيم منهم ، فاقض ما انت قاض ، فنحن

(١) الفتوح ٥ / ١٠١ .

أهل بيت موكل بنا البلاء ، (١) .
لقد ظل مسلم حتى الرمق الأخير من حياته عالي الهمة ، وجابه
الأخطار ببأس شديد ، فكان في دفاعه ومنطقه مع ابن مرجانة مثالا
للبطولات النادرة .

الى الرفيق الأعلى :

وآن للقائد العظيم أن ينتقل عن هذه الحياة بعد ما أدى رسالته
بإمانة وإخلاص ، وقد رزق الشهادة على يد المسوخ القدر ابن مرجانة
فندب لقتله بكيراً بن حمران الذي ضربه مسلم ، فقال له :
« خذ مسلماً ، واصعد به إلى أعلى القصر ، واضرب عنقه بيديك
ليكون ذلك أشفى لصدرك » .

والنظت مسلم إلى ابن الأشعث الذي أعطاه الأمان فقال له : « يا ابن
الأشعث أما والله لولا أنك آمنتني ما استسلمت ، قم بسيفك دوني فقد
انخرت ذمتك ، فلم يحفل به ابن الأشعث (٢) .
واستقبل مسلم الموت بثغر باسم ، فصعد به إلى أعلى القصر وهو يسبح
الله ويستغفره بكل طمأنينة ورضاً وهو يقول :

« اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا ، وخذلونا » (٣) .
وأشرف به الجلاد على موضع الجلاديين فضرب عنقه ، ورمى برأسه

(١) الفتوح ٥ / ١٠٢ وفي تاريخ ابن الأثير ، والارشاد ان مسلماً

لم يكلم ابن زياد بعد شتمه له .

(٢) الطبري ٦ / ٢١٣

(٣) الفتوح ٥ / ١٠٣

وجسده إلى الأرض (١) وهكذا انتهت حياة هذا البطل العظيم الذي يحمل نزعات عمه أمير المؤمنين (ع) ومثل ابن عمه الحسين وقد استشهد دفاعاً عن الحق ودفاعاً عن حقوق المظلومين والمضطهدين ونزل القاتل الأثيم فاستقبله ابن زياد فقال له :

« ما كان يقول ؛ وأنتم تصعدون به ؟ »

« كان يسبح الله ، ويستغفره ، فلما أردت قتله قلت له : الحمد لله الذي أمكنني منك واقادني منك فضربته ضربة لم تغن شيئاً فقال لي : أما ترى فيّ خدشا تغدشني ، وفاءً من دمك أيها العبد .
فبهر ابن زياد وراخ يبدي اعجابه واكباره له قائلاً .

« او فخرأ عند الموت ! ! » (٢)

وقد انطوت بقتل مسلم صفحة مشرقة من ارواح صفحات العقيدة والجهاد في الاسلام ، فقد استشهد في سبيل العدالة الاجتماعية ، ومن اجل انقاذ الأمة وتحريرها من الظلم والجور ، وهو اول شهيد من الأسرة النبوية يقتل علناً امام المسلمين ، ولم يقوموا بحمايته والذب عنه .

سلبه :

وانبرى سليل الخيابة محمد بن الأشعث (٣) الى سلب مسلم ، فسلب

(١) مروج الذهب ٣ / ٩

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٧٤

(٣) الأشعث بن قيس : انما سمي بالأشعث لشعثة رأسه ، واسمه

سعد بن كرب هلك بعد مقتل الامام امير المؤمنين (ع) باربعين ليلة وكان عمره ٦٣ سنة ، جاء ذلك في تاريخ الصحابة (ص ٥) أما محمد بن الأشعث فأمه ام فروة اخت ابى بكر لأبيه جاء ذلك في الرياض المستطاب (ص ٨)

سيفه ودرعه ، وهو غير حافل بالعار والخزي ، وقد تعرض للنقد اللاذع من جميع الأوساط في الكوفة ، ويقول بعض الشعراء في هجائه :
وتركت ابن عمك ان تقاتل دونه فثسلا ولولا أنت كان منيعا
وقتل وافد آل بيت محمد واصلت اسيافاً له ودروعا (١)
وعمد بعض اجلاف اهل الكوفة فسلبوا رداء مسلم وثيابه .

تنفيذ الاعدام في هانيء :

وأمر الطاغية باعدام الزعيم الكبير هانيء بن عروة ، والحاقه بمسلم مبالغة في اذلال زعماء الكوفة واذاعة للذعر والخوف بين الناس ، وقام محمد بن الأشعث فتشفع فيه خوفاً من بطش اسرته قائلاً :
« اصلح الله الأمير إنك قد عرفت شرفه في عشيرته (٢) وقد عرف قومه أنني واسماء بن خارجة جئنا به إليك ، فأنتدك الله أيها الأمير لما وهبته لي ، فاني أخاف عداوة أهل بيته ، وانهم سادات أهل الكوفة واكثرهم عددا . . . » .

فلم يحفل به ابن زياد ، وانما زيره وصاح به فسكت العبد ، واخرج البطل الى السوق في موضع تباع فيه الأغنام مبالغة في اذلاله ، ولما علم أنه ملاق حتفه جعل يستنجد باسرته ، وقد رفع عقيرته .
« واملحجاه ولا مدحج لي اليوم . . . واعشيرتاه » (٣) .

(١) مروج الذهب ٣ / ٨

(٢) وفي رواية (عرفت شرفه في مصره)

(٣) انساب الأشراف ق ١ ج ١ ص ١٥٥

ولو كانت عند ملحج صبابة من الشرف والتبلى لانبرت الى انقاذ
زعيمها ، ولكنها كانت كغيرها من قبائل الكوفة ، قد طلقت المعروف
ثلاثاً . . . وعمد هانيء الى اخراج يده من الكتاف ، وهو يطلب السلاح
ليدافع به عن نفسه ، فلما بصروا به بادروا إليه فأوثقوه كتافاً وقالوا له :
« امدد عنقك . . »

فاجاب برباطة جأش ورسوخ يقين : « لا والله ماكنت بالذي أعينكم
على نفسي ، والبرى إليه وهد من شرطة ابن زياد يقال له : رشيد التركي (١)
فصره بالسيف فلم يصنع به شيئاً ، ورفع هانيء صوته قائلاً :

« اللهم الى رحمتك ورضوانك اللهم اجعل هذا اليوم كفارة
للدنوبي ، فاني ، انما تعصبت لابن بنت نبيك محمد . . . »

وضربه الباغي ضربة أخرى فهوى إلى الأرض يتخبط بدمه الزاكي
ولم يلبث قليلاً حتى فارق الحياة (٢) وكان عمره يوم استشهد تسعاً وتسعين
سنة (٣) وقد مضى شهيداً دون مبادئه وعقيدته وجزع لقتله الأحرار
والمصلحون ، وقد وثاه ابو الأسود الدثلي بقوله :

(١) وقد ثار لدم هانيء عبد الرحمن بن حصين فقتل رشيداً وفي
ذلك بقول :

إنني قتلت راشداً التركيا وليته أبيض مشرفياً

أرضى بذلك النبيا

جاء ذلك في انساب الأشراف ج ١ ق ١ ص ١٥٥ .

(٢) الدر المنظم (ص ١٦٠) من مصورات مكتبة الامام امير المؤمنين

أنساب الأشراف ق ١ ج ١ .

(٣) مرآة الزمان (ص ٨٥)

أقول : وذلك من جزع ووجد أزاله الله ملك يفي زياد
هم جدعوا الأنوف وكن شما بقتلهم الكريم أخوا مراد (١)
ورثاه الأخطل بن زياد بقوله :

ولم يك عن يوم ابن عروة غائبا كما لم يغب عن ليلة ابن عقيل
أخوا الحرب صراها فليس هنا كل جبار ولا وجب الفؤاد ثقيل

السحل في الشوارع :

وعهد الطاغية الى زبانيته وعملائه بسحل جثة مسلم وهانئ في الشوارع
والأسواق ، فعمدوا إلى شد أرجلها بالحبال ، واخذوا يسحلونها في
الطرق (٢) وذلك لآخافة العامة وشيوع الارهاب ، وليكونا عبرة لكل من
تحدثه نفسه بالخروج على الحكم الأموي .

لقد سحب هانئ أمام أسرته وقومه ، ولو كان عندهم ذرة من
الشرف والحمية لانبروا إلى تخليص جثة زعيمهم من أيدي الغوغاء الذين
بالغوا في اهانتها .

صلب الجثتين :

ولما قضى الطاغية اربه في سحل جثة مسلم وهانئ أمر بصلبهما ،

(١) انساب الاشراف ق ١ ج ١ / ١٥٥ ديوان أبي الأسود .

(٢) انساب الاشراف ق ١ ج ١ / ١٥٥ ، الدر النظيم (ص ١٦٠)

مقتل الخوارزمي ٢١٥ / ١

فصلبا منكوسين (١) في الكناسة (٢) فكان مسلم - فيما يقول المؤرخون - أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم (٣) وقد استعظم المسلمون كأشد ما يكون الاستعظام هذا الحادث الخطير ، فان هذا التمثيل الفظيع انما هو جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الارض فساداً ، ومسلم وهانيء انما هما من رواد الحق ودعاة الاصلاح في الأرض :

وعلى أي حال فقد اخضع الطاغية بمد قتله لمسلم وهانيء - العراق الثائر ، وارملت جميع اوساطه تحت قدميه بدون أية مقاومة .

الرؤوس الى دمشق :

وعمد ابن مرجانة الى ارسال رأس مسلم وهانيء وعمارة بن صلخب الأزدي (٤) هدية الى سيده يزيد لينال الجائزة ، ويمرر اخلاص الأسرة المالكة له ، وقد أرسل معها هذه الرسالة :

« أما بعد : فالحمد لله الذي أحصل لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤونة هدوه . اخبر امير المؤمنين اكرمه الله ان مسلم بن عقيل لجأ الى دار هانيء بن عروة المرادي ، وانني جعلت عليها العيون ، ودسست إليها الرجال ، وكدتها حتى استخرجتها ، وامكن الله منها فضربت أعناقها ، وبعثت إليك برأسيهما مع هانيء بن أبي حية الوداعي الحمداني ، والزبير ابن الأرواح التميمي ، وهما من أهل السمع والطاعة ، فليسالهما امير المؤمنين

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ / ٩٤

(٢) المناقب والمثالب (ص ١٧٢)

(٣) مروج الذهب ٣ / ٧

(٤) انساب الاشراف ق ١ ج ١ / ١٥٥

هما أحب فان عندهما علماً وصدقاً وفهما وورعاً والسلام ، (١)
واحتوت هذه الرسالة على العمليات التي قام بها الطاغية للقضاء على
الثورة ، والتي كان من أهمها :

١ - استعانت به بالعبون والجواسيس في معرفة شؤون الثورة ، والوقوف
على اسرارها ، وقد قام بهذه العملية معقل مولاه .

٢ - انه دس لهائىء العضو البارز في الثورة الرجال حتى صار
تحت قبضته ، واءتقله ، وكذلك كاد لمسلم حينما ثار عليه ، فقد أرسل
عيون أهل الكوفة ووجوهها مع العرفاء فأخذوا يذيعون الدمر وينشرون
الارهاب حتى انهزم جيشه .

جواب يزيد :

ولما انتهت الرؤوس الى دمشق سر يزيد بذلك سروراً بالغاً ، وكتب
لابن مرجانة جواباً عن رسالته شكره فيها ، وهذا نصه :
« أما بعد : فانك لم تعد اذ كنت كما أحب ، عملت عمل الخازم
وصلت صولة الشجاع الرابض ، فقد كفيت ، وصدقت ظني . ورأيت فيك
وقد دعوت رسوليك فسألتهما عن الدين ذكرت ، فقد وجدتهما في رأيها
وعقلها وفهمها وفضلها ، ومدبها كما ذكرت ، وقد أمرت لكل واحد
منها بعشرة آلاف درهم ، وسرحتها اليك فاستوص بهما خيراً .

وقد بلغني ان الحسين بن علي قد عزم على المسير الى العراق ، فضيع
المراصد والمناظر ، واحترس ، واحبس على الظن . واكتب إلي في كل

(١) الطبري ٦ / ٢١٤

يوم بما يتجدد لك من خير أو شر والسلام ، (١)
وحفلت هذه الرسالة بالتقدير البالغ لابن زياد ، واضلعت عليه صلوة
الحازم اليقظ ، وانه قد حقق ظن يزيد فيه أنه أهل للقيام بمثل هذه الأعمال
الخطيرة . . وقد عرفه يزيد بعزم الامام الحسين على التوجه إلى العراق ،
وأوصاه باتخاذ التدابير التالية :

- ١ - وضع المراصد والحرس على جميع الطرق والمواصلات
- ٢ - التحرس في أعماله ، وأن يكون حذراً يقظاً .
- ٣ - اخذ الناس بسياسة البطش والارهاب .

(١) الفتوح ٥ / ١٠٩ ، انساب الأشراف ق ١ ج ١ ، ولم يعرض
المؤرخون إلى شؤون هذه الرؤوس الكريمة فهل دفنت في دمشق أو في مكان
آخر فقد أهملوا ذلك إلا أنه جاء في مرآة الزمان (ص ٥٩) فيما يخص رأس
هانئ مانصه : انه في هذه السنة : أي سنة (٣٠٢ هـ) ورد الخبر إلى
بغداد انه وجد بخراسان بالقصر ازجا فيه الف رأس في برج في اذن كل
واحد خيط من ابريسم فيه رقعة فيها اسم صاحبه ، وكان من جملتها
رأس هانئ بن عروة ، وحاتم بن حنة ، وطلق بن معاذ وغيرهم ، وتاريخهم
- أي تأريخ وضعهم في ذلك الأزج - سنة سبعين من الهجرة ، ونقل
الزركلي في هامش اعلامه ٩ / ٥١ عن صلوة تأريخ الطبري ص ٦٢ من
حوادث سنة ٣٠٤ هـ انه ورد الى بغداد كتاب من خراسان يذكر فيه انه
وجد بالقندهار في ابراج سورها برج متصل بها فيه خمسة آلاف رأس
في سلال من حشيش ، ومن هذه الرؤوس تسعة وعشرون رأساً في اذن كل
رأس منها رقعة مشدودة بخيط ابريسم باسم رجل منهم ، وعد منهم هانئ
ابن عروة ، وقال : انهم قد وجدوا على حالهم الا انه قد جفت جلودهم
والشعر عليها بحالته لم يتغير .

٤ - أن يكون على اتصال دائم مع يزيد ، ويكتب له بجميع ما يحدث في القطر رطبى ابن مرجانة جميع ما عهدته إليه سيده ونفذ ما يلي :

اعلان الأحكام العرفية :

وبعدما اطاح الطاغية بثورة مسلم قبض على العراق بيد من حديد ، واعلن الأحكام العرفية في جميع انحاء العراق ، واعتمد في تنفيذ خططه على القسوة البالغة فاشاع من الظلم والجور مالا يوصف . فكان اسمه موجباً لاثارة الفزع والخوف في نفوس العراقيين كما كان اسم أبيه زياد من قبل . لقد فوضت إليه حكومة دمشق السلطات الواسعة ، وأمرته بأخذ الناس بالظننة ، واعداد كل من يحقده على الحكم الأموى ، أوله ضلع بالاشترك في أية مؤامرة تحاك ضده . وهذه الأساليب الرهيبة ساق الناس لحرب الحسين ، فقد كان يحكم بالموت على كل من يتخلف أو يرتدع عن الخوض في المعركة (١) .

احتلال الحدود العراقية :

واحتل ابن زياد جميع الحدود العراقية احتلالاً عسكرياً ، ومنع الناس من الدخول للعراق والخروج منه إلا باذن وتأشير خاص من شرطة الحدود وكانوا اذا أخذوا رجلاً اجرؤا معه التحقيق الكامل فان علموا براءته اطلقوا سراحه ، والا بعثوه مخفوراً الى السلطة المركزية في الكوفة لتجري معه المزيد من التحقيق ، وقد احتاط في هذه الجهة أشد الاحتياط مخافة أن يلج أحد إلى العراق أو يخرج منه من شيعة الامام الحسين ، ويقول المؤرخون

(١) الدولة الأموية في الشام (ص ٥٦)

إنه جعل على جميع الممارق ، ورؤوس المنازل عيوناً من عسكره ، كما عين في البرنقاطا ومسالح ترصد جميع الحركات وقد بعث الحصين بن نمير رئيس شرطته الى القادسية ، ومنها الى خلمان ، ثم الى القطقطانية وجبل لعلع ورتب في كل مكان جماعة من الفرسان والخيالة لتفتيش الداخل والخارج ، وقد حفظت هذه الاجراءات تلك المناطق من الاشتراك بأي عمل ضد الدولة ، كما حفظت خطوط المواصلات بين الكوفة والشام ، وقد القت الشرطة القبض على مسهر الصبيداوي رسول الامام الحسين الى الكوفة ، وبعثته مخفوراً الى ابن زياد ، وسندكر حديثه في البحوث الآتية :

الاعتقالات الواسعة :

وقام ابن زياد بحملة اعتقالات واسعة النطاق في صفوف الشيعة فاعتقل منهم فيما يقول بعض المؤرخين اثني عشر الفا (١) وكان من بين المعتقلين سليمان بن صرد الخزاعي ، والمختار بن يوسف الثقي واربعمائة من الأعيان والرجوه (٢) :

وقد اثارت هذه الاجراءات عاصفة من الفزع والهلع لا في الكوفة فحسب ، وانما في جميع أنحاء العراق وقد ابتعد الكوفيون عن التدخل في أية مشكلة سياسية ، ولم تبد منهم أية حركة من حركات المعارضة وايقنوا أن لا قدرة لهم على الاطاحة بالعرش الأموي ، وظلوا قابضين تحت وطأة سياطه القاسية .

(١) المختار مرآة العصر الأموي (ص ٧٤ - ٧٥)

(٢) الدر المسلوک في احوال الانبياء والأوصياء ١ / ١٠٩ .

إخفاق الثورة

ويتساءل الكثيرون عن الأسباب التي أدت الى اخفاق مسلم في ثورته مع ما كان يتمتع به من القوى العسكرية في حين أن خصمه لم تكن عنده أية قوة يستطيع أن يدافع بها عن نفسه فضلاً عن الهجوم والدخول في عمليات القتال ، ويعزو بعضهم السبب في ذلك إلى قلة خبرة مسلم في الشؤون السياسية ، وعجزه من السيطرة على الموقف ، فترك المجال مفتوحاً لعدوه حتى تغلب عليه . . . وهذا الرأي - فيما يبدو - سطحي ليست له أية صبغة من التحقيق ، وذلك لعدم اهتئاته على دراسة الأحداث بعمق وشمول ومن أهمها - فيما نحسب - دراسة المجتمع الكوفي ، وما مُني به من التناقض في سلوكه الفردي والاجتماعي ، والوقوف على المخططات السياسية التي اعتمدها ابن زياد للتغلب على الأحداث ، والنظر في الصلاحيات المعطاة لمسلم بن عقيل من قبل الامام فان الاحاطة بهذه الأمور توضح لنا الأسباب في اخفاق الثورة وفيما يلي ذلك .

المجتمع الكوفي :

ولابد لنا أن نتحدث بمزيد من التحقيق عن طبيعة المجتمع الكوفي فانه المرأة الذي تنعكس عليه الأحداث الهائلة التي لعبت دورها الخطير في تأريخ الاسلام السياسي ، وان نتبين العناصر التي سكنت الكوفة ، وننظر إلى طبيعة الصلات الاجتماعية فيما بينها ، والحياة الاقتصادية التي كانت تعيش فيها ، فان البحث عن ذلك يُلقي الأضواء على فشل الثورة ، كما يلقى الأضواء على التدهذب والانحرافات الفكرية التي مُني بها هذا المجتمع والتي كان من نتائجها ارتكابه لأبشع جريمة في تأريخ الانسانية ، وهي اقدمه على قتل رجائه رسول الله (ص) والى القراء ذلك :

الظواهر الاجتماعية :

أما الظواهر الاجتماعية التي تورد بها المجتمع الكوفي دون بقية الشعوب فهي :

التناقض في السلوك :

والظاهرة الغريبة في المجتمع الكوفي أنه كان في تناقض صريح مع حياته الواقعية ، فهو يقول شيئاً ويفعل ضده ، ويؤمن بشيء ويفعل ما ينافيه والحال أنه يجب أن تتطابق أعمال الانسان مع ما يؤمن به ، وقد أدلى الفرزدق بهذا التناقض حينما سأله الامام عن أهل الكوفة فقال له :
« خللت قلوب الناس معك ، وسيوفهم مشهورة عليك ،
وكان الواجب يقضي أن تذب سيوفهم عما يؤمنون به ، وان يناضلوا
عما يعتقدون به ، ولا توجد مثل هذه الظاهرة في تاريخ أي شعب
من الشعوب .

ومن هرائب هذا التناقض ان المجتمع الكوفي قد تدخل تدخلات
ايجابياً في المجالات السياسية وهام في ياراتها ، فكان يهتف بسقوط الدولة
الاموية ، وقد كتبوا الامام الحسين لينقلهم من جور الأمويين وبطشهم ،
وبعثوا الوفود اليه مع آلاف الرسائل التي تحثه على القدوم لمصرهم ،
ولما بعث إليهم سفيره مسلم بن عقيل قابله بحماس بالغ ، وأظهروا له
الدهم الكامل ، حتى كاتب الامام الحسين بالقدوم إليهم ، ولكن لما دهمهم
ابن مرجانة ونشر الرعب والفزع في بلادهم تخلوا عن مسلم ، واقفلوا
عليهم بيوتهم وراحوا يقولون :

« مالنا والدخول بين السلاطين »

ان حياتهم العملية لم تكن صدى لعقيدتهم التي آمنوا بها ، فقد كانوا يمنون قادتهم بالوقوف معهم ثم يتخلون عنهم في اللحظات الحاسمة :

ومن مظاهر ذلك التناقض انهم بعدما ارحموا الامام الحسن (ع) على الصلح مع معاوية ، وغادر مصرهم جمعلوا ينوحون ويبكون على مفرطه تجاهه ، ولما قتلوا الامام الحسين (ع) ودخلت سبايا أهل البيت (ع) مدينتهم أخذوا يعجون بالنياحة والبكاء فاستغرب الامام زين العابدين (ع) ذلك منهم وراح يقول :

« إن هؤلاء يبكون وينوحون من أجلنا ، فمن قتلنا ؟ ! ! »

ان فقدان التوازن في حياة ذلك المجتمع جرهم الويلات والمحطوب والغام في شر عظيم .

الغدر والتذبذب :

والظاهرة الأخرى في المجتمع الكوفي الغدر ، فقد كان من خصائصهم التي اشتهروا بها ، وقد ضرب بهم المثل فقيل : « اغدر من كوفي » (١) كما ضرب المثل بعدم وفائهم فقيل : « الكوفي لا يوفي » (٢) .

وقد وصفهم امير المؤمنين (ع) بقوله : « اسود رواغة وتعالب رواغة » . وقال فيهم : « إنهم أناس مجتمعة ابدانهم ، مختلفة احوالهم وان من فاز بهم فاز بالسهم الأحيب وانه أصبح لا يطمع في نصرته »

(١) الفرق بين الفرق (ص ٢٦) لعبد القاهر البغدادي

(٢) أثار البلاد (ص ١٦٧) لتركيا القزويني

ولا يصدق قولهم (١) .

لقد كان الجانب العملي في حياتهم هو التقلب والتردد والتخاذل ،
وقد هروا زيد بن علي الثائر العظيم فقالوا له : ان معك مائة الف رجل
من اهل الكوفة يضربون دونك بأسيا فهم (٢) وقد أحصى ديوانه منهم
خمسة عشر الفاً كانوا قد بايعوه على النصر (٣) ثم لما اعلن الثورة هبط
عددهم الى مائتي وثمانية عشر رجلاً (٤) وقد نصح داود بن علي زيدا
بأن لا يتخذع بأهل الكوفة فقال له :

« يا بن عم إن هؤلاء يفررونك من نفسك ، اليس قد خلدوا من
كان أعز عليهم منك جدك علي بن أبي طالب حتى قتل ، والحسن من
بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فالتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فسطاطه
وجرحوه ؟ أوليس قد أخرجوا جدك الحسين وحلفوا له باوكد الايمان ثم
خلدوه واسلموه ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه » (٥) .

وكانوا يتكثرون البيعة ببد البيعة ، وقد ألمح الى هذه الظاهرة أعشى
همدان الذي كان شاعر ثورة محمد بن الأشعث الذي ثار على الحجاج
يقول داعياً على اهل الكوفة :

أبي الله إلا أن يتمم نوره ويطفىء نور الفاسقين فيخمدوا
وينزل ذلاً بالعراق وأهله لما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا
وما أحدثوا من بدعة وعظيمة من القول لم تصعد الى الله مصعدا

(١) الامامة والسياسة ١ / ٢٣٨

(٢) تأريخ الطبري ٢ / ٣ / ١٦٧٧

(٣) الطبري ٢ / ٣ / ١٦٨٥

(٤) (٥) الطبري ٢ / ٣ / ١٦٧٩

وما نكثوا من بيعة بعد بيعة إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها لهذا (١)
وقد عرفوا بهذا السم عند جميع الباحثين ، ويرى « فلهوزن »
انهم مترددون متقلبون والنهم لم يألوا النظام والطاعة ، وان الاخلاص
السياسي والعسكري لم يكن معروفاً لهم على الاطلاق ، واكد ذلك الباحث
« وزتر شلين » يقول : إن من صفاتهم المميزة البارزة الهوائية والتقلب
ونقص الثقة بالنفسهم (٢) .

ولم يكن هذا التذبذب في حياتهم مقتصراً على العامة ، وانما كان
شائعاً حتى عند رجال الفكر والأدب فسراقه الشاعر المعروف وقف في
وجه المختار ، واشترك في قتاله يوم جبانة السبيع فلما انتصر المختار وقم
سراقه أسيراً بين يدي أصحابه فرج به في السجن فأخذ سراقه يستعطفه
وينظم القصيد في مدحه ، ويذكر مبادئ ثورته ويبالغ في تمجيده فكان
مما قاله فيه :

نصرت على هدوك كل يوم بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب اذ لاقى حنيننا
فاسجج (٣) اذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فاني سأشكر إن جعلت النقد دينا
ولما عفا عنه المختار خرج من الكوفة فلم يبعد عنها قليلاً حتى أخذ
يهجو المختار ويحرض عليه ، وقد قال في هجائه :
الا ابلغ أبا اسحاق أني رأيت البلق دهما مصمتات

(١) تاريخ الطبري ٢ / ١١١٣

(٢) السيادة العربية (ص ٧٤)

(٣) السجج : حسن العلو

كفرت بوحيم وجعلت نذراً علي قتالكم حتى الممات
 ارى عيني مالم تبصراه كلانا عالم بالترهات
 اذا قالوا : اقول لهم كذبتهم وان خرجوا البست لهم اداتي (١)
 لقد مضى يصب ثورته وسخريته على المختار وأصحابه في نفس
 الوزن الذي نظم فيه قصيدته السابقة ، ومن الطبيعي ان هذا التناقض في
 حياتهم كان ناجماً من الاضطراب النفسي ، وعدم التوازن في السلوك ؛
 ومن هرائب ذلك التناقض أن بعضهم كان يجتاط في أبسط الأمور
 ولا يتحرج من اقراراف أعظم الموبقات ، فقد جاء رجل من أهل الكوفة
 إلى عبد الله بن عمر يستفتيه في دم البعوض يكون على الثوب اطاهر أم نجس؟
 فقال له ابن عمر :

- من أين أنت ؟

- من أهل العراق

فبهر ابن عمر وراح يقول : انظروا الى هذا يسألني عن دم البعوض !!
 وقد قتلوا ابن بنت رسول الله (ص) وقد سمعته يقول فيه وفي أخيه :
 هما ريحائتاي من الدنيا (٢) .

ويعزو بعضهم السبب في هذا الاضطراب إلى الظروف السياسية
 القاسية التي مرت عليهم ، فان الحكم الأموي كان قد عاملهم بمنتهى القسوة
 والشدة فرماهم بأقسى الولاة وأشدهم عنفاً امثال المغيرة بن شعبة وزبياد بن
 سمية مما جعل الحياة السياسية ضيقة ومتحرجة مما نجم عنه هذا التناقض
 في السلوك .

(١) أنساب الأشراف ٥ / ٢٣٤ ، الأخبار الطوال (ص ٢٦٤)

(٢) الصراط السوي في مناقب آل النبي (ص ٩٤) من مصورات

مكتبة الامام أمير المؤمنين :

التمرد على الولاية :

والطابع الخاص الذي عرف به المجتمع الكوفي التمرد على الولاية والتبرم منهم ، فلا يكاد يتولى عليهم وال وحاكم حتى أهلنوا الطعن عليه فقد طعنوا في سعد بن أبي وقاص مؤسس مدينتهم واتهموه بأنه لا يحسن الصلاة (١) فعزله عمرو ولى مكانه الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، ولم يلبثوا أن شكوه إلى عمر فعزله ، وولى مكانه أبا موسى الأشعري ، ولم تمض أيام من ولايته حتى طعنوا فيه ، وقالوا : لا حاجة لنا في أبي موسى (٢) وضاق عمر بهم ذرعا وبدا عليه الضجر فسأله المغيرة عن شأنه فقال له :
« ما فعلت هذا يا أمير المؤمنين إلا من عظيم ، فهل نأبى من نائب ؟ » .

فانبرى عمر يشكو إليه الألم الذي داخله من أهل الكوفة قائلا :
« وأي نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن أمير ، ولا يرضى عنهم أمير . » (٣) .
وتحدث عمر عنهم فقال :
« من عذيري من أهل الكوفة إن استعملت عليهم القوي فجزوه ، وإن وليت عليهم الضعيف حقروه . » (٤) .
لقد جبلوا على التمرد فهم لا يطيقون الهدوء والاستقرار ، ويرى ديموميين أن هذه الظاهرة اعتادها الكوفيون من أيام الفرس الذين دأبوا

(١) فتوح البلدان (ص ٢٨٧)

(٢) الطبري ، وجاء فيه أنهم اتهموه بأنه يتاجر في اقواتهم .

(٣) فتوح البلدان (ص ٢٧٩)

(٤) مختصر كتاب البلدان (ص ١٨٤) لابن الفقيه

على تغيير حكاهم يوماً (١) ويلهب فان فلوتن الى أن العرب المستقرين بالكوفة كانوا قد تعودوا على حياة الصحراء بما فيها من ضغن وشحناء وحب الانتقام ، والتخريب والأخذ بالنار فلدا تعودوا على التمرد ، وعدم الطاعة للنظام (٢)

الانهزامية :

والظاهرة الغربية التي عرف بها المجتمع الكوفي هي الانهزامية ، وعدم الصمود أمام الأحداث فاذا جسد الجسد ولوا منهزمين على أعقابهم فقد أجمعوا في حماس على مبايعة مسلم ونصرته ، ولما أعلن الثورة على ابن مرجانة انفضوا من حوله حتى لم يبق معه انسان يدلّه على الطريق وقد قفلوا مثل هذا الموقف مع زيد بن علي ، فقد تركوه وحده يصارع جيوش الأمويين ، وراح يقول : « فعلوها حسينية » وبايعوا عبد الله بن معاوية فقالوا له : « ادع الى نفسك فبنو هاشم أولى بالامر من بني مروان » (٣) واخرجوه حيث كان مقيماً ، وأدخلوه القصر فبايعوه ، ولما زحف لقتاله والي الأمويين عبد الله بن عمر فروا منهزمين ونظر عبد الله بن معاوية فاذا الأرض بيضاء من أصحابه فقد غدر به قائد قواته لأنه كان على اتفاق مع والي الأمويين فانهزم وانهزم معه الجيش (٤) وكان عيسى بن زيد يقول فيهم « لا اعرف موضع ثقة يفني ببيعتهم ، ويثبت عند اللقاء » (٥)

(١) النظم الاسلامية (ص ٢٦)

(٢) السيادة العربية (ص ١١)

(٣) (٤) الطبري ٢ / ٣ / ١١٨٨٠

(٥) مقالات الطالبين (ص ٤١٨)

مساوية الاخلاق :

وانصفت الاكثرية الساحقة من أهل الكوفة بمساوية الاخلاق . يقول
فيهم عبدالله بن الحسن انهم : (نفع العلانية ، خور السريرة . هوج الردة ،
جزع في اللقاء ، تقدمهم السننهم ، ولا تشايهم قلوبهم ، ووصفهم الامام
أمير المؤمنين (ع) بقوله : « إن أهملتم خفتهم ، وإن حوربتم خرتهم ، وإن
اجتمع الناس على امام طعنتم ، وإن جئتم الى مشاققة نكصتم » (١) ووصلهم
المختار لعبد الله بن الزبير حينما سأله عنهم فقال : « لسلطانهم في العلانية
أولياء وفي السر أعداء ، وعلق ابن الزبير على قول المختار فقال : « هذه
صفة عبيد السوء اذا رؤوا أربابهم خدموهم واطاعوهم ، فاذا طابوا عنهم
شتموهم » (٢) .

وهجاهم اعشى همدان بقوله :

وجبتنا حشاه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
ويقول فيهم أبو السرايا :
وما رست اقطار البلاد فلم أجد
خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة
لقد سبقت فيكم الى الحشر دعوة
لكن يقربون الناس الا تهددا
ولكن فخرأ فيهم وتزيدا (٣)
لكم شبةأ فيما وطأت من الأرض
ووهنا وعجزأ في الشدائد والخلفض
فلا عنكم راض ولا فيكم مرضي (٤)

(١) (٢) الطبري ٢ / ٣ / ١٦٨١

(٣) الطبري ٢ / ٢ / ١١١٤

(٤) يشير إلى دعوة الامام الشهيد الحسين (ع) على أهل الكوفة

يوم عاشوراء بقوله « ولا يرضي الولاة عنكم أبدا »

صأبعد داري من قلى عن دياركم فذوقوا اذا وليت عاقبة البغض (١)
وحلل الدكتور يوسف خليف هذه الأبيات بقوله : « وأبو السرابا
في هذه الأبيات يردد تلك الفكرة القديمة التي عرفت عن أهل الكوفة من
انهم أهل شقاق ونفاق ومساوىء أخلاق ، فيصلهم بالشقاق والجهل وتفرق
العزيمة والضعف والمعجز ، ويرى أن هذه صفاتهم التي تلازمهم دائماً في
الحرب والسلم ، وهي صفات لم تجعل أحداً من زعمائهم أو أئمتهم يرضى
عنهم ، وهم متفردون بها من بين سائر البشر في جميع اقطار الأرض التي
وطأتها قدماء ، ثم يعلن في النهاية ببغضه لهم وامتزاه البعد عنهم ليذوقوا
من بعده سوء العاقبة وسوء المصير » (٢) .

ووصفهم ابو بكر الهذلي بقوله : « ان اهل الكوفة قطعوا الرحم
ووصلوا المئانة ، كتبوا إلى الحسين بن علي انا معك مائة الف ، وخرّوه
حتى إذا جاء خرجوا إليه وقتلوه وأهله بيته صغيرهم وكبيرهم ، ثم ذهبوا
يطلبون دمه ، فهل سمع السامعون بمثل هذا ؟ » (٣) .

الجشع والطمع :

وهناك نزعة عامة سادت في اوساط المجتمع الكوفي ، وهي التهالك
على المادة والسعي على حصولها بكل طريق ، فلا يباليون في سبيلها بالعار
والخزي ، ولقد لعبت هذه الجهة دورها الخطير في اخلاق ثورة مسلم ،
فقصد بذلك ابن زياد الأموال بسخاء للوجوه والاشراف فدخلوا إليه سراهاً

(١) مقاتل للطالبيين (ص ٥٤٤ - ٥٤٦)

(٢) حياة الشعر في الكوفة (ص ٤٤٥)

(٣) مختصر البلدان (ص ١٧٣)

فغدروا بمسلم ، ونكثوا عهودهم ، وقد ملكهم ابن زياد بعطائه فأخرجهم
لحرب ريمانة رسول الله (ص) بعد أن أقسموا الايمان المغلظة على نصرته
والذب عنه .

التأثر بالدعايات :

وظاهرة أخرى من ظواهر المجتمع الكوفي وهي سرعة التأثر بالدعايات
من دون فحص ووقوف على واقعها ، وقد استغل هذه الظاهرة الأمويون
ايام «مسكن» فأشاعوا في أوساط الجيش العراقي ان الحسن صالح معاوية
وحيثما سمعوا بذلك ماجوا في الفتنة وارتطموا في الاختلاف ، فعمدوا
الى امتعة الامام فتهبوا ، كما اعتدوا عليه فطعنوه في فخذه ولما اذاعت
عصاة ابن زياد بين جيوش مسلم أن جيش أهل الشام قد أقبل إليكم فلا
تجعلوا أنفسكم عرضة للنقمة والعداب ، فلما سمعوا ذلك انهارت
اعصابهم ، وولوا منهزمين ، وأمسى ابن عقيل وحده ليس معه انسان يده
على الطريق .

هذه بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الكوفة ، وهي تكشف عن
ضخامة ذلك المجتمع ، وانهاره أمام الأحداث ، فلم تكن له ارادة صلبة
ولاوعي اجتماعي أصيل وقد جروا لهم بذلك الويل ، فدمروا قضايهم المصيرية
ونكروا لجميع حقوقهم ، وفتحوا المجال للطاغية ابن مرجانه أن يتحكم فيهم
ويصب عليهم واهلا من العذاب الأليم .

الحياة الاقتصادية :

أما الحياة الاقتصادية في الكوفة فكانت تتسم بعدم التوازن فقد كانت فيها الطبقة الارستقراطية التي غرقت في الثراء العريض فقد منحتها الدولة الأموية أيام هثمان ومعاوية الهبات والامتيازات الخاصة فأثرت على حساب الضعفاء والمحرومين ، ومن بين هؤلاء :

١ - الأشعث بن قيس ، وقد اشترى في أيام عثمان أراضي واسعة في العراق ، وكان في طليعة الاقطاعيين في ذلك العصر ، وهو الذي ارغم الامام على قبول التحكيم لأن حكومته كانت تهدد مصالحه وامتيازاته الخاصة .

٢ - عمرو بن حريث ، وكان أثرى رجل في الكوفة (١) ، وقد لعب دوراً خطيراً في افساد ثورة مسلم وشل حركتها .

٣ - شيبث بن ربيعي ، وهو من الطبقة الارستقراطية البارزة في الكوفة (٢) ، وهو أحد المخللين عن مسلم ، كما تولى قيادة بعض الفرق التي حاربت الحسين .

هؤلاء بعض المثرين في ذلك العصر ، وكانوا يداً لابن مرجانة وساعده القوي الذي اطاح بثورة مسلم ، فقد كانوا يملكون نفوذاً واسعاً في الكوفة وقد استطاعوا أن يعلنوا معارضتهم للمختار رغم ما كان يتمتع به من الكتل الشعبية الضخمة المؤلفة من الموالي والعبيد ، وهم الذين اطاحوا بحكومته . أما الأكثرية الساحقة في المجتمع الكوفي فكانت مرتبطة بالدولة تتلقى موادها المعاشية منها باعتبارها المسكر الرئيسي للدولة فهي التي تقوم

(١) في الطبري ان عمرو بن حريث كان اكثر أهل الكوفة مالا

(٢) حياة الشعر في الكوفة (ص ١٦٨)

بالانفاق عليها ، وقد عانى بعضهم الحرمان والبؤس ، وقد صور الشاعر
الأسدي سوء حياته الاقتصادية بقصيدة يمدح بها بعض نبلاء الكوفة لينال
من معروفه وكرمه يقول فيها :

يا أبا طلحة الجواد اغثني بسجال من سيبك المقسوم
أحي نفسي - فذلك نفسي - فأني مفلس - قد علمت ذلك - عديم
أو تطوع لنا بسلت دقيق أجره - ان فعلت ذلك - عظيم
قد علمتم - فلا تعامس عني - ما قضى الله في طعام اليتيم
ليس لي غير جرة واصبص وكتاب منمنم كالوشوم
وكساء أبيعه برحيف قد رقنا حروقه بأديم
واكاف اعارنيته نشيط هو لحاف لكل ضيف كريم (١)

أرأيت هذا الفقر المدقع الذي دعا الشاعر الى هذا الاستعطاف والتذلل
إنها مشكلة الفقر الذي أحسد بخناقه وعلق شوقي ضيف على هذه الأبيات
بقوله : « ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية واحتل جوانب
غير قليلة منها فقد كان أساسيا في حياة الناس ، فطبيعي أن يكون أساسياً
في فنهم وشعرهم ، ليس دعامة هامة من دعائم الحياة ، فلم لا يكون
دعامة هامة من دعائم البناء الفني ، انه يستتر في قاع الحياة ، وقاع الشعر
لأن الشعر انما هو تعبير عن الحياة (٢) .

ان الحياة الاقتصادية تؤثر أثراً عميقاً وفعالاً في كيان المجتمع ، وتلعب
دوراً خطيراً في توجيه المجتمع نحو الخير او الشر ، وقد ثبت أن كثيراً
من الجرائم التي يقرتها بعض المصابين في سلوكهم انما جاءت نتيجة
لفقرهم وبؤسهم أو لجشعهم على تحصيل المادة ، وقد اندفع أكثر الجيوش

(١) حياة الحيوان للجاحظ ٥ / ٢٩٧ - ٢٩٩

(٢) التطور والتجديد في الشعر الأموي (ص ١٣٤)

الذي نخرج للحرب الامام الحسين (ع) حينما مناهم ابن مرجانة بزيادة مرتباتهم التي يتقاضونها من الدولة .
وعلى أي حال فان سوء الحالة الاقتصادية في الكوفة كانت من الأسباب الفعالة في اخفاق ثورة مسلم وتحول الجماهير عنه حينما اهدق ابن زياد الأموال على الوجوه والعرفاء وغيرهم فاندفعوا الى القيام بمناهضة مسلم وصرف الناس عنه .

عناصر السكان :

كانت الكوفة أممية قد امتزجت فيها عناصر مختلفة في لغاتها ، ومتباينة في طباعها وعاداتها وتقاليدها فكان فيها العربي والفارسي والنبطي الى جانب العبيد وغيرهم ، ولم تعد مدينة عربية خالصة كمكة والمدينة وانما كانت مدينة أهلها اخلاط من الناس - كما يقول اليعقوبي - وقد هاجرت إليها هذه العناصر باعتبارها المركز الرئيسي للمعسكر الاسلامي فدنها تندفق الجيوش الاسلامية للجهاد كما تندفق بها المغنم الكثيرة التي وعد الله بها المجاهدين ، وقد بلغ نصيب الجتدي المقاتل من فئ المدائن اثني عشر الفا (١) مما دعا ذلك الى الهجرة إليها باعتبارها السبيل الى الثروة ونلمع الى بعض تلك العناصر .

(١) طبقات ابن سعد ٦ / ٤ مختصر كتاب البلدان (ص ١٦٦)

العرب :

وحينما تم تأسيس الكوفة على يد فالح العراق سعد بن أبي وقاص اتجهت إليها أنظار العرب ، وتسابقوا إلى الهجرة إليها ، فقد سكنها في وقت مبكر سبعون بدرية وثلثمائة من أصحاب الشجرة (١) وقد ترجم ابن سعد في طبقاته مائة وخمسين صحابياً ممن نزلوا الكوفة (٢) ويقول فيها السفاح : « وهي - أي الكوفة - منزل خيار الصحابة وأهل الشرف (٣) أما القبائل العربية التي سكنتها فهي :

القبائل اليمنية :

وتسابقت القبائل اليمنية إلى سكنى الكوفة فكان عددهم - فيما يقول المؤرخون - اثني عشر ألفاً (٤) وهي :

- ١ - قضاة
- ٢ - غسان
- ٣ - بجيلة
- ٤ - خثعم
- ٥ - كندة

(١) طبقات ابن سعد ٦ / ٤

(٢) طبقات ابن سعد ٦ / ٤٣

(٣) مختصر كتاب البلدان (ص ٧٣)

(٤) معجم قبائل العرب ١ / ١٥ ، فتوح البلدان (٢٧٦) معجم

البلدان ٧ / ٢٦٧ .

٦ - حضرموت

٧ - الأزد

٨ - مذحج

٩ - حمير

١٠ - همدان

١١ - النخع

فهذه هي الأسر التي تنتمي إلى اليمن ، وقد استوطنت الكوفة ، ونزلت في الجبال الشرقي من المسجد ، ويرى فلهوزن أن القبائل المشهورة من اليمن وهي مذحج وحمدان وكندة قد كانت لها السيطرة والسيادة على الكوفة ، ويقول عبد الملك بن مروان بعد دخوله إلى الكوفة حينما جاءته قبائل مذحج وحمدان :

« ما أرى لأحد مع هؤلاء ، شيئاً »

القبائل العدنانية :

أما القبائل العدنانية التي سكنت الكوفة فكان عددها ثمانية آلاف شخص ، وهي تشكل من اسرتين .

١ تميم

٢ بنو المصير

قبائل بني بكر :

وسكنت الكوفة قبائل بني بكر ، وهي عدة أسر منها :

١ - بنو أسد

٢ - غطفان

٣ - محارب

٤ - نمير

وهناك مجموعة أخرى من القبائل العربية استوطنت الكوفة ، وهي كنانة ، وجديلة ، وضبيعة وعبد القيس ، وتغلب وايد وطبي وثقيف وعامر ومزينة (١) ويرى ما سليون انه إلى جانب القرشيين الذين سكنوا الكوفة عناصر شديدة البداوة من سكان الحيسام وبيوت الشعر ، وأصحاب الأبل من بني دارم التميمي وجيرانهم اليمنيين القدماء من طيء ، وعناصر نصف رحالة من ربيعة ، وأسد من الغرب والشمال الغربي ، ويكر من الشرق والجنوب الشرقي وعبد القيس الذين جاءوا من هجر من الجنوب الشرقي ثم عناصر متحضرة من القبائل الجنوبية الأصيلة من العربية الذين نزحوا من اليمن وحضرموت ، وهؤلاء كانوا قسمين : عناصر نصف متحضرة من كندة وبجيلة وعناصر متحضرة تماماً من سكان المدن والقرى اليمنية من مذحج وحير وهمدان (٢) .

ان العنصر العربي الذي استوطن الكوفة منذ تأسيسها كان مزيجاً من اليمنية والنزارية وهيرها ولكن اليمنية كانت أكثر عدداً كما كان تأثيرها في حياة المجتمع الكوفي أشد من غيرها .

الروح القبلية :

وسادت في قبائل المجتمع العربي في الكوفة الروح القبلية فكانت كل قبيلة

(١) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة (ص ٤٢)

(٢) خطط الكوفة (ص ١٢ - ١٣)

تنزل في حي معين لما لا يشاركها فيها الا حلفاؤها ، كما كان لكل قبيلة مسجدها الخاص ، ومقبرتها الخاصة ، ويرى ماسنيون ان جبهات الكوفة هي احدى الصفات المميزة لطبوغرافيتها (١) كما سميت شوارعها وسككها بالقبائل التي كانت تقطن فيها (٢) وغدت المدينة صورة تامة للحياة القبلية وبلغ الاحساس بالروح القبلية والتمصب لها الى درجة عالية ، فكانت القبائل تتنافس فيما بينها على احراز النصر كما حدث في واقعة الجمل . ومن هنا غلب على الحياة فيها طابع الحياة الجاهلية (٣) ، ويحدثنا ابن ابي الحديد عن الروح القبلية السائدة في الكوفة بقوله : « ان أهل الكوفة في آخر عهد علي كانوا قبائل فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى ، فينادي باسم قبيلته يا للنخع أو بالكندة ، فيتألب عليه فتیان القبيلة التي مر بها فينادون بالتميم أو يا لربيعة ، ويقبلون الى ذلك الصائح فيضربونه فيمضي إلى قبيلته فيستصرخها فتسلل السيوف وتثور الفتنة » (٤) .

لقد كانت الروح القبلية هي المنصر البارز في حياة المجتمع الكوفي وقد استغل ابن سمية هذه الظاهرة في القاء القبض على حجر واخماد ثورته فضرب بعض الأسر ببعض ، وكذلك استغل هذه الظاهرة ابنه للقضاء على حركة مسلم وهانئ ، وعبد الله بن عفيف الأزدي .

(١) خطط الكوفة (ص ١٨)

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي (ص ٨٠ - ٨١)

(٤) شرح النهج ٣ / ٢٣٩

الفرس :

ولإى جانب العنصر العربي السذي استوطن الكوفة كان العنصر الفارسي ، وكانوا يسمون الحمراء (١) وقد سألوا عن أمنع القبائل العربية فقبل لهم تميم فتحالفوا معهم (٢) وأكبر موجة فارسية استوطنت الكوفة عقيب تأسيسها هي المجموعة الضخمة من بقايا فلوك الجيوش الساسانية التي انضمت إلى الجيش العربي ، وأخذت تقاتل معه ، وقد عرفت في التاريخ باسم « حمراء ديلم » فكان عددهم - فيما يقول المؤرخون - أربعة آلاف جندي يرأسهم رجل يسمى (ديلم) قاتلوا معه تحت قيادة رستم في القادسية فلما انهزمت الفرس ، وقتل رستم عقسدوا أماناً مع سعد بن أبي وقاص ، وشرطوا عليه أن ينزلوا حيث شاؤوا ، ويحالفوا من أحبوا وان يفرض لهم العطاء ، وقد حالفوا زهرة بن حوية التميمي أحد قادة الفتح ، وفرض لهم سعد في الف الف ، وأسلموا وشهدوا فتح المدائن معه كما شهدوا فتح جلولاء ، ثم تحولوا فنزلوا الكوفة (٣) .

وقد كونت هذه الجالية مجموعة كبيرة في المجتمع الكوفي ، ويذكر فلهوزن انهم كانوا أكثر من نصف سكان الكوفة ، وقد أخذ عددهم بازدياد حتى تضاءلت نسبة العرب في الكوفة ، وتغلبوا في عصر المأمون حتى كانت اللغة الفارسية تحتل الصدارة في ذلك العصر (٤) ويقول الجاحظ :

(١) الأخبار الطوال (ص ٢٩٦)

(٢) تاريخ الطبري

(٣) فتوح البلدان (ص ٢٨٠) خطط الكوفة (ص ١١)

(٤) فك العربية (ص ٨٣ - ٨٤)

ان اللغة الفارسية أثرت تأثيراً كبيراً في لغة الكوفة (١) .
وعلى أي حال فان الفرس كانوا يشكلون عنصراً مهماً في الكوفة
وكونوا بها جالية متميزة فكان أهل الكوفة يقولون : « جئت من حمراء
ديلم » (٢) ويقول البلاذري : ان زياداً سير بعضهم إلى الشام ، وسير
قوماً منهم إلى البصرة (٣) وقد شاركت هذه الجالية في كثير من الفتوحات
الاسلامية ، كما شكلت المد العالي للاطاحة بالحكم الأموي .

الأنباط :

وكانت الانباط من العناصر التي سكنت الكوفة ، وقد أثروا في الحياة
العامة تأثيراً عقلياً واجتماعياً ، ويقول المؤرخون : إن الانباط ليسوا عنصراً
خاصاً من البشر وإنما هم من العرب وكانوا يستخدمون اللغة الدارمية
في كتابتهم ، وكانوا يستوطنون بلاد العرب الصحيرية وقد انتقلوا منها إلى
العراق ، واشتغلوا بالزراعة ، وكانوا ينطقون بلغتهم الدارمية (٤) .
وقد أثروا تأثيراً بالغاً في حياة الكوفة يقول أبو عمرو بن العلاء
لأهل الكوفة : « لكم حذقة النبط ، وصالفهم ، ولنا زهاء الفرس
واحلامهم » (٥) ويروي الطبري أن رجلاً من بني عيس أسر رجلاً من
أهل نهاوند اسمه دينار ، وكان يواصل العبسي ويهدي إليه ، وقد قدم

(١) البيان والتبيين ١ / ١٩ - ٢٠

(٢) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري (ص ٥٥)

(٣) فتوح البلدان (ص ٢٧٩)

(٤) الحضارة الاسلامية (ص ٩٧)

(٥) البيان والتبيين ٢ / ١٠٦

الكوفة في أيام معاوية فقام في الناس وقال لهم : يا معشر أهل الكوفة أنتم أول من مررتم بنا كنتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك زمان عمر وهشان ثم تغيرتم ، وفشت فيكم خصال أربع : بخل ، وخب ، وغدر ، وضيق ولم يكن فيكم واحدة منهن فراققتكم فاذا ذلك في مواليدكم ، فعلمت من أين أنيتم ، (١) .

ويرى (دي بود) ان التغير الاجتماعي وتبدل الاخلاق في الكوفة قد نشأ في وقت مبكر أيام معاوية بن أبي سفيان (٢) ومن الطبيعي ان للانباط ضلعا كبيراً في هذا التغير .

السريانية :

والعنصر الرابع الذي شارك في تكوين الكوفة هي السريانية ، فقد كانت منتشرة في العراق قبل الفتح الاسلامي ، وكان الكثيرون منهم مقيمين على حوض دجلة ، وبعضهم كان مقيماً في الحيرة والكوفة وقد ارتبطوا بأهل الكوفة وتأثروا بعاداتهم واخلاقهم فان الحياة الاجتماعية - كما يقول علماء الاجتماع - حياة تأثير وتأثر فكل انسان يتأثر ويؤثر فيمن حوله .

هذه هي العناصر التي شاركت في استيطان الكوفة وبناء مجتمعها فهي لم تكن عربية خالصة وانما امتزجت بها هذه العناصر ، وقد نشأت بينها المصاهرة ، فنشأ جيل مختلط من هذه العناصر ولكن التغلب الجنسي كان للعرب باعتبارهم الاكثرية الساحقة في القطر ، فقد أصبحت التقاليد

(١) تاريخ الطبري

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام (ص ١٥ - ١٨)

الدينية والعمادات الاجتماعية خاضعة للعرب ، كما كانت لهم الكلمة العليا في البلاد وبهذا ينتهي بنا الحديث عن عناصر السكان في الكوفة .

الأديان :

ولم يكن المجتمع الكوفي يدين بدين واحد ، وإنما كانت فيه أديان متعددة ، ولكل دين الحرية في إقامة طقوسه الدينية ، وهذه بعضها :

١ - الإسلام

وكان الإسلام دين الأكثرية الساحقة للعرب الذين استوطنوا الكوفة فإنها إنما انشأت لتكون حامية للجنود الإسلامية التي كانت تبعث بهم الدولة لحركات الفتوح ، وعمليات الجهاد ، ولكن الإسلام لم ينفذ إلى أعماق قلوب الكثيرين منهم ، وإنما جرى على ألسنتهم طمعاً بهنرات الفتوح التي أفاء الله بها على المجاهدين ، وقد أكد علم الاجتماع أن التحول الاجتماعي لا يكون إلا بعد أجيال وأجيال ، وإن المجتمع يظل محافظاً على عاداته وتقاليده التي اكتسبها من آباءه ، ويؤيد ذلك ما مني به من الحركات الفكرية التي تتنافى مع الإسلام ، وإلى الانقسامات الخطيرة بين صفوفه ، ونلمح إلى بعض تلك الانقسامات :

الخوارج :

واعتنق هذه الفكرة القراء وأصحاب الجباه السود حينما رفعت المصاحف في صلواتهم ، وقد أرغموا الإمام على قبول التحكيم بعد ما مني

معاوية بالمزينة الساحقة ، فاستجاب لهم الامام على كره ، وقد حذرهم من أنها مكيدة وخديعة فلم يكن يجدي ذلك معهم ، وأصرروا على فكرتهم ولما استبان لهم ضلال ما اقترفوه اقبلوا على الامام وهم يقولون له : إنا قد كفرنا وبننا ، فاعلن توبتك وقر على نفسك بالكفر ، لنكون معك فأبى (ع) فاعزلوه ، واتخذوا لهم شعاراً « لا حكم الا لله » وانغمسوا في الباطل وماجوا في الضلال ، فحاربهم الامام وقضى على الكثيرين منهم إلا أن البقية الباقية منهم ظلت تواصل نشر افكارها بنشاط ، وقد لعبت دوراً مهماً في افساد جيش الامام الحسن حتى اضطر إلى الصلح مع معاوية ، كما كان أكثر الجيش الذي زجه ابن زياد لحرب الامام الحسين من الخوارج وكانوا متورين من الامام أمير المؤمنين (ع) فرووا احقادهم من ابنائه الطيبين في كارثة كربلا .

الحزب الأموي :

وهؤلاء يمثلون وجوه الكوفة وزعماءها كقيس بن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، ويزيد بن الحرث ، وشيث بن رهمي ، وعمرو بن حريث وعمرو بن سعد ، وكانوا يدينون بالولاء لبني أمية ، ويرون أنهم أحق بالخلافة وأولى بزعامة الأمة من آل البيت (ع) وقد لعبوا دوراً خطيراً في فشل ثورة مسلم ، كما زجوا الناس لحرب الامام الحسين .

الشيعة :

وهي التي تدّين بالولاء لأهل البيت ، وترى أنه فرض ديني ، وقد اخلصت شيعة الكوفة في الولاء لهم ، اما مظاهر حبهم فهي :

١ - الخطب الحماسية التي يمجّدون فيها أهل البيت ، ويذكرون فضلهم وآثرهم ، وما شاهدوه من صنوف العدل والحق في ظل حكومة الامام امير المؤمنين .

٢ - الدموع السخية التي يهريقونها حينما يذكرون آلام آل البيت عليهم السلام وما عاينوه في عهد معاوية من التوهين والتكليل ، ولكنهم لم يبذلوا أي تضحية تذكر لمقيدتهم فقد كان تشيعهم عاطفياً لا عقائدياً وقد تخلوا عن مسلم وتركوه فريسة بيد الطاغية ابن مرجانة ، وبروي البلاذري أنهم كانوا في كربلاء ، وهم ينظرون الى ريحانة رسول الله (ص) وقد تناهت جسمه الشريف السيوف والرماح فكانوا يبكون ، ويدعون الله قائلين : « اللهم انزل نصرك على ابن بنت نبيك » فانبرى إليهم أحدهم فأكثر عليهم ذلك الدعاء وقال لهم : هلا تهبون الى نصرته بدل هذا الدعاء وقد جردهم الامام الحسين (ع) من اطار التشيع وصاح بهم يا شيعة آل أبي سفيان »

والحق أن الشيعة بالمعنى الصحيح لم تكن الافة نادرة في ذلك العصر وقد التحق بعضهم بالامام الحسين واستشهدوا معه ، كما جج الكثيرون منهم في ظلمات السجون .

وعلى أي حال فلم يكن المسلمون في الكوفة على رأي واحد وانما كانت هناك انقسامات خطيرة بين صفوفهم .

النصارى :

من العناصر التي سكنت الكوفة النصارى ، فقد أقبلوا إليها من الحيرة بعد زوال مجدها وقد أقاموا لهم في الكوفة عدة كنائس ، فقد كانت لهم كنيسة في ظهر قبلة المسجد الأعظم (١) وكان لهم اسقفان أحدهما نسطوري ، والآخر يعقوبي (٢) وكانوا طائفين !

١ - نصارى تغلب

وقد استوطنوا الكوفة عند تخطيطها مع سعد ، وكانت هذه الطائفة عزة ومنعة (٣) وقد رفض ابنائها دفع الجزية مما اضطر عمر أن يعاملهم معاملة المسلمين فجعل جزيتهم مثل صدقة المسلمين (٤) .

٢ - نصارى نجران

نزلوا الكوفة في خلافة عمر ، واستوطنوا في ناحية منها سميت محلة (النجرانية) (٥) .

وقد شاركت النصارى مشاركة ايبية في كثير من أعمال الدولة فقد اتخذ ابوموسى الأشعري أمير الكوفة كاتباً نصرانياً (٦) كما ولي الوليد ابن عقبة والي عثمان رجلاً مسيحياً لادارة شؤون مسجد قريب من الكوفة (٧) .

(١) فتوح البلدان (ص ٢٨٤)

(٢) خطط الكوفة (ص ٣٥)

(٣) تاريخ الطبري

(٤) تاريخ الطبري

(٥) حياة الشعر في الكوفة (ص ١٤٤)

(٦) عيون الأخبار ١ / ٤٣

(٧) الاطاني ٤ / ١٨٤

وقد شغل المسيحيون في الكوفة أعمال الصيرفة ، وكونوا أسواقاً لها (١) وكانت الحركة المصرفية بأيديهم ، كما كانوا يقومون بعقد القروض لتسهيل التجارة ، وكانت تجارة التبادل والصيرفة بأيديهم (٢) ، وقد مهروا في الصيرفة ، ونظموها على شكل يشبه البنوك في هذا العصر . وكانت هذه البنوك الأهلية تستقرض منها الحكومة المحلية الأموال اذا حدثت ثورة في القطر ، فكانت الأموال توزع على أعضاء الثورة لاختادها وقد استقرض منها ابن زياد الأموال فوزعها على وجره الكوفة واشرافها للقضاء على ثورة مسلم . وعلى أي حال فان المجتمع الكوفي كان مزيجاً بين المسلمين والمسيحيين وكانت العلاقة بينهما وثيقة للغاية .

اليهود :

واستوطن اليهود الكوفة سنة (٥٢٠) (٣) وقد قدم قسم كبير منهم من الحجاز بعد أن اجلاهم منه عمر بن الخطاب (٤) وقد كانت لهم محلة تعرف باسمهم في الكوفة كما بنوا فيها معابد لهم ، ويذكر الرحالة بنيامين

-
- (١) تأريخ الكوفة (١٤٦) يبدأ سوق البنوك والصيرفة من مسجد سهيل الى المسجد الأعظم ، كما نصت على ذلك بعض المصادر .
 - (٢) خطط الكوفة (ص ١٤٦)
 - (٣) نزعة المشتاق في تأريخ يهود العراق (ص ١٠٣) ليوسف رزق الله غنيمية
 - (٤) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة (ص ١٠٥)

ان بالكوفة سبعة آلاف يهودي ، وفيما قبر يسكنه اليهود وحوله كنيس لهم (١) وقد زاولوا بعض الحرف التي كان العرب يأنفون منها كالصياغة وغيرها . . . وكانت اليهود تحقد على الرسول (ص) كاعظم ما يكون الحقد لأنه اباد الكثيرين منهم والحق بهم العار والهزيمة ، وقد قاموا بدور فعال - فيما يقول بعض المحققين - في مجزرة كربلاء تشفيا من النبي (ص) باهائه وذريته . . . وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الأديان السائدة في الكوفة ، وقد اشترك معظمها في حركات الجهاد وعمليات الحروب في ذلك العصر .

تنظيم الجيش :

وانشأت الكوفة لتكون معسكراً للجيوش الاسلامية ، وقد نظم الجيش فيها على اساس قبلي كما كانوا مرتبين وفق قبائلهم ، وكانوا يقسمون في معسكراتهم باعتبار القبائل والبطون التي ينتمون إليها وقد رتب كما يلي :

نظام الاسباع :

ووزع الجيش توزيعاً سباعياً يقوم قبل كل شيء على أساس قبلي بالرغم من أنهم كانوا يقاثلون في سبيل الله الا ان الروح القبيلية كانت سائدة ولم تضعف ، وفيما يلي انظمتها :

السبع الأول : كنانة وحلفاؤها من الاحابيش وغيرهم ، وجسديلة وكانوا اعواناً طيعين للولاة القرشيين منذ امارة سعد ، وتولوا باخلاص

(١) رحلة بليامين ترجمة عزار حداد (ص ١٤٦)

عمال بني أمية وولائهم .

السبع الثاني : قضاة ، وغان ، وبيجة ، وخنعم ، وكندة ،
وحضرموت ، والأزد .

السبع الثالث : مدحج وحير وهمدان وحلفاؤهم ، وقد ائسموا بالعداء
لبني أمية والمساندة الكاملة للامام علي وأبنائه .

السبع الرابع : تميم وسائر الرباب وحلفاؤهم

السبع الخامس : أسد وخطفان ومحارب وضبيعة وتغلب والنمر

السبع السادس : أياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمر

السبع السابع : طي (١)

وتحتوي هذه الأسباع على قطعات قبلية من الجيش ، وقد استعمل
هذا النظام لأجل التعبئة العامة للحروب التي جرت في ذلك العصر ،
وتوزيع الغنائم عليها بعد العودة من الحرب وظلت الكوفة على هذا التقسيم
حتى اذا كانت سنة (٥٠ هـ) عهد زياد بن أبيه حاكم العراق فغير ذلك
المنهج وجعله رباعياً ، فكان على النحو التالي :

١ - أهل المدينة ، وجعل عليهم عمرو بن حريث

٢ - تميم وهمدان ، وعليهم خالد بن عرفطة

٣ - ربيعة بكر وكندة ، وعليهم قيس بن الوليد بن عبد شمس

٤ - مدحج وأسد (٢) وعليهم أبو بردة بن أبي موسى

وانما عمد إلى هذا التغيير لاختصاص الكوفة لنظام حكمه ، كما ان
الذين انتخبهم لرئاسة الأنظمة قد عرفوا بالولاء والاخلاص للدولة ، وقد
استعان بهم ابن زياد لقمع ثورة مسلم ، كما تولى بعضهم قيادة الفرق التي

(١) حياة الشعر في الكوفة (ص ٢٩ - ٣٠)

(٢) خطط الكوفة (ص ١٥ - ١٦)

زجها الطاغية لحرب الامام الحسين ، فقد كان عمرو بن حريث وخالد بن عرفة من قادة ذلك الجيش .

أما رؤساء الانظمة فقد كانت الدولة لا تنتخب الا من ذوي المكانة الاجتماعية المعروفين بالنجسدة والبسالة والتجربة في الحرب (١) ورؤساء الارباع يكونون خاضعين للسلطة الحكومية ، كما ان اتصال السلطة بالشعب يكون عن طريقهم ، ولذا رأوا اهميتهم البالغة في مصر فقد كتب إليهم الامام الحسين يدعوهم إلى نصرته والذب عنه (٢) .

العرفاء :

وكانت الدولة تعتمد على العرفاء (٣) فكانوا يقومون بامور القبائل ويوزعون عليهم العطاء كما كانوا يقومون بتنظيم السجلات العامة التي فيها أسماء الرجال والنساء والاطفال ، وتسجيل من يولد ليفرض له العطاء من الدولة ، وحذف العطاء لمن يموت (٤) كما كانوا مسؤولين عن شؤون الامن والنظام ، وكانوا في أيام الحرب يندبون الناس للقتال ويحثونهم على

(١) الطبري ٧ / ٢٠٧

(٢) أنساب الأشراف ٥ / ٢٤٥

(٣) العرفاء : - جمع مفردة عريف - وهو من يعرف أصحابه ، ومنه الحديث « فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم امرؤم » والعريف هو القائم بأمور القبيلة والجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويعتبر الأمير منه أحوالهم جاء ذلك في تاج العروس ١ / ١٩٤ .

(٤) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة (ص ٥٣)

الحرب ، ويخبرون السلطة بأسماء الذين يتخلفون عن القتال (١) وإذا
قصر العرفاء أو أهملوا واجباتهم فإن الحكومة تعاقبهم أقسى العقوبات
وأشدّها (٢) .

ومن أهم الأسباب في تفرق الناس عن مسلم هو قيام العرفاء في تخذيل
الناس عن الثورة وإشاعة الارهاب والاراجيف بين الناس (٣) كما كانوا
السبب الفعال في زج الناس واخراجهم لحرب الامام الحسين .
إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية في الكوفة ،
وكان الامام بها من ضرورات البحث وذلك لما لها من الاثر في اخلاق الثورة .

الطاغية ابن مرجانة :

ولا بد لنا أن نتعرف على قائد الانقلاب الطاغية ابن مرجانة فنقف
على نشأته وصفاته ومخططاته الرهيبة التي أدت إلى القضاء على الثورة ،
وإلى القراء ذلك .

ولادته :

ولد الطاغية سنة ٣٩ هـ ، (٤) وقد ولد لخلق الكوارث وإشاعة
الخطوب في الأرض ، وعلى هذا فيكون عمره يوم قتله لريحانة رسول الله (ص)
٢١ سنة ، ولم تعين المصادر التي بأيدينا المكان الذي ولد فيه .

(١) الطبري ٧ / ٢٢٦ (٢) الاغانى ٢ / ١٧٩

(٣) البداية والنهاية ٨ / ١٥٤

(٤) البداية والنهاية ٨ / ٢٨٤

أبواه :

أما أبوه فهو زياد بن سمية ، وهو من عناصر الشر والفساد في الأرض
فقد سمل عيون الناس وصلبهم على جلوع النخل ، وقتل على الظنة والتهمة
وأخذ البريء بدينب السقيم ، وأهرق العراق بالخرن والثكل والحداد .
وأما أمه مرجانة فكانت مجوسية (١) وقد عرفت بالبقي ، وقد عرض
بها عبيد الله التميمي أمام ابنها عبيد الله فقال : ان عمر بن الخطاب كان
يقول : اللهم اني أهوذ بك من الزانيات وابناء الزانيات ، فالتام ابن
زياد ورد عليه : إن عمر كان يقول : لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة
أشهر الا خرج مائماً (٢) وفارق زياد مرجانة فتزوج بها شبروية (٣) .

نشأته :

نشأ الطاغية في بيت الجريمة ، وقد قطع دور طفولته في بيت زوج
امه شبروية ، ولم يكن مسلماً ولما زرعح أخذه أبوه زياد ، وقد رباه على
ملك للدماء والبطش بالناس ، ورباه على الغدر والمكر ، وقد ورث جميع
صفات أبيه الشريرة من الظلم والتلذذ بالاسائة الى الناس ، وقد كان لا يقل
قسوة عن أبيه ، وقد قال الطاغية في بعض خطبه :
« أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطأ الجصى ، ولم ينتهني شبه

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٨٤

(٢) البيان والتبيين ٢ / ٢٤٢

(٣) البيان والتبيين ١ / ٧٢

نحال ولا ابن عم ، (١) لقد كان كأبيه في شدته وصرامته في الباطل
وتنكره للحق .

صفاته :

أما صفاته النسبية فكان من أبرزها القسوة والتلذذ بسفك الدماء ،
وقد أخذ امرأة من الخوارج فقطع يديها ورجليها ، وأمر بعرضها في السوق (٢)
ووصله الحمن البصري بأنه غلام سفيه سفك الدماء سفكاً شديداً (٣) ويقول
فيه مسلم بن عقيل : « ويقتل النفس التي حرم الله قتلها على الغضب
والعداوة ، وسوء الظن وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئاً » .
وكان متكبراً لا يسمع من أحد نصيحة ، وقد دخل عليه الصحابي
عائد بن عمرو فقال له :

« أي بني أي سمعت رسول الله (ص) يقول : ان شر الرعاء
الحطمة (٤) فإياك أن تكون منهم » .

فلدعه قوله وصاح به

« اجلس انما أنت من نخالة أصحاب رسول الله (ص) . »
فأنكر عليه عائد وقال : « وهل كان فيهم نخالة ؟ لما كانت
النخالة بملهم وفي خيرهم » (٥) .

(١) تاريخ الطبري

(٢) قصص العرب ١ / ٢١٤

(٣) سير اعلام النبلاء ٣ / ٣٥٧

(٤) الحطمة : القاسي الذي يظلم الناس

(٥) البداية والنهاية ٨ / ٢٨٥

وعرف في أثناء ولايته على البصرة بالغش للرعية. والخديعة لها ، وقد
لصحه معقل بن يسار أن يترك ذلك وقال له : اني سمعت رسول الله (ص)
يقول : ما من عبد يسترعيه الله رعيته ويموت وهو غاش لرعيته الا حرم
الله عليه الجنة (١) هذه بعض نزعاته وصلاته النسبية اما صلواته الجسمية
فقد كان منها ما يلي :

اللكنة :

ونشأ الطاغية في بيت أمه مرجانة ، ولم تكن عربية فاخذ لكتنها ،
ولم يكن يلهم اللغة العربية ، فقد قال لجماعة : « افتحوا سيوفكم ، وهو
يريد سلوا سيوفكم ، وإلى هذا يشير يزيد بن المبرغ في هجائه له :
ويوم فتحت سيفك من بعيد اضعمت وكل أمرك للضبياع
وجرت بينه وبين سويد مشادة فقال له عبيد الله :
« اجلس على أست الأرض ،
فسخر منه سويد وقال :
« ما كنت أحسب أن للأرض استأ ، (٢)
وكان لا ينطق بالحاء وقد قال لهانيء : « اهروري سائر اليوم ،
يريد اهروري ، وكان يقلب العين همزة كما كان يقلب القاف كافاً ، فقد
قال يوماً : « من كاتلنا كاتلناه ، يريد من قاتلنا قاتلناه (٣) .

(١) صحيح مسلم ١ / ٦٧

(٢) البيان والتبيين ١ / ٧٣

(٣) البداية والنهاية ٨ / ٢٨٤

نهمه في الطعام :

ويقول المؤرخون : انه كان نهماً في الطعام فكان في كل يوم يأكل خمس أكلات آخرها جنية بلل ويوضع بين يديه بعد ما يفرغ عناق (١) أوجدي فيأتي عليه وحده (٢) وكذلك كان مسرفاً في النساء فقد بنى ليلة قدومه إلى الكوفة بام نافع بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط (٣) هذه بعض صفاته الجسمية .

ولايته على البصرة :

واسند إليه معاوية اماره البصرة وولاه امور المسلمين ، وكان في ميعة الشباب وخروره وطيشه ، وقد ساس البصرة كما ساسها أبوه فكان يقتل على الظنة والتهمة ، ويأخذ البريء بالسقيم والمقبل بالمدير ، وقد وثق به معاوية وارتضى سيرته ، وكتب اليه بولايه الكوفة إلا أنه هلك قبل أن يعث إليه بهذا العهد .

(١) العناق : الأثني من أولاد المعز

(٢) نهاية الارب ٣ / ٣٤٣

(٣) مرآة الزمان (ص ٢٨٥)

احقاد يزيد على ابن مرجانة :

وكان يزيد ناقماً على ابن مرجانة ، كأشد ما يكون الانتقام لأمور كان من أهمها أن أباه زياداً كان من المنكرين على معاوية ولايته ليزيد ، لاستهتاره ، واقباله على اللهو والمجون ، وقد أراد يزيد أن يعزل هيبداً الله من البصرة ، ويجرده من جميع الامتيازات الا انه لما اعلن الامام الحسين عليه السلام الثورة وبعث سفيره مسلماً لأخذ البيعة من أهل الكوفة أشار عليه سرجون بأن يقره على ولاية البصرة ويضم إليه الكوفة ، ويندبه للقضاء على الثورة فاستجاب له يزيد ، وقد خلص العراق بأسره لحكم ابن زياد فقبض عليه بيد من حديد ، وانذفم كالمسحور للقضاء على الثورة ليحرز بذلك ثقة يزيد به ، وينال اخلاص البيت الأموي له .

مخططات الانقلاب :

وبالرغم من حداثة سن ابن زياد فإنه كان من أمهر السياسيين في الانقلابات ، وأكثرهم تغلباً على الأحداث وقد استطاع بفدوره ومكره أن يسيطر على حامية الكوفة ، ويقضى على جذور الثورة ويخمد نارها ، وقد كانت أهم مخططاته ما يلي :

- ١ - التجسس على مسلم والوقوف على جميع شؤون الثورة .
- ٢ - نشر أوبئة الخوف ، وقد أثار جواً من الفزع والارهاب لم تشهد له الكوفة نظيراً ، وانشغل الناس بملوسهم عن التدخل في أي شأن من الشؤون السياسية .
- ٣ - بذل المال للوجوه والأشراف ، وقد صاروا عملاء عنده يوجههم

حيثما شاء ، وقد أفسدوا عشائرهم والحقوا الهزيمة بجيش مسلم .
٤ - الاحتيال على هانيء بالقاء القبض عليه ، وهو أمتع شخصية
في مصر ، وقد قضى بذلك على أهم العناصر الفعالة في الثورة .
هذه بعض المخططات الرهيبة التي استطاع أن يسيطر بها الطاغية
على الموقف ، ويقضي على الثورة ويزج حامية الكوفة الى حرب ريحانة
رسول الله (ص) :

مسلم بن عقيل :

أما مسلم بن عقيل فكان من أعلام التقوى في الاسلام ، وكان متحرجا
في دينه كأشد ما يكون التحرج فلم يسلك أي منعطف في طريقه ، ولا يهر
أي وسيلة من وسائل المكر والخداع ، وان توقف عليها النصر السياسي شأنه في
ذلك شأن همه أمير المؤمنين (ع) بالاضافة الى ذلك انه لم يبعث الى الكوفة
كوال مطلق حتى يتصرف حسبما يراه ، وانما كانت مهمته محدودة وهي
أخذ البيعة للامام ، والاستطلاع على حقيقة الكوفيين فان رأهم مجتمعين
بعث الى الامام الحسين بالقدوم اليهم ، ولم يؤمر بغير ذلك ، وقد أطلنا
الحديث في هذه الجهة في البحوث السابقة .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن اخلاق ثورة مسلم التي كانت فاتحة
للاجمة كربلاء ، ومصدراً لآلامها العميقة كما ينتهي بنا الحديث عن الحلقة
الثانية من هذا الكتاب .

مُتَوَايَاتُ الْكِتَابِ

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٥	بسملة مع آي من الذكر الحكيم	البسملة مع آي من الذكر الحكيم
٧		المقدمة
٢١	مع القاسطين والناكثين	
٢٤	الناكثون ، دوافع التمرد	الناكثون ، دوافع التمرد
٢٦	خديجة معاوية للزبير	خديجة معاوية للزبير
٢٦	مؤتمر مكة	مؤتمر مكة
٢٧	قرارات المؤتمر	قرارات المؤتمر
٢٧	تجهيز الجيش بالأموال المنهوبة	تجهيز الجيش بالأموال المنهوبة
٢٨	الخطاب السياسي لعائشة	الخطاب السياسي لعائشة
٢٩	عائشة مع أم سلمة	عائشة مع أم سلمة
٣١	الزحف إلى البصرة	الزحف إلى البصرة
٣١	عسكر	عسكر
٣٢	الجواب	الجواب
٣٣	في ربيع البصرة	في ربيع البصرة
٣٨	النزاع على الصلاة	النزاع على الصلاة
٣٨	رسلى الامام إلى الكوفة	رسلى الامام إلى الكوفة
٤٠	التقاء الجيش ، رسل السلام	التقاء الجيش ، رسل السلام
٤١	الدعوة الى القرآن	الدعوة الى القرآن
٤٢	الحرب العامة	الحرب العامة
٤٣	مصرع الزبير	مصرع الزبير
٤٦	مصرع طلحة	مصرع طلحة

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٤٦		قيادة عائشة للجيش
٤٧		عقر الجمل
٤٨		العلم العام
٥٠		مشارك الحرب
٥١		القاسطون
٥٣		ابطاد حرير ، معاوية مع ابن العاص
٥٦		رد جرير
٥٦		قميص عثمان
٥٧		زحف معاوية لصفين ، زحف الامام للحرب
٥٨		احتلال اللرات
٥٩		رسل السلام
٦٠		الحرب
٦١		منع الحسنيين الحرب
٦٢		مصراع عمار
٦٥		مكيدة ابن العاص
٧٠		التحكيم
٧١		وثيقة التحكيم
٧٢		رجوع الامام للكوفة
٧٣		مع المارقين
٧٥		اجتماع الحكيمين
٨١		تمرد المارقين
٨٣		قتال المارقين

الموضوع	محتويات الحكومة	الصفحة
مخلفات الحرب	انتصار معاوية ، قتل جيش الامام احتلال مصر ، الفارات ، الفارة على العراق (١) عين التمر (٢) هيت (٣) واقصة ، الفارة على الحجاز واليمن .	٨٥
عبث الخوارج		٩٥
دهاء الامام على نفسه		٩٦
أفول دولة الحق		٩٩
مؤتمر مكة		١٠٣
رأي رخيص		١٠٣
اشترك الأمويين في المؤامرة		١٠٤
اختيال الامام		١٠٦
الى الرفيق الأعلى		١٠٩
متارك حكومة الامام		١٠٩
خلافة الحسن		١١١
	(١) الاعتداء على الحسن (٢) الحكم عليه بالكفر (٣) الخيانة العظمى (٤) نهب ائمة الامام	
الصلح		١١٤
موقف الامام الحسين		١١٥
هدى بن حاتم مع الحسين		١١٦

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١١٦		تحول الخلافة
١١٩	حكومة معاوية	
١٢٢		سياسته الاقتصادية
١٢٣		الحرمان الاقتصادي
	(١) يثرب (٢) العراق (٣) مصر	
١٢٦		الرفاه على الشام ، استخدام المال في تدعيم ملكه
١٢٧		المنح الهائلة لأسرته ، منح خراج مصر لعمرو بن العاص
١٢٨		هبات الأموال للمؤيدين ، شراء الأديان
١٢٩		عجز الخزينة المركزية
١٣٠		مصادرة أموال المواطنين
١٣١		ضريبة النبروز ، نهب الولاة والعمال
١٣٢		جباية الخراج ، اصطفاء الذهب والفضة
١٣٣		شل الحركة الاقتصادية
١٣٤		حجة معاوية
١٣٤		سياسة التفریق
١٣٥		اضطهاد الموالي
١٣٧		العصبية القبلية
١٣٨		سياسة البطش والجبروت
١٤٠		احتقار الفقراء
١٤١		سياسة الخداع
١٤٣		اشاعة الانتهازية

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
١٤٤		الخلاعة والمجون
١٤٧		اشاعة المجون في الحرمين
١٤٨		الاستخفاف بالقيم الدينية
١٤٩		استلحاق زياد
١٥٠		انكار الامام الحسين
١٥٠		الحقد على النبي
١٥٣		تغيير الواقع الاسلامي
١٥٤		مع أهل البيت وسائل انتقاصهم
	(١) تسخير الرعاظ (٢) استخدام معاهد التعليم	
	(٣) افتعال الأخبار	
١٥٨		حديث ملفتل على الحسين
١٦٠		سب الامام امير المؤمنين
١٦٢		ستر فضائل أهل البيت
١٦٤		التحرج من ذكر الامام
١٦٦		مع الشيعة
١٦٧		القتل الجماعي ، اهاة القوى الواعية
	(١) حجر بن عدي ، مذكرة الامام الحسين	
	في شأنه (٢) رشيد المهجري (٣) عمرو بن	
	المحق الخزاعي ، مذكرة الامام الحسين (٤)	
	أولف بن حصن (٥) الحضرمي مع جماعته	
	انكار الامام الحسين ، (٦) جويرة العبيدي	
	(٧) صيلي بن فسيل (٨) عبد الرحمن	

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة
المروعون من اعلام الشيعة	(١) عبد الله بن هاشم المرقال (٢) عدي ابن حاتم الطائي (٣) صعصعة بن صوحان (٤) عبد الله بن خزيمة الطائي	١٧٦
ترويع النساء		١٧٦
هدم دور الشيعة ، حرمان الشيعة من العطاء		١٧٧
عدم قبول شهادة الشيعة ، ابعاد الشيعة الى خراسان		١٧٨
البيعة ليزيد		١٧٨
ولادة يزيد		١٧٩
نشأته ، صفاته		١٨٠
ولعه بالصيد		١٨١
شفطه بالقرود		١٨٢
ادمانه على الخمر		١٨٣
ندماؤه		١٨٤
نصيحة معاوية ليزيد ، دفاع محمد حزة دروزة		١٨٥
اقرار معاوية لاستهتار يزيد		١٨٦
حقد يزيد على النبي		١٨٧
بغضه للانصار		١٨٨
دعوة المغيرة لبيعة يزيد		١٩٠
تبرير معاوية		١٩٢

المررون له (١) احمد دجلان (٢)
الدكتور عبد المنعم (٣) حسين محمد يوسف

الموضوع	محتويات الكتاب	الصفحة
كلمة الحسن البصري		١٩٥
كلمة الفيلسوف ابن رشد		١٩٦
دوافع معاوية لبيعة يزيد		١٩٦
الوسائل الدبلوماسية في اخذ البيعة		١٩٧
	استخدام الشعراء ، هللك الأموال للوجوه ، مراسلة الولاة	
وفود الاقطار الإسلامية ، مؤتمر الوفود الاسلامية		٢٠١
المقيدون للبيعة		٢٠١
خطابه الاحنف بن قيس		٢٠٢
فشل المؤتمر		٢٠٣
سفر معاوية ليثرب		٢٠٣
اجتماع معلق ، كلمة معاوية		٢٠٤
كلمة عبد الله بن عباس ، كلمة عبد الله بن جعفر		٢٠٥
كلمة عبد الله بن الزبير		٢٠٦
كلمة عبد الله بن عمر ، كلمة معاوية		٢٠٧
فزع المسلمين من البيعة ليزيد		٢٠٨
الجهة المعارضة		٢٠٩
	(١) الامام الحسين ، الحرمان الاقتصادي للهاشميين (٢) عبد الرحمن بن أبي بكر (٣) عبد الله بن الزبير (٤) المنذر بن الزبير (٥) عبد الرحمن ابن سعيد (٦) عباس بن سعيد (٧) عبد الله ابن حنظلة	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢١٢	موقف الأسرة الأموية ، الشاجبون للبيعة (١) سعيد بن عثمان (٢) مروان ابن الحكم (٣) زياد بن أبيه	
٢١٤		ابقاع الخلافة بين الأمويين
٢١٥		تجميد البيعة
٢١٥		الاحتياط الشخصيات الاسلامية
	(١) سعد بن أبي وقاص (٢) عبد الرحمن بن خالد (٣) عبد الرحمن بن أبي بكر (٤) الامام الحسن	
٢١٨		اعلان البيعة رسميا ، مع المعارضين في يثرب
٢١٩		خطاب الامام الحسين
٢٢١		ارغام المعارضين
٢٢٢		موقف الامام الحسين
٢٢٢		وفود الأقطار الاسلامية
٢٢٣		مذكرة مروان لمعاوية ، جواب معاوية
٢٢٣		رأي مروان في ابعاد الامام الحسين
٢٢٤		رسالة معاوية للامام
٢٢٥		جواب الامام
٢٢٨		صدى الرسالة ، للؤتمر السياسي العام
٢٢٩		رسالة جمعة للامام
٢٣٠		جواب الامام
٢٣١		لصبيحة الخدري للامام
٢٣١		استيلاء الحسين على أموال للدولة

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢٣٣	حديث موضوع على الحسين	
٢٣٤	الحسين مع بني أمية	
٢٣٦	مرض معاوية ، وصاياه	
٢٣٩	موت معاوية	
٢٤١	حكومة يزيد	
٢٤٤	خطاب العرش	
٢٤٥	خطابه في أهل الشام	
٢٤٥	مع المعارضة في يثرب	
٢٤٦	الأوامر المشددة إلى الوليد	
٢٤٩	فزع الوليد	
٢٥٠	استشارته لمروان ، رأي مروان	
٢٥١	اضواء على موقف مروان	
٢٥٣	استدعاء الحسين	
٢٥٦	الحسين مع مروان	
٢٥٨	الاصال الوليد بدمشق	
٢٥٨	الأوامر المشددة من دمشق ، رفض الوليد	
٢٥٩	وداع الحسين لقبر جده ، رؤيا الحسين لجده	
٢٦١	وداعه لقبر أمه وأخيه ، فزع الهاشميات	
٢٦٢	مع أخيه ابن الحنظلية	
٢٦٤	وصيته لابن الحنظلية	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢٦٧	الثورة الحسينية أسبابها ومخططاتها	
٢٧٠	أسباب الثورة	
٢٧٠	(١) المسؤولية الدينية	
٢٧٤	(٢) المسؤولية الاجتماعية	
٢٧٥	(٣) إقامة الحجّة عليه	
٢٧٥	(٤) حماية الاسلام	
٢٧٦	(٥) صيانة الخلافة	
٢٧٨	(٦) تحرير ارادة الأمة	
٢٧٨	(٧) تحرير اقتصاد الامة	
٢٨٠	(٧) المظالم الاجتماعية	
٢٨١	(٩) المظالم الهائلة على الشيعة	
٢٨٢	(١٠) نحو ذكر أهل البيت	
٢٨٢	(١١) تدمير القيم الاسلامية	
٢٨٤	(١٢) انهيار المجتمع مظاهر الانهيار	
	(١) نقض اليهود (٢) عدم التحرج من الكلب (٣)	
	عرض الضمائر للبيع (٤) الاقبال على اللهو	
٢٨٦	(١٣) الدفاع عن حقوقه وهي :	
	(١) الخلافة (٢) الخمس	
٢٨٨	(١٤) الامر بالمعروف	
٢٨٩	(١٥) امانة البدع	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٢٩٠	(١٦) العهد النبوي	
٢٩٠	(١٧) العزة والكرامة	
٢٩١	(١٨) حذر الأمويين وفتكهم	
٢٩٢	رأي رخيص	
٢٩٤	تخطيط الثورة	
٢٩٥	(١) التضحية بنفسه	
٢٩٦	(٢) التضحية بأهل بيته	
٢٩٧	(٣) التضحية بأمواله	
٢٩٧	(٤) حل عقائل النبوة ، آراء العلماء والكتاب (١) الامام كاشف الغطاء (٢) أحمد فهمي (٣) احمد محمود صبحي	
٣٠٣	في مكة	
٣٠٦	مع عبد الله بن مطيع	
٣٠٨	في مكة ، احتفالات الحجاج والمعتمرين به	
٣٠٩	فزع ابن الزبير	
٣١١	رأي الغزالي	
٣١٢	رأي رخيص	
٣١٢	فزع السلطة المحلية	
٣١٣	قلق يزيد ، رسالة يزيد لابن عباس	
٣١٤	جواب ابن عباس	
٣١٥	اقصاء حاكم المدينة	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣١٧	الحسين مع ابن عمر وابن عباس	
٣٢١	وصيته لابن عباس	
٣٢١	رسائله الى زعماء البصرة	
٣٢٣	جواب الأحنف بن قيس	
٣٢٣	جريمة المنذر	
٣٢٤	استجابة يزيد بن مسعود	
٣٢٧	جوابه للامام	
٣٢٨	استجابة يزيد البصري	
٣٢٨	نقمة العراق على الأمويين	
٣٣٠	اهلان التمرد في العراق	
٣٣١	المؤتمر العام	
٣٣١	خطبة سليمان	
٣٣٢	وفد الكوفة للامام ، الرسائل	
٣٣٧	إيفاد مسلم الى العراق	
٣٣٩	تزويد مسلم برسالة لأهل الكوفة	
٣٤٢	رسالة مسلم للحسين ، جواب الحسين	
٣٤٣	أضواء على الموضوع	
٣٤٤	في بيت المختار	
٣٤٥	إهتاج الكوفة ، البيعة للحسين	
٣٤٦	كلمة عابس الشاكري	
٣٤٧	عدد المبايعين	
٣٤٨	رسالة مسلم للحسين	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣٤٩	موقف النعمان بن بشير	
٣٥٠	خطبة النعمان	
٣٥١	سخط الحزب الأموي ، اتصال الحزب الأموي بدمشق	
٣٥٢	فزع يزيد	
٣٥٣	استشارته لسرجون	
٣٥٤	ولاية ابن زياد على الكوفة	
٣٥٥	خطبة ابن زياد في البصرة	
٣٥٦	سمر الطاغية إلى الكوفة	
٣٥٧	في قصر الامارة	
٣٥٩	خطابه في الكوفة	
٣٦٠	نشر الارهاب	
٣٦١	تحول مسلم الى دار هانيء	
٣٦٢	امتناع مسلم من اغتيال ابن زياد	
٣٦٥	أضواء على الموقف	
٣٦٨	المخططات الرهيبة	
٣٦٨	(١) التجسس على مسلم	
٣٧٠	(٢) رشوة الزعماء والوجوه	
٣٧١	الاحجام عن كبس دار هانيء	
٣٧١	رسل الغدر	
٣٧٢	اعتقال هانيء	
٣٧٦	انتفاضة ملحج	
٣٨٠	ثورة مسلم	

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٣٨٢		حرب الاعصاب
٣٨٤		اوهنة الفزع والخوف
٣٨٥		هزيمة الجيش
٣٨٦		في ضيافة طوعة
٣٨٩	املان حالة الطوارئ	تأكد الطاغية من فشل الثورة ،
٣٩٠		راية الامان
٣٩٠		اشتباه
٣٩١		خطبة ابن زياد
٣٩٢		الاقشاء بمسلم
٣٩٣		المهجوم على مسلم
٣٩٤		فشل الجيوش
٣٩٧		أمان ابن الأشعث
٣٩٨		اسره
٣٩٩		مع عبيد الله السلمي
٤٠٠		مع الباهلي
٤٠١		مع ابن زياد
٤٠٤		وصية مسلم
٤٠٦		الطاغية مع مسلم
٤٠٧		إلى الرفيق الأهل
٤٠٨		سلبه
٤٠٩		تنفيذ الاعدام في هانيء
٤١١		السحل في الشوارع ، صلب الجثتين

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٤١٢		الرووس إلى دمشق
٤١٣		جواب يزيد
٤١٥		اعلان الأحكام العرفية ، احتلال الحدود العراقية
٤١٦		الاعتقالات الواسعة
٤١٧	اخفاق الثورة	
٤١٩		المجتمع الكوفي
٤٢٠		الظواهر الاجتماعية
٤٢٠		التناقض في السلوك
٤٢١		الغدر والتذبذب
٤٢٥		التمرد على الولاة
٤٢٦		الالهزامية
٤٢٧		مساوىء الأخلاق
٤٢٨		الجشع والطمع
٤٢٩		التأثر بالدعوات
٤٣٠		الحياة الاقتصادية
٤٣٢		عناصر السكان
٤٣٣		العرب ، القبائل اليمنية
٤٣٤		القبائل العدنانية ، قبائل بني بكر
٤٣٥		الروح القبلية
٤٣٧		الفرس
٤٣٨		الانباط

الصفحة	محتويات الكتاب	الموضوع
٤٣٩		السريانية
٤٤٠		الأديان ، الإسلام
	الخوارج ، الحزب الأموي ، الشيعة	
٤٤٣		النصارى
	(١) نصارى تغلب (٢) نصارى نجران	
٤٤٤		اليهود
٤٤٥		تنظيم الجيش ، نظام الاسباع
		نظام الاسباع
٤٤٧		العرافة
٤٤٨		الطاهية ابن مرجانة ، ولادته
٤٤٩		أبواه ، نشأته
٤٥٠		صفاته
٤٥١		الكفة
٤٥٢		نهمه في الطعام
٤٥٢		ولادته على البصرة
٤٥٣		احقاد يزيد على ابن مرجانة
٤٥٣		مخططات الانقلاب
٤٥٤		مسلم بن عقيل
٤٥٥		محتويات الكتاب

